

سلسلة مؤلفات الشامي (٤)

فَلَسَفَةُ اللُّغَةِ وَنَشَأَتُهَا
فِي ضَوْءِ النَّظَرِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ

تأليف

سامح محمد الشامي

مؤسسة أمر القرى

فَلَسْفَةُ اللُّغَةِ وَنَشَأَتِهَا
فِي ضَوْءِ النَّظَرِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الرابعة

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

رقم الإيداع

٢٠٢٠/٥٦٢٥

التسجيل الدولي

٩٧٨-٩٧٧-٩٠-٧٠٣٨-٤

الناشر

مؤسسة أمر القرى للنشر والنزوح/ القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي لم يتخذ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ولم يكن له شريك في الملك وهو بكل شيء عليم، خلق البشر من ذَكَرٍ وَأُنْثَى وجعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا إن أكرمهم عند الله أتقاهم، وجعل من آياته اختلاف ألسنتهم وألوانهم.

سبحانه أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، شهادة أُعِدُّهَا ليوم لقائه، وذخرًا لي يوم العرض عليه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم، وبعد،،،

فالتفكر في خلق السموات والأرض، ومحاولة فهم آلية نشأة الكون من أهم القضايا التي حاول الإنسان منذ أمدٍ بعيد تفسيرها واستيعابها، بل إنه بحث في طبيعة وأصل اللغة التي يتخاطب ويتحدث بها، متى نشأت؟ كيف نشأت؟ كيف تطورت أو تغيرت ووصلت إلى ما هي عليه الآن؟

وأخذ يضع الكثير من التساؤلات، والفرضيات في محاولة تلمس نشأة اللغة الأولى التي تكلم بها آدم ﷺ ثم حواء ﷺ وبنوه من بعده.

وهل كانت من صنع آدم واجتهاد منه، أم هي إلهام وتوقيف من الله ﷻ مَنْ به ﷻ على آدم ﷻ وعلمه أسماء كل شيء، أم غير ذلك؟

وهل كان هناك لغة قبل خلق آدم يتخاطب بها الملائكة والجان أم لا؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التي نتج عنها في العصر الحديث، ظهور العديد من الفرضيات والنظريات كـ (pooh pooh)، (Ta Ta)، (Bow wow)، (ding dong)، وغيرها، تحاول فهم وتفسير أصل اللغة ونشأتها.

ونظراً لأهمية المسألة كان لا بد من عرض هذه الآراء ومناقشتها في بحث خاص، وبيان الراجح فيها.

وقدمت بين يديه دراسة شرعية لغوية عن ماهية لغات الملائكة، والملا الأعلى؛ نظراً لكثرة الخوض فيها، وتمادي بعضهم في الأمر، وافترائه الكذب على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ انتصاراً لرأيه.

وسميته: **ب(فلسفة اللغة ونشأتها في ضوء النظريات الحديثة).**

وهو يشتمل على تمهيد، وخاتمة، وبينهما فصلان:

الفصل الأول: ماهية لغات الملا الأعلى وغيرهم، وفيه تمهيد،
وأحد عشر مبحثاً:

المبحث الأول: اللغة التي يوحى الله ﷻ بها إلى الملائكة والأنبياء، والتي تكلم بها مع موسى ﷺ.
المبحث الثاني: لغة الملائكة.

المبحث الثالث: اللغة التي يتكلم بها ملك الموت، والمَلَكُان مع أهل القبور عند السؤال.

المبحث الرابع: اللغة التي تحدث بها آدم ﷺ ويكتب بها الكرام الكاتبين.

المبحث الخامس: لغة الشياطين.

المبحث السادس: لغة المسيح الدجال، وعيسى ﷺ ويأجوج ومأجوج، ودابة الأرض.

المبحث السابع: لغة أهل القبور، وأهل الموقف بين يدي الله ﷻ واللغة التي تشهد بها الأيدي والأرجل.

المبحث الثامن: لغة أهل النار، وأصحاب الأعراف.

المبحث التاسع: لغة السموات والأرض، والأنبياء والمؤمنين عند الشفاعة، وآخر مَنْ يدخل الجنة.

المبحث العاشر: لغة أهل الجنة.

المبحث الحادي عشر: الترجيح والاختيار.

الفصل الثاني: أصل نشأة لغات البشر، وفيه تمهيد وثلاثة عشر مبحثاً:

المبحث الأول: نظرية الإلهام والتوقيف.

المبحث الثاني: نظرية الاصطلاح.

المبحث الثالث: نظرية المحاكاة الطبيعية والمناسبة أو باو-

أو Bow.wow.

المبحث الرابع: ذاتية العلاقة بين الألفاظ والمعاني.

المبحث الخامس: مبدأ اللغات اصطلاحي ثم توقيفي.

المبحث السادس: مبدأ اللغات توقيفي ثم اصطلاحي.

المبحث السابع: نظرية (بُو - بُو) Pooh-pooh.

المبحث الثامن: نظرية ding-dong.

المبحث التاسع: نظرية الغناء The theory of /sing-song

.singing

المبحث العاشر: نظرية الاستجابة الصوتية للحركات العضلية

.yo.he.ho

المبحث الحادي عشر: نظرية Ta-Ta.

المبحث الثاني عشر: نظرية La-La.

المبحث الثالث عشر: الترجيح والاختيار.

هذا .. والله ﷻ أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه

الكريم، ولا يجعل لأحد فيه شيئاً، إنه ﷻ ولي ذلك والقادر

عليه.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك
وأتوب إليك، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله
وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

سامح محمد محمد الشامي

القاهرة - مصر

الجمعة ١٤ ربيع الآخر ١٤٢٧ هـ

١٢ مايو ٢٠٠٦ م



مَهَيِّدًا

تعددت اللغات واللهجات واختلفت إلى حد يصعب حصر عددها على الوجه الصحيح، لا سيما لو أردنا الإحاطة بها منذ آدم ﷺ إلى يومنا هذا؛ لأن هناك لغات اندثرت وانتهت بفناء الأمم التي كانت تتحدث بها، وأخرى موجودة في أماكن نائية من كوكب الأرض.

وكان من أهم نتائج علم اللغة التاريخي هو محاولة العلماء تصنيف هذه اللغات إلى فصائل ليسهل حصرها، ومعرفة العلاقة بين بعضها بعضًا، فقسّموها إلى اللغات العازلة *isolantes*، والإلحاقية أو الإلصاقية *Agglomerantes*، والتحليلية أو المتصرفية *Analytiques*.

وذلك بحسب أنماطها، والتطور في قواعد الصرف والنحو، وطريقة صياغة الألفاظ والجمل، وإلى هذا ذهب الألماني Friedrich Schlegel فريدريش شليجل^(١) (ت ١٨٢٩م).

The Aesthetic and Miscellaneous Works of Friedrich Von Schlegel (١)
p434.

وانتقد تقسيمه اللغوي الأمريكي Edward Sapir إدوارد سابير (ت ١٩٣٩) - في كتابه^(٢) Language An Introduction To The Study Of Speech الذي نُشر سنة (١٩٢١م) - باعتباره تقسيمًا سطحيًا يجمع تحت الفصيلة الواحدة عدة لغات مختلفة في خصائصها تمامًا عن بعضها البعض، كما أن هناك بعض اللغات لا تندرج في فصيلة واحدة بصورة خاصة خالصة بل تتأرجح بين أكثر من فصيلة.

ونظر الألماني ماكس مولر (ت ١٩٠٠) Max Müller في كتابه^(٣) «محاضرات في علم اللغة» Lectures on the science of language أثناء كلامه عن تاريخ اللغة History of Language إلى قرابتها اللغوية، وانحدار بعضها من أصل واحد. فقسّمها إلى ثلاث فصائل، تتضمن كل فصيلة منها بعض المجموعات اللغوية، داخل كل مجموعة العديد من اللغات، وهذه الفصائل هي: فصيلة اللغات الهندوأوروبية (Indo - Europeenne)، ومن أشهر لغاتها: الفارسية، والإنجليزية، والفرنسية، والهندية الحديثة، واليونانية.

(٢) Language An Introduction To The Study: p140.

(٣) Lectures on the science of language: p32.

وفصيلة اللغات الحامية – السامية (Chamito - Samitiques)، وهي تتضمن مجموعتان: (السامية) ومن أشهر لغاتها: العربية، والعبرية، والسريانية، و(الحامية) ومن أشهر لغاتها: المصرية القديمة والقبطية.

وفصيلة اللغات الطورانية أو التورانية (Touranienne)، وهي تتضمن اللغات التي ليست ذات أصل واحد، أو تجمعها خصائص وصفات متشابهة، غاية ما في الأمر هو عدم دخولها تحت إحدى الفصيلتين السابقتين، ومن أشهر لغاتها: اليابانية، والصينية.

وواقفه في هذا التقسيم معاصره الألماني كريستيان بنسن (ت ١٨٦٠) Christian Bunsen في كتابه^(٤) عن الخطوط الرئيسية لفلسفة التاريخ العالمي Outlines of the Philosophy of Universal history ووضع بحثاً خاصاً حول تصنيف مولر للغات التورانية نُشر سنة (١٨٥٤م) وطُبع باسم «رسائل بنسن حول تصنيف اللغات التورانية لماكس مولر» Letters to Chevalier Bunsen on the classification of the Turanian languages By Müller ولكن تصنيف Müller بشأن اللغات الطورانية لم يكن محل تسليم وإذعان من كل اللغويين.

(٤) . Outlines of the Philosophy of Universal history p64

فقد انتقده وعابه معاصره الفرنسي إرنست رينان (ت ١٨٩٢) Ernest Renan في كتابه عن أصل اللغة De l'origine du langage وحكم على عمله وعمل بنسن بأنه ليس بالمرضي عنده؛ قال^(٥):

Quant aux démonstrations de détail par lesquelles MM. Bunsen et Millier essaient d'établir l'identité primitive des trois familles, tourannienne, indo-européenne, sémitique, elles ne me paraissent point satisfaisantes.

ولم يكن Schlegel، و Müller هما أول من حاول تلمس العلاقة بين اللغات، وإرجاعها إلى أصل واحد؛ لأن هذا ظهر في أوروبا في القرن التاسع عشر من الميلاد، بينما كان له بدايات وإرهاصات عند علماء العربية في القرن التاسع والعاشر.

وكان من أهم ذلك، ما ذهب إليه ابن حزم (ت ٤٥٦) قال: «فالسريانية أصل للعربية، وللعبرانية معاً»^(٦)، وكذلك ابن سيده (ت ٤٥٨) قال: «وكنعان بن سام بن نوح وإليه يُنسب الكنعانيون، وكانوا أمة يتكلمون بلغة تُضارع العربية»^(٧).

(٥) . De l'origine du Langage p40 .

(٦) الإحكام في أصول الأحكام ٣٢/١.

(٧) المخصص ١٠٧/٤.

حيث رأوا أن اللغات السريانية، والعبرية، والكنعانية تنتمي إلى نفس
الفصيلة اللغوية التي تندرج تحتها العربية، وهي ما عُرفت في
اصطلاح المتأخرين بـ(الحامية - السامية).

وقد تنبه إلى ذلك الفرنسي جان بيرو Jan peru وأشار إلى ذلك في
كتابه (اللسانيات)(linguistic) فذهب إلى أن قرابة اللغات السامية
عُرفت منذ وقت مبكر من طرف اللغويين الهنود والعرب، ولم تتطور
الدراسة المقارنة للغات السامية عند العلماء الأوربيين إلا في زمن
متأخر جداً، مع تفصيل له موضع آخر.



الفصل الأول

ماهية لغات الملائكة الأعلى، وغيرهم

وفيه تمهيد، وأحد عشر مبحثاً:

المبحث الأول: اللغة التي يوحى الله ﷻ بها إلى الملائكة والأنبياء، والتي تكلم بها مع موسى ﷺ.

المبحث الثاني: لغة الملائكة.

المبحث الثالث: اللغة التي يتكلم بها ملك الموت، والمَلَكان مع أهل القبور عند السؤال.

المبحث الرابع: اللغة التي تحدث بها آدم ﷺ ويكتب بها الكرام الكاتبين.

المبحث الخامس: لغة الشياطين.

المبحث السادس: لغة المسيح الدجال، وعيسى ﷺ ويأجوج ومأجوج، ودابة الأرض.

المبحث السابع: لغة أهل القبور، وأهل الموقف بين يدي الله ﷻ واللغة التي تشهد بها الأيدي والأرجل.

المبحث الثامن: لغة أهل النار، وأصحاب الأعراف.

المبحث التاسع: لغة السموات والأرض، والأنبياء والمؤمنين عند الشفاعة، وآخر من يدخل الجنة.

المبحث العاشر: لغة أهل الجنة.

المبحث الحادي عشر: الترجيح والاختيار.

مَهَيِّدٌ

قبل مناقشة أصل نشأة لغات البشر، لا بد أولاً من كشف النقاب عن قضية مهمة، طالما خاض فيها الكثيرون من العرب وغيرهم، وحاول كل فريق التعصب للغته والانتصار لرأيه، واستند إلى أدلة واهية لا تُغني من الحق شيئاً، ألا وهي ماهية اللغة التي يوحى الله ﷻ بها إلى الملائكة المقربين جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومَلَك الموت وغيرهم ﷺ.

كذلك اللغة التي تحدث بها آدم ﷺ ويتكلم بها الملائكة والشياطين، ولغة أهل الموقف بين يدي الله ﷻ ... إلخ.

وهذا الأمر لا يمكن إثباته على الوجه الصحيح إلا من جهة النقل، إذ لا مجال للعقل ولا للاجتهد فيه؛ لأنه أمر غيبي لا يعلمه إلا الله ﷻ أو رسول ونبي يوحى من الله ﷻ.

وقد حذرنا الله ﷻ من الخوض في مثل هذه الأمور عن جهل أو هوى، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ونهى ﷺ أنبياءه صلوات الله عليهم عن اتباع الهوى، والافتداء بأصحابه، فقال لداود ﷺ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿ص: ٢٦﴾.

وقال لموسى ﷺ: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ ... فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه: ١٤ - ١٦].

ونهى ﷺ رسوله محمداً ﷺ عن اتباعهم، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وحذرنا منه ﷺ فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

وقد تكلم بعض العلماء في بعض هذه المسائل بما لا طائل تحته، فقال أبو إبراهيم الفارابي (ت ٣٥٠) عن العربية: «وأما اللسانُ فهو كلام جيران الله في دار الخلد»^(٨).

وإليه ذهب أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨) حيث قال عنها: «لغة النبي ﷺ وكلام أهل الجنة، وكلام أهل السماء»^(٩).

(٨) معجم ديوان الأدب ١/٧١-٧٢. وهو خلاف أبو نصر الفارابي (ت ٣٣٩) الفيلسوف

الملقب بالمعلم الثاني بعد أرسطوطاليس الملقب بالمعلم الأول.

(٩) ذكره في كتاب له بعنوان: (صناعة الكتاب) وهو مع الأسف إلى الآن في عداد المفقود،

وقال عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٩): «كان اللسان الأول الذي نزل به آدم من الجنة عربياً إلى أن بُعد العهد وطال، حُرّف وصار سريانياً»^(١٠).

ثم ذهب إلى أنه منسوب إلى أرض سوريانة أو سُورَى، وهي أرض الجزيرة، التي كان بها نوح ﷺ وقومه قبل الطوفان.

وبالغ أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩) وادّعى هذا الأمر على لسان آدم ﷺ فقال: «فيقول آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ: أبيت إلا عقوقاً وأذيةً، إنما كنت أتكلم بالعربية وأنا في الجنة، فلما هبطت إلى الأرض نُقل لساني إلى السريانية، فلم أنطق بغيرها إلى أن هلكت، فلما ردني الله ﷻ عادت عليّ العربية»^(١١).

وهذا وغيره من قبيح ما ذكر في المسألة، وقد روي فيها أحاديث مرفوعة، وموقوفة، ولكن لا يثبت منها شيء، كما سيأتي.



وقد نقل منه القلقشندي (ت ٨٢١) في كتابه (صبح الأعشى ٢٠٩/١).

(١٠) المزهر في علوم اللغة ٢٨/١، سبل الهدى والرشاد ٤٤٨/١.

(١١) رسالة الغفران ص ١٠٩.

المبحث الأول

اللغة التي يوحى الله ﷻ لها إلى الملائكة والأنبياء وغيرهم، والتي

تكلمها مع موسى ﷺ

أخبرنا الله ﷻ أنه يكلم الملائكة ويوحى إليهم بكلام يفهمونه دون واسطة بينهم؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَذَبُّوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

وعن أبي هريرة ؓ قال: «إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلْقَاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا ... وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَسَدِ كُنْتَ تَعْمُرِيَنَّهُ، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ ﷻ ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ

... وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ ... يَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحَ خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ ... فَيُقَالُ: انْطَلَقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رِبْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ، عَلَى أَنْفِهِ^(١٢).

وذلك إشعارًا وإعلامًا منه صلى الله عليه وسلم لأصحابه بمدى نتن وسوء رائحة روح الكافر.

أما عن رؤية الملائكة لله صلى الله عليه وسلم في الدنيا ففيه خلاف، والصواب التوقف؛ لعدم ثبوته من جهة النقل، ولا مجال للاجتهاد فيه. وبالنسبة للبشر؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآدَانِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١].

أي ما كان لبشر أن يكلمه الله صلى الله عليه وسلم إلا من وراء حجاب، وذلك كما كلم صلى الله عليه وسلم موسى صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا

(١٢) أخرجه مسلم (٢٢٠٢/٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، برقم (٢٨٧٢/٧٥).

يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرَدَّى (١٦) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى
 (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ
 فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى... قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (٣٦) وَلَقَدْ
 مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿طه: ١١ - ٣٧﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اِخْتَجَّ آدَمُ
 وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُوْنَا خَيِّبْنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ
 الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ
 ...» (١٣).

أو وحيًا يوحيه الله ﷻ إليه أو إلى غيره من المخلوقات كيف
 شاء ﷻ إما إلهامًا، أو غيره؛ قال تعالى عن أم موسى: ﴿إِذْ
 أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ
 فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْقَيْتُ
 عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٨، ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ
 بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
 فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ

(١٣) أخرجه البخاري (١٥٨/٤) كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى، برقم (٣٤٠٩)،
 ومسلم واللفظ له (٢٠٤٢/٤) كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى ﷺ برقم (٢٦٥٢/١٣).

فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿النحل: ٦٨﴾،
[٦٩].

أو يرسل إليه ﷺ رسولا من الملائكة فيوحى ذلك الرسول من الملائكة إلى النبي، أو الرسول المرسل إليه ما شاء الله ﷻ من الأوامر والنواهي، ومما هو مخاطب به من الوحي والرسالة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣، ١٦٤].

أما عن ماهية اللغة التي يوحى الله ﷻ بها، وهل هي بالعربية أو السريانية أو غير ذلك أم لا؟ ففي الباب من حديث أبي أمامة، وأبي هريرة، وجابر بن عبد الله، والمغيرة بن شعبة مرفوعًا.

أولاً: حديث أبي أمامة ﷺ.

أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢٣٢/١) قال: حدثنا القطان بالرقعة، ثنا أيوب بن محمد الوزان، ثنا غسان بن عبيد الموصلي، ثنا الحسن بن دينار، عن جعفر بن الزبير، عن

القاسم، عن أبي أمامة عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ حَوْلَ الْعَرْشِ يَتَكَلَّمُونَ بِالْفَارِسِيَّةِ الدَّرِيَّةِ»^(١٤) وَإِنَّ اللَّهَ

(١٤) الفارسية الدرية: الدرية ضرب من اللغة الفارسية؛ لأن الدرية عامة تُصنَّف كإحدى أشكال اللغات الفارسية القديمة، ولها لهجاتها الخاصة بها مع تفصيل، وحاليًا تُستخدم في أفغانستان، فهي إلى جانب اللغة البشتوية أو البشتونية، إحدى اللغتين الرسميتين لأفغانستان، وهناك مَنْ يتحدث بها في إيران وباكستان.

والفارسية الدرية أو الحديثة ظهرت بعد الإسلام ثم تحولت إلى الفارسية الحالية أو المعاصرة، أي هي جديدة نسبيًا، وقد تتطرق ابن النديم (ت ٤٣٨) إليها في ثانيا كلامه عن القلم الفارسي، فنقل عن عبد الله بن المقفع (ت ١٤٢) أنه قال: «لغات الفارسية: الفهلوية، والدرية، والفارسية، والخوزية والسريانية ... وأما الدرية فلغة مدن المدائن وبها كان يتكلم مَنْ بباب الملك، وهي منسوبة إلى حاضرة الباب، والغالب عليها من لغة أهل خراسان والمشرق لغة أهل بلخ، وأما الفارسية فتكلم بها الموأبدة والعلماء وأشباهم وهي لغة أهل فارس» (الفهرست ص ٢٥).

وهي تنتمي إلى مجموعة اللغات (الهندو - أوروبية) فهي ذات قرابة باللغة الفارسية في إيران وغيرها، واللغة السنسكريتية في الهند. واختُلِف في سبب تسميتها بـ(الدَّرِيَّةِ)، فقيل: إنها مأخوذة من كلمة (داري)؛ لأنها استخدمت كلغة في (داربار) -وهي كلمة فارسية للمحكمة- في عهد الإمبراطورية الساسانية أو الفارسية الثانية خلال القرن الثالث والرابع من الميلاد.

ﷺ إِذَا أَوْحَى أَمْرًا فِيهِ لَيْنٌ أَوْحَاهُ بِالْفَارِسِيَّةِ الدَّرِيَّةِ وَإِذَا أَرَادَ
أَمْرًا فِيهِ غَضَبٌ أَوْحَاهُ بِالْعَرَبِيَّةِ».

وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٢٦) قال: حدثنا
الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان، حدثنا المسيب بن
واضح، حدثنا القرقساني، عن الحسن بن دينار، عن جعفر بن
الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله
ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا فِيهِ لَيْنٌ أَوْحَاهُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ
بِالْفَارِسِيَّةِ الدَّرِيَّةِ، وَكَلَامُ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ بِالْفَارِسِيَّةِ
الدَّرِيَّةِ»^(١٥).

ورواه من وجه آخر عنه في «الكامل» (٢/ ٣٦٤) قال: حدثنا
الحسن بن سفيان، حدثنا عبد الله بن محمد بن الحجاج
الصواف، حدثنا صفدي بن سنان، حدثني جعفر بن الزبير،
عن القاسم، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

وقيل: إنما نسبت إلى (در) وهو الباب؛ قال برهان الدين المطرزي
(ت ٦١٠): «(الْفَارِسِيَّةُ الدَّرِيَّةُ) الْفَصِيحَةُ نُسِبَتْ إِلَى (دِر) وَهُوَ الْبَابُ
بِالْفَارِسِيَّةِ» (المغرب في ترتيب المعرب ص ١٦٢)، وقيل غير ذلك، مع
تفصيل له موضع آخر.

(١٥) جاء في المطبوع (طبعة دار الكتب العلمية - بيروت): الدَّرِيَّةُ، وهو تصحيف.

«الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ يَتَكَلَّمُونَ بِالفَارِسِيَّةِ الدَّرِيَّةِ
فَإِذَا أُنزِلَ أَمْرٌ فِيهِ شِدَّةٌ نَزَلَ بالعَرَبِيَّةِ».

وقال أيضاً: حدثنا إبراهيم بن علي العمري، حدثنا عبد الغفار
بن عبد الله بن الزبير، حدثنا العباس بن الفضل، حدثنا جعفر
بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ:
«إِنَّ اللَّهَ ﷻ إِذَا أَوْحَى بِأَمْرٍ فِيهِ لِينٌ أَوْحَى بِالفَارِسِيَّةِ، وَإِذَا
أَوْحَى بِأَمْرٍ فِيهِ شِدَّةٌ أَوْحَى بِالْعَرَبِيَّةِ».

وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١١٠/١) من طريق
العباس بن الفضل، قال: حدثنا جعفر بن الزبير، عن القاسم،
عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً: «إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ الَّذِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ
بِالفَارِسِيَّةِ الدَّرِيَّةِ^(١٦)، وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ إِذَا أَوْحَى أَمْرًا فِيهِ كَوْنٌ
(لِين) أَوْحَاهُ بِالفَارِسِيَّةِ الدَّرِيَّةِ، وَإِذَا أَوْحَى أَمْرًا فِيهِ شِدَّةٌ أَوْحَاهُ
بِالعَرَبِيَّةِ».

ورواه من وجه آخر في «الموضوعات» (١١٠/١) من طريق
موسى بن السندي، قال: حدثنا عثمان بن عبد الرحمن
الطرائقي، قال: حدثنا عمر بن موسى بن وجيه، عن القاسم،
عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ إِذَا

(١٦) جاء في المطبوع (طبعة المكتبة السلفية - المدينة المنورة): الدر به (الدَّرِيَّة)،
وهو تصحيف.

غَضِبَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَإِذَا رَضِيَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ
بِالْفَارِسِيَّةِ».

وأخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» كما في
«زهر الفردوس» (١/٨٠/ب/مخطوط) قال: أخبرنا أبي، أخبرنا
الميداني في كتابه الجديد، أخبرنا العشاري، أخبرنا علي بن
عبد العزيز بن مردك، حدثنا عبد الله بن محمد بن إسحاق،
حدثنا محمد بن إبراهيم بن كثير، حدثنا محمد بن مصعب،
حدثنا الحسن بن دينار، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن
أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا فِيهِ
لَيْنٌ أَوْحَى بِهِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ بِالْفَارِسِيَّةِ الدَّرِيَّةِ وَإِذَا أَرَادَ
أَمْرًا فِيهِ شِدَّةٌ أَوْحَاهُ بِالْعَرَبِيَّةِ الْجَهْرِيَّةِ يَعْنِي الْمَبِينَةَ».

قال: وحدثناه حمد بن نصر إملاءً، أخبرنا هارون بن طاهر،
حدثنا الحسن بن علي بن محمد بن بشار، حدثنا علي بن
محمد بن مهرويه، حدثنا محمد بن رميح بمكة، حدثنا محمد
بن موسى الحرسي، حدثنا سعيد، عن جعفر ... به.

قلت: هذا حديث موضوع، وهذه الأسانيد واهية، سلسلة
بالعلل:

الأولى:

جعفر بين الزبير الشامي، كذَّاب؛ قال شعبة بن الحجاج: «يكذب على رسول الله ﷺ»^(١٧)، وتبعه ابن معين، فقال: «كان يكذب»^(١٨)، وقال ابن المديني: «لا يُكتب حديثه، ضعيفاً لا يسوى شيئاً»^(١٩).

وتركه وكيع بن الجراح^(٢٠)، ويحيى بن سعيد القطان^(٢١)، وأحمد^(٢٢)، والنسائي^(٢٣)، وقال البخاري: «تركوه»^(٢٤).

الثانية:

الحسن بن دينار؛ قال أبو حاتم الرازي: «متروك الحديث، كذَّاب»^(٢٥)، وقال أبو خيثمة: «كذَّاب»^(٢٦)، وقال ابن سعد^(٢٧)،

(١٧) الكامل ٣٦١/٢.

(١٨) تاريخ ابن معين-رواية ابن محرز ٦٠/١.

(١٩) سؤالات ابن أبي شيبة لابن المديني ص ١٥٦.

(٢٠) التاريخ الأوسط للبخاري ١٠٦/٢.

(٢١) تاريخ أسماء الضعفاء ص ٦٦.

(٢٢) العلل ومعرفة الرجال-رواية عبد الله ٢٠٦/٣، مسائل حرب الكرمانى لأحمد ص ٥١٢.

(٢٣) الضعفاء والمتروكون له ص ٢٨.

(٢٤) التاريخ الكبير ١٩٢/٢.

(٢٥) الجرح والتعديل ١٢/٣.

(٢٦) التاريخ الكبير لابنه ٤٠٣/١.

(٢٧) الطبقات الكبرى ٢٠٦/٧.

وابن معين^(٢٨)، وابن المديني^(٢٩): «ليس بشيء»، وضعفه أحمد، وقال: «لا يكتب حديثه»^(٣٠).
ونُقل عن أحمد، وابن معين أنهما كانا يكذبانه^(٣١)، وتركه يحيى القطان^(٣٢)، وعبد الرحمن بن مهدي^(٣٣)، ووكيع بن الجراح^(٣٤)،
وعبد الله بن المبارك^(٣٥)، وأبو زرعة الرازي^(٣٦).

(٢٨) تاريخ ابن معين-رواية الدوري ٢٤١/٤.

(٢٩) سؤالات ابن أبي شيبة لابن المديني ص ١٧٠.

(٣٠) العلل ومعرفة الرجال-رواية عبد الله ٤٨٤/٣، الجرح والتعديل ١٢/٣، الكامل ١١٦/٣.

(٣١) المجروحين ٢٣٢/١، الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي ٢٠١/١.

(٣٢) التاريخ الكبير للبخاري ٢٩٢/٢، التاريخ الصغير ص ٤١، الكنى والأسماء لمسلم ٣٦٠/١، العلل ومعرفة الرجال-رواية عبد الله ٥٢٦/٢، ٤٨٤/٣، الجرح والتعديل ١٢/٣، المجروحين ٢٣٢/١، الكامل ١١٧/٣.

(٣٣) المصدر السابق.

(٣٤) المصدر السابق.

(٣٥) المصدر السابق.

(٣٦) الجرح والتعديل ١٢/٣.

الثالثة:

عمر بن موسى الوجيهي؛ قال ابن معين: «كذاب، ليس بشيء»^(٣٧)، وقال: «لم يكن بثقة، ولا مرضي»^(٣٨)، وضعفه البخاري، فقال: «منكر الحديث»^(٣٩).

وقال أبو داود: ليس بشيء»^(٤٠)، وتركه النسائي^(٤١)، والدارقطني^(٤٢)، وأبو حاتم الرازي، وزاد: «ذاهب الحديث، كان يضع الحديث»^(٤٣).

والحديث ذكره ابن حبان، وقال: «باطل، لا أصل له»^(٤٤)، وقال ابن الجوزي: «هذا حديث موضوع»^(٤٥)، وهو كما قالوا.



(٣٧) سؤالات ابن الجنيد لابن معين ص ٤٠٠.

(٣٨) تاريخ ابن معين-رواية ابن محرز ٥٣/١، تاريخ ابن معين-رواية الدوري ٤٢٣/٤.

(٣٩) التاريخ الكبير ١٩٧/٦.

(٤٠) سؤالات الآجري لأبي داود ص ١٦٣.

(٤١) الضعفاء والمتروكون له ص ٨٢.

(٤٢) سؤالات البرقاني للدارقطني ص ٥٠.

(٤٣) الجرح والتعديل ١٣٣/٦.

(٤٤) المجروحين ٢٣٣/١.

(٤٥) الموضوعات ١١٠/١.

ثانياً: حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١١١/١) قال: أنبأنا محمد بن عبد الملك بن خيرون، قال: أنبأنا إسماعيل بن مسعدة، قال: أنبأنا حمزة بن يوسف، قال: أنبأنا أبو أحمد ابن عدي، قال: حدثنا إبراهيم عبد الغفار، قال: حدثنا العباس بن الفضل الأنصاري، عن سليمان، عن الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ وَحْيٍ قَطُّ عَلَى نَبِيٍّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ إِلَّا بِالْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ يَكُونُ هُوَ بَعْدُ يُبَلِّغُهُ قَوْمَهُ بِلِسَانِهِمْ».

وقال: «هذا حديث لا يصح»، وهو كما قال، فهو حديث واه، وفيه علتان:

الأولى:

العباس بن الفضل وهو الأنصاري الواقفي أبو الفضل البصري، تالف؛ قال أبو زرعة الرازي: «كان لا يصدق»^(٤٦)، وقال النسائي: «ليس بشيء»، يُرمى بالكذب»^(٤٧)، وقال أيضاً:

(٤٦) الجرح والتعديل ٢١٣/٦.

(٤٧) العلل المتناهية ٩٥/٢.

«متروك»^(٤٨)، وذكّر الإمام أحمد له حديثاً، وقال: «هو كذب»^(٤٩).

وضعه ابن معين، فقال: «ليس بشيء»، يُحدّث بحديث ... ليس له أصل»^(٥٠)، وقال البخاري: «منكر الحديث»^(٥١)، وتبعه أبو حاتم الرازي، وزاد: «ضعيف الحديث»^(٥٢).

الثانية:

سليمان بن الأرقم، متروك الحديث؛ قال أحمد: «لا يسوى شيئاً، لا يُروى عنه الحديث»^(٥٣)، وضعفه ابن معين، وقال: «ليس بشيء»^(٥٤)، وفي موضع: «ليس يسوى فلساً»^(٥٥)، وقال البخاري: «تركوه»^(٥٦)، وقال مسلم: «منكر الحديث»^(٥٧).

(٤٨) الضعفاء والمتروكون له ص ٧٣.

(٤٩) التاريخ الأوسط ٢/٢٧٠.

(٥٠) تاريخ ابن معين - رواية الدوري ٤/٢٤٢.

(٥١) التاريخ الكبير ٥/٧.

(٥٢) الجرح والتعديل ٦/٢١٣.

(٥٣) العلل ومعرفة الرجال - رواية عبد الله ٦٧/٢، ٣٩٣.

(٥٤) تاريخ ابن معين - رواية الدوري ٣/٢٧٦.

(٥٥) المصدر السابق ٣/٥٢٧.

(٥٦) التاريخ الكبير ٤/٢، التاريخ الأوسط ٢/١٩٦، الضعفاء الصغير ص ٦٩.

(٥٧) الكنى والأسماء له ٢/٧٧٦.

وتبعهم الفلاس، وقال: «ليس بثقة روى أحاديث منكراً»^(٥٨)،
وتركه أبو حاتم الرازي^(٥٩).



(٥٨) الجرح والتعديل ٤/١٠٠.

(٥٩) المصدر السابق.

ثالثاً: حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

أخرجه مقاتل بن سليمان في تفسيره (٢٨٤/٣)، وحرب الكرماني في مسائله (ص ٥٧٠)، والبزار في مسنده كما في «كشف الأستار» (١٠٥/٣) برقم (٢٣٥٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١١١٩/٤) برقم (٦٢٨٤)، والآجري في «الشریعة» (١١١٧/٣) برقم (٦٨٩)، وابن شاهين في جزء من حديثه (ص ٣٦)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٣١٠/٦)، وأبو نعیم في «حلیة الأولیاء» (٢١٠/٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣١/٢)، وأبو الفرج الثقي في فوائده (ل ٢/٩/مخطوط)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١١٢/١)، كلهم من طرق عن علي بن عاصم، نا الفضل بن عيسى، نا محمد بن المنكدر، نا جابر بن عبد الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى يَوْمَ الطُّورِ كَلَّمَهُ بِغَيْرِ الْكَلَامِ الَّذِي كَلَّمَهُ يَوْمَ نَادَاهُ فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا رَبِّ هَذَا كَلَامُكَ الَّذِي كَلَّمْتَنِي بِهِ يَوْمَ نَادَيْتَنِي؟ قَالَ: لَا، يَا مُوسَى، إِنَّمَا كَلَّمْتُكَ بِقُوَّةِ عَشْرَةِ آلَافِ لِسَانٍ، وَلِي قُوَّةُ الْأَلْسِنَةِ كُلِّهَا، وَأَنَا أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالُوا لَهُ: يَا مُوسَى صِفْ لَنَا كَلَامَ الرَّحْمَنِ ﷻ؟ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ؟ قَالُوا: شَبَّهَ لَنَا؟ قَالَ: أَلَمْ تَرَوْا

إِلَى أَصْوَاتِ الصَّوَاعِقِ حِينَ تُقْبَلُ فِي أَحْلَى حَلَاوَةٍ سَمِعْتُمُوهُ
فَإِنَّهُ قَرِيبٌ مِنْهُ وَلَيْسَ بِهِ».

قال البزار: «لا نعلمه يُروى بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه، وقد
تقدم ذكرنا للفضل».

قال الهيثمي: «يعني: أنه ضعيف»، وقال في «مجمع
الزوائد» (٢٠٤/٨): «رواه البزار، وفيه الفضل بن عيسى
الرقاشي، وهو ضعيف».

قلت: بل ضعيف جداً، والحديث موضوع، آفته علي بن
عاصم، وهو ابن صهيب أبو الحسن، كذاب؛ قال خالد
الحدّاء: «كذاب، فاحذروه»^(٦٠)، وقال ابن معين: «كذاب، ليس
بشيء»^(٦١)، وإليه ذهب يزيد بن هارون، فقال: «ما زلنا نعرفه
بالكذب»^(٦٢).

وقيل ليحيى بن معين إن أحمد بن حنبل قال: «إن علي بن عاصم
ثقة، وليس بكذاب»، قال: «لا والله ما كان عنده قط ثقة، ولا حدّث
عنه بحرف قط، فكيف صار عنده اليوم ثقة»^(٦٣).

(٦٠) التاريخ الكبير ٦/٢٩١.

(٦١) تاريخ ابن معين - رواية ابن محرز ١/٥٠.

(٦٢) المختلف فيهم لابن شاهين ص ٥٠، تاريخ بغداد ١٣/٤٠٧.

(٦٣) الجرح والتعديل ٦/١٩٩.

كذلك **الفضل** واه؛ قال أيوب السخيتاني: «لو أن فضلا الرقاشي ولد أخرس كان خيراً له»^(٦٤)، وقال سفيان بن عيينة: «كان أهلاً أن لا يروى عنه»^(٦٥).

وضعه أحمد^(٦٦)، وقال ابن معين: «رجل سوء قدرى»^(٦٧)، وتبعه المقدمي، فقال: «كان قدرياً خبيثاً»^(٦٨).

وقال أبو حاتم، وأبو زرعة الرّازيان: «منكر الحديث»^(٦٩).

وسئل أبا داود السجستاني عن كتابة حديثه، فقال: «لا، ولا كرامة له»^(٧٠)، وقال أيضاً: «كان أخبث الناس قولاً»^(٧١).

والراجح في هذا الكلام أنه من الإسرائيليات من قول كعب الأخبار.

وذلك لما أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٠٧/٩) برقم (١٠٨٤٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٩٦/١) برقم

(٦٤) التاريخ الكبير ٧/١١٨، الضعفاء الصغير ص ١١٤.

(٦٥) المصدر السابق.

(٦٦) العلل ومعرفة الرجال-رواية عبد الله ٣/٥٥.

(٦٧) تاريخ ابن معين-رواية الدوري ٤/٢٦٤.

(٦٨) التاريخ وأسماء المحدثين ص ١٢٩.

(٦٩) الجرح والتعديل ٧/٦٥.

(٧٠) سؤالات الأجرى لأبي داود ص ١٢٦.

(٧١) المصدر السابق.

(٩٨٧)، عن الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن جزء بن جابر^(٧٢): أنه سمع كعباً يقول: «لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى بِالْأَلْسِنَةِ قَبْلَ لِسَانِهِ، طَفِقَ مُوسَى يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، إِنِّي لَا أَفْقَهُ هَذَا، حَتَّى كَلَّمَهُ اللَّهُ آخِرَ الْأَلْسِنَةِ بِمِثْلِ لِسَانِهِ، فَقَالَ مُوسَى: أَيُّ رَبِّ هَذَا كَلَامِكَ؟ قَالَ اللَّهُ: لَوْ كَلَّمْتُكَ بِكَلَامِي لَمْ تَكُنْ شَيْئًا. قَالَ: يَا رَبِّ، فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٍ يُشْبِهُ كَلَامِكَ؟ قَالَ: لَا، وَأَقْرَبُ خَلْقِي شَبْهًا بِكَلَامِي، أَشَدُّ مَا يُسْمَعُ مِنَ الصَّوَاعِقِ».

وهذا كلام منكر فأسماء الله ﷻ وصفاته توقيفية لا تثبت إلا بدليل من القرآن الكريم، أو السنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ أو كلاهما معاً.

ولا مجال للاجتهاد أو القياس فيها، ولا يمكن الاعتماد على هذا القول الباطل في إثبات هيئة صفة كلام الله ﷻ وغير ذلك مما اشتمل عليه.



(٧٢) جاء في المطبوع من (المعجم الأوسط/طبعة دار الحرمين): عن جابر، وهو خطأ، وإنما هو جزء بن جابر الخثعمي صاحب كعب الأحبار، وقيل في اسمه غير ذلك.

رابعاً: حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

لم أقف عليه مسنداً، وإنما ذكره أبو عبد الله الحلي (ت ٤٠٣) في «المنهاج في شعب الإيمان» (١٥٣/٢) معلقاً على علي بن ربيعة الوابلي، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله أن يرسل الرحمة على قوم أرسلها مع ميكائيل بلسان فارسي، وإذا أراد الله أن يرسل على قوم البلاء أرسله مع جبريل بلسان عربي».

وردّه الحلي، وذهب في «المنهاج» (١٦٨/٢) إلى أن الأخبار التي رويت في تفضيل الفارسية على العربية كلها موضوعة مزورة، لا يثبت أهل الجرح والتعديل، وعلماء التصحيح منها شيئاً، وهو كما قال.



المبحث الثاني

لغة الملائكة

ثبت في القرآن الكريم والسنة النبوية تسبيح وكلام الملائكة ﷺ سواء مع الله ﷻ كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١، ٣٢].

أو مع أنبيائه ﷺ ورسله؛ قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدَقًا بِكَلِمَةٍ

مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ [آل عمران]:
[٣٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَنْ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ، فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ» (٧٣).

وعن عروة أن عائشة رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أَحَدٍ، قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَاِنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمْتَنِي، فَظَنَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ

(٧٣) أخرجه البخاري (٩٠/٢) كتاب الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة، برقم (١٣٣٩)، ومسلم (١٨٤٢/٤) كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم برقم (٢٣٧٢/١٥٧).

سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتِ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتِ، إِنْ شِئْتِ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» (٧٤).

وكذلك ثبت كلامهم مع عباد الله الصالحين؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

وأيضًا تكلموا مع الكافرين والفاسقين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا

(٧٤) أخرجه البخاري (١١٥/٤) كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، برقم (٣٢٣١)، ومسلم (١٤٢٠/٣) كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، برقم (١٧٩٥/١١١).

مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً
فَتَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿النساء: ٩٧﴾.

وقد اختلف في ماهية لغتهم، فأخرج أبو بكر بن لال في
«مكارم الأخلاق» كما في «زهـر
الفردوس» (٥٨/٢/ب/مخطوط) قال: حدثنا علي بن عامر،
حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن مطر، حدثنا سليمان بن عبد
الرحمن، حدثنا عثمان بن فائد، عن جعفر بن برقان، عن
نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «...
والعربية كلام أهل السماء».

قال ابن حبان: «عثمان بن فائد أبو لبابة القرشي يروي عن
جعفر بن برقان، والشاميين العجائب ... يأتي عن الثقات
بالأشياء العضلات، حتى يسبق إلى القلب أنه كان يعملها
تعمداً، لا يجوز الاحتجاج به».

قلت: هو كما قال، وهذا حديث موضوع، أفته ابن فائد؛ قال
ابن معين: «ليس بشيء»^(٧٥)، وقال البخاري: «في حديثه
نظر»^(٧٦).

(٧٥) ميزان الاعتدال ٥٢/٣.

(٧٦) المصدر السابق ٥١/٣.

وَحَكَمَ الذَّهَبِي عَلَى حَدِيثِهِ هَذَا بِالْوَضْعِ، وَقَالَ: «وَقَلَّ أَنْ يَكُونَ
عِنْدَ الْبَخَارِيِّ رَجُلٌ فِيهِ نَظَرٌ، إِلَّا وَهُوَ مَتَّهَمٌ»^(٧٧)، وَهُوَ كَمَا قَالَ.
وَقَالَ ابْنُ عَدِي: «مَنْكَرَ الْحَدِيثِ ... وَعَامَةً مَا يَرُوهُ لَيْسَ
بِالْمَحْفُوظِ»^(٧٨)، وَنَقَلَ مُغَلَطَايَ عَنِ الْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ
قَالَ: «رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الثَّقَاتِ الْمَعْضَلَاتِ»^(٧٩)، وَوَافَقَهُ
النَّقَاشُ^(٨٠)، وَذَكَرَهُ أَبُو نَعِيمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ، وَقَالَ: «رَوَى عَنِ
الثَّقَاتِ الْمَنَاكِيرِ، لَا شَيْءَ»^(٨١)، وَهُوَ كَمَا قَالُوا.

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَدِي فِي «الْكَامِلِ» (٣٦٥/٢) قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ
بْنُ عَلِيِّ الْعَمْرِيِّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْغَفَارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ،
حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ الزَّيْبِرِ، عَنِ الْقَاسِمِ،
عَنِ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ كَلَامَ الَّذِينَ حَوْلَ
الْعَرْشِ بِالْفَارَسِيَّةِ الدَّرِيَّةُ».

وهذا إسناد واه، آفته جعفر بن الزبير الشامي كذاب، والعباس
متروك، وقد تقدم.



(٧٧) ميزان الاعتدال ٥٢/٣.

(٧٨) الكامل في ضعفاء الرجال ٢٧٠/٦ - ٢٧١.

(٧٩) إكمال تهذيب الكمال ١٨١/٩.

(٨٠) المصدر السابق.

(٨١) الضعفاء له ص ١١٥.

وفي أوروبا خلال القرن السادس عشر زعم عالم السحر والتنجيم الإنجليزي إدوارد كيلي Edward Kelly (ت ١٥٩٧م)، ورفيقه جون دي^(٨٢) John Dee (ت ١٦٠٩) أنهما كانا لهما اتصالات ومحادثات مع الملائكة، وأنها قد زودتهم باللغة التي يمكن من خلالها التحدث بها معهم، وهي لغة غامضة تُعرف باسم (Enochian)^(٨٣) وقد سجلها دي، وكيلي في مجلاتهما الخاصة.

حيث بدأ Dee عام (١٥٨١م) أداء سلسلة من الأعمال السحرية، وكتب في مجلته أن الله ﷻ قد أرسل ملائكة جيدين، للتواصل مباشرة مع الجنس البشري، وبحلول عام (١٥٨٢م) كان يتعاون معه رفيقه وزميله في علم التنجيم والبصر Edward Kelly في التواصل مع هؤلاء الملائكة حسب زعمهم، وقاما بتسجيل المئات من الأحاديث

D. Harkness, John Dee's Conversations with Angels: Cabala, (٨٢)
Alchemy, and the End of Nature.

A True & Faithful Relation of what Passed for Many Yeers Between Dr.
John Dee and Some Spirits.by: John Dee, Edward Kelly, Meric
Casaubon.

Jones, David. "John Dee & the Enochian Apocalypse." New Dawn (٨٣)
the World's Most Unusual Magazine.

Enochian: The Mysterious Lost Language of Angels
John Dee - Astrologer to the Queen. John Dee - Astrologer to the
Queen.

الروحية، بما في ذلك ما ادَّعوا أنها لغة ملائكية، وتتألف من رسائل غير الإنجليزية.

واستخدما من أجل ذلك أشياء معينة، مثل: المرآة السوداء، والكرة البلورية لتجربة هذه الرؤى، حيث قام John Dee بدور الخيط، فعمل على توجيه الصلوات إلى الله ﷻ ورؤساء الملائكة لمدة تتراوح من ١٥ دقيقة إلى ساعة، ثم تم وضع حجر على طاولته، وتم استدعاء الملائكة لإظهار أنفسهم، وأخذا يرقبان الحجر، ويسجلان كل شيء سمعوه أو شاهدوه.

وزعما أن الملائكة قد أخبرتهم أن السحر سوف يُعطي صلاحيات خارقة لممارسيه، ويُغير الهيكل السياسي لأوروبا، ويبشر بقدوم نهاية العالم.

واعتقد Dee أن ما يفعله سيكون ذا فائدة للأجيال القادمة، ولذلك حرص على تدوين هذه المعلومات في سلسلة من المخطوطات والمصنفات، ولكنه لم يصف أبدًا اللغة المستخدمة خلال الجلسات على أنها (Enochian)، لكنه فضّل أن يُطلق عليها (ملائكي)، و(خطاب سماوي)، وغيرها، لاسيما (آدميكال)؛ لأنه زعم أنه تم استخدامها بواسطة آدم ﷺ في الجنة لتسمية جميع مخلوقات الله ﷻ وإن كان قد تم التسجيل بعد باسم Enochian، واشتهرت بذلك.

ونظرًا لفقدان أجزاء من المخطوطات الأصلية لجون دي، نشأت تفسيرات فيما يتعلق بالمعنى، والأصالة وراء اللغة الإنوكية، وزعم بعض السحرة أنها أقدم لغة في العالم، وهي تسبق جميع اللغات البشرية الأخرى.

كذلك زعم رفيقه Kelly أنه قادر على رؤية الملائكة من خلال نوع من البلورات، وأن لغة الملائكة تُدعى (الإدريسية) نسبة إلى إدريس عليه السلام والدم متوشالخ أو متوشلخ Methuselah، وأنه -أي Kelly- قد رُفِعَ به إلى السماء، وتم أخذه في جولة سماوية.

وقد سجّل في كتاب له بعد ذلك كل ما شاهده وسمعه حسب زعمه، وادّعى أمورًا لم يوافق عليه معاصروه، ورأوا أنه قد اخترع هذه النصوص التي كتبها بالإدريسية ليخدع بها John Dee، أو طمعًا في مال وعطاء الإمبراطور آنذاك، كذلك زعم أن اللغة الهيلينية هي لغة التواصل بين الله عز وجل والملائكة.

وكلها ادّعاءات لا يوجد دليل نقلي أو عقلي على صحتها، وإنما هي خزعبلات وخرافات من وحي الشياطين، يوحون بها إلى أوليائهم من الإنس، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣]، وقال تعالى:

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ
إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].



المبحث الثالث

اللغة التي ينكلم بها ملك الموت، والمكان مع أهل القبور عند

السؤال

كتب الله ﷻ الموت على الخلق أجمعين، الجن والإنس والملائكة ﷻ الحي الذي لا يموت، فقال ﷺ لعبداه محمد ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤، ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وأخبرنا ﷺ أن هناك ملكاً موكلٌ بقبض الأرواح وله أعوان، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]، وقال تعالى في شأن الكفار: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو

أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿[الأنعام: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧، ٢٨].

وأضاف الله ﷻ الوفاة إلى نفسه؛ لأنه لا يتم ولا يقع أمر إلا بأمره؛ قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

وأخبرنا النبي ﷺ عن فتنة القبر، وما يحدث من ابتلاء واختبار في القبور، فعن أنسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبَدًا لَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ»، قال النبي ﷺ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ - أَوْ الْمُنَافِقُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا

تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ
صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»^(٨٤).

أما عن ماهية اللغة التي يتخاطب بها الموتى مع الملائكة، وهل هي اللغة التي كانوا يتحدثوا بها قبل الموت، أو لغة موحدة لهم جميعاً، أو غير ذلك؟ فلا يثبت في ذلك شيء.



(٨٤) أخرجه البخاري (٩٠/٢) كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال، برقم (١٣٣٨)، ومسلم (٢٢٠٠/٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار، برقم (٢٨٧٠/٧٠).

(تنبيه):

اشتهر على ألسنة العوام، والكثير من أهل العلم من المفسرين وغيرهم أن ملك الموت، اسمه: (عزرائيل)، وأنه بالعربية اسمه عبد الجبار، وهذا لا يصح.

لأنه من الإسرائيليات، وما ورد في ذلك من أحاديث مرفوعة، ومقطوعة، فلا يثبت منها شيء.

حيث روي مرفوعًا من حديث علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وأبي ذر، وجابر بن عبد الله رضي الله عنه.

ومقطوعًا من قول وهب بن منبه، وأشعث بن شعيب.

أولاً: حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أخرجه ابن النجار في تاريخه كما في «الحبائك» للسيوطي (ص ٥٣) قال: أخبرنا يوسف بن المبارك بن الكامل الخفاف، قال: أشهد بالله وأشهد لله لقد أخبرني محمد بن عبد الباقي الأنصاري، قال: أشهد بالله وأشهد لله لقد حدثني القاضي أبو العلاء محمد بن علي الواسطي، وقال: أشهد بالله وأشهد لله لقد حدثني عبد السلام بن صالح، وقال: أشهد بالله وأشهد لله لقد حدثني علي بن موسى الرضي، وقال: أشهد بالله وأشهد لله لقد حدثني علي بن موسى الرضي، وقال: أشهد بالله وأشهد لله لقد حدثني أبي موسى بن جعفر، وقال: أشهد بالله وأشهد لله لقد حدثني أبي علي بن أبي طالب، وقال: أشهد بالله وأشهد لله لقد

حدثني رسول الله ﷺ قال: أشهد بالله وأشهد الله لقد حدثني جبريل،
وقال: أشهد بالله وأشهد الله لقد حدثني ميكائيل، وقال: أشهد بالله
وأشهد الله لقد حدثني عزرائيل، وقال: أشهد بالله وأشهد الله إن الله
تعالى قال: «مدمن خمر كعابد وثن».

قلت: هذا إسناد ضعيف جداً، وفيه علتان:

الأولى: عبد السلام بن صالح، وهو ابن سليمان القرشي أبو
الصلت الهروي، واه ومنتهم بالكذب؛ قال أحمد: «روى أحاديث
مناكير»^(٨٥)، ووافقه أبو نعيم الأصبهاني^(٨٦).

وقال النسائي: «رافضي خبيث، ليس بثقة ولا مأمون»^(٨٧)،
وقال ابن عدي: «متهم في أحاديث»^(٨٨).

وضعه أبو حاتم الرازي، وقال: «لم يكن عندي بصدوق، وهو
ضعيف»^(٨٩)، وقال ابن أبي حاتم: «أما أبو زرعة فأمر أن
يضرب على حديث أبي الصلت، وقال: لا أحدث عنه ولا
أرضاه»^(٩٠).

(٨٥) تاريخ بغداد ٣١٥/١٢، تهذيب الكمال ٧٧/١٨.

(٨٦) الضعفاء له ص ١٠٨.

(٨٧) مشيخة النسائي ص ٦٣.

(٨٨) الكامل ٢٥/٧.

(٨٩) الجرح والتعديل ٤٨/٦.

(٩٠) المصدر السابق.

وذكره العقيلي، وقال: «كان رافضياً خبيثاً»^(٩١)، وقال ابن حبان: «يروى عن حماد بن زيد وأهل العراق العجائب في فضائل علي، وأهل بيته، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد»^(٩٢).
الثانية: محمد بن علي الواسطي أبو العلاء، ضعيف؛ قال الخطيب: «رأيت له أصولاً مضطربة، وأشياء سماعه فيها مفسود، إما مصلح بالقلم، وإما مكشوط»^(٩٣)، وقال الذهبي: «ضعيف»^(٩٤).



(٩١) الضعفاء الكبير ٧٠/٣.

(٩٢) المجروحين ١٥١/٢.

(٩٣) تاريخ بغداد ٣١١/٣.

(٩٤) ميزان الاعتدال ٦٥٤/٣، ديوان الضعفاء ص ٣٦٧.

ثانياً: حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

أخرجه أبو نعيم في «الحلية» كما في «إتحاف السادة» للزبيدي (٣٨٢/٨) قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا محمد بن السري القنطري، حدثنا قيس بن إبراهيم بن قيس السامري، حدثنا عبد الرحيم بن يحيى، حدثنا عثمان بن عمارة، حدثنا المعافى بن عمران، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله في الخلق ثلاثمائة قلبهم على قلب آدم عليه السلام ولله في الخلق أربعون قلبهم على قلب موسى عليه السلام ولله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب عزرائيل عليه السلام ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام ولله في الخلق واحد قلبه على قلب إسرائيل عليه السلام».

كذا قال، وهو وهمٌ، وجاء في المطبوع من «حلية الأولياء» (٩/١)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٥٠/٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠٣/١) دون ذكر (عزرائيل)، ومع اختلاف في المتن.

ولفظه: «إن لله ﷻ في الخلق ثلاثمائة، قلوبهم على قلب آدم ﷻ
ولله تعالى في الخلق أربعون، قلوبهم على قلب موسى ﷻ ولله
تعالى في الخلق سبعة، قلوبهم على قلب إبراهيم ﷻ ولله تعالى في
الخلق خمسة، قلوبهم على قلب جبريل ﷻ ولله تعالى في الخلق
ثلاثة، قلوبهم على قلب ميكائيل ﷻ ولله تعالى في الخلق واحد،
قلبه على قلب إسرافيل ﷻ».

ورواه أبو أحمد حسينك التيمي كما في «الكشف الحثيث»
لسبط ابن العجمي (ص ١٨٠)، عن أحمد بن الأزهر، حدثنا
عبد الرحيم ... فذكره.

وعزاه السيوطي في «اللائئ المصنوعة» (٢/٢٨٠)، وتبعه ابن
عراق الكناني في «تنزيه الشريعة» (٢/٣٠٦) إلى الطبراني،
وقال السيوطي: «فيه مجاهيل».

وأخرجه أيضاً بنحوه الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٣/٥٠)،
وقال: «فقاتل الله من وضع هذا الإفك».

قلت: هو كما قال، فهذا حديث موضوع، وفيه علتان:

الأولى: عثمان بن عمار، متهم بالكذب؛ قاله الذهبي (٩٥)،
وقال: «عثمان بن عمار، عن المعافى بن عمران، حديث: لله

(٩٥) ذيل ديوان الضعفاء ص ٤٧.

في الخلق أربعون على قلب موسى ... الحديث، وهو كذب»^(٩٦).

الثانية: عبد الرحيم بن يحيى الأدمي؛ قال الذهبي: «عن عثمان بن عمارة بحديث في الأبدال، أتهمه به أو بعثمان»^(٩٧). وأقره ابن حجر^(٩٨)، ونُقل عنه في موضع: «اتهم بهذا الحديث عبد الرحيم^(٩٩)، وعثمان، وقال الذهبي: إنه كذب»^(١٠٠)، وهو كما قالوا.



(٩٦) ميزان الاعتدال ٥٠/٣.

(٩٧) المصدر السابق ٦٠٨/٢، المغني في الضعفاء ٣٩٢/٢.

(٩٨) لسان الميزان ٤٠٤/٥.

(٩٩) جاء في المطبوع/طبعة دار العاصمة (عبد الرحمن)، وهو تصحيف.

(١٠٠) مقدمة المطالب العالية لابن حجر ٤٥٩/١.

ثالثًا: حديث أبي ذر رضي الله عنه.

أخرجه الملا في سيرته كما في «سمط النجوم العوالي» للعصامي (٣٢/٣) عن أبي ذر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا أُسْرِي بِي مَرَرْتُ عَلَى مَلِكٍ جَالِسٍ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ نُورٍ، وَإِحْدَى رِجْلَيْهِ فِي الْمَشْرِقِ، وَالْأُخْرَى فِي الْمَغْرِبِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ لَوْحٌ يَنْظُرُ فِيهِ، وَالدُّنْيَا كُلُّهَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَالْخَلْقُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَرِكْبَتَيْهِ وَيَدَيْهِ تَبْلُغُ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيْلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا عِزْرَائِيْلُ، تَقْدُمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَتَقَدَّمْتُ فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَحْمَدُ، مَا فَعَلَ ابْنُ عَمِّكَ عَلِيٌّ؟ فَقُلْتُ: وَهَلْ تَعْرِفُ ابْنَ عَمِي عَلِيًّا؟! فَقَالَ: وَكَيْفَ لَا أَعْرِفُهُ، وَقَدْ وَكَلَنِي اللَّهُ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْخَلَائِقِ مَا خَلَا رُوحَكَ، وَرُوحَ ابْنِ عَمِّكَ عَلِيٍّ بِنِ بَنِي طَالِبٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوفَاهُ كَمَا شِئْتَهُ».

رابعًا: حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

ذكره السيوطي في «الحاوي للفتاوي» (٥٢ / ٢) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «لَمَّا أُسْرِي بِي مَرَرْتُ بِمَلِكٍ جَالِسٍ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ نُورٍ، إِحْدَى رِجْلَيْهِ فِي الْمَشْرِقِ وَالْأُخْرَى فِي الْمَغْرِبِ، وَالدُّنْيَا كُلُّهَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ لَوْحٌ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيْلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: عِزْرَائِيْلُ تَقْدُمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ،

فَسَأَلْتُ عَلَيْهِ. فَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَحْمَدُ مَا فَعَلَ ابْنُ
عَمِّكَ عَلِيٌّ؟
قُلْتُ: هَلْ تَعْرِفُ ابْنَ عَمِّي عَلِيًّا؟ قَالَ: وَكَيْفَ لَا أَعْرِفُهُ، وَقَدْ
وَكَّلَنِي رَبِّي بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْخَلَائِقِ مَا خَلَا رُوحَكَ، وَرُوحَ ابْنِ
عَمِّكَ».

قلت: ولم أقف على أسانيدهما، وعلامات الوضع ظاهرة
عليهما، فهما من وضع متعصبي الشيعة، كما أنهما مخلفان
لعموم قول الله ﷻ: ﴿قُلْ يَتُوقَاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ
إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

ولما ثبت في «الصحيحين» بأن ملك الموت قبض روح من
هو أفضل من علي بن أبي طالب ﷺ وهو موسى كليم الله ﷺ
فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَىٰ مُوسَى ﷺ
فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَزَجَعَ إِلَىٰ رَبِّهِ، فَقَالَ: أُرْسَلْتَنِي إِلَىٰ عَبْدٍ لَا
يُرِيدُ الْمَوْتَ، فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ
يَدَهُ عَلَىٰ مَتْنِ ثَوْبٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةً،
قَالَ: أَيُّ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَإِلَانَ، فَسَأَلَ اللَّهُ
أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ

اللَّهِ ﷻ: «فَلَوْ كُنْتُ نَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ
الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ» (١٠١).

ولا يوجد دليل صحيح على تخصيص إنسان بعدم قبض روحه
من قبل ملك الموت، وأعوانه دون آخر، وإنما هو التعصب
والغلو، نعوذ بالله ﷻ منهما.



(تنبيه):

جاء في «معترك الأقران/ طبعة دار الكتب العلمية» للسيوطي
(٣٢/٢) قال: «وأخرج ابن أبي حاتم، وغيره، من طريق سعيد
بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: كان اسم إبليس عزرائيل»،
وهو تصحيف، وإنما هو (عزرايل)، وتفصيل صحة هذا الاسم
أو خطأه، له موضع آخر.



(١٠١) تقدم تخريجه.

خامساً: قول وهب بن منبه.

أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (٣ / ٨٩٩) برقم (٤٣٩) قال: حدثنا عبد الله بن سلم، حدثنا محمد بن أحمد الحسني، عن محمد بن إبراهيم بن العلاء، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال: ثم قال: «كُنْ فَكُونَ عِزْرَائِيلَ ﷺ ثُمَّ قَالَ: كُنْ فَكُونَ كَبْشًا أَمْلَحَ مُسْتَتِرًا بِسَوَادٍ وَبِيَاضٍ، لَهُ أَرْبَعَةٌ أَجْنِحَةٌ: جَنَاحٌ تَحْتَ الْعَرْشِ ... ثُمَّ قَالَ لِلْمَوْتِ: ابْرُزْ فَبَرَزَ الْمَوْتُ لِعِزْرَائِيلَ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] الْآيَةَ، فَهَوْلَاءِ الْأَرْبَعَةُ الْأَمْلاكِ جِبْرِيْلُ، وَمِيكَائِيلُ، وَإِسْرَافِيْلُ، وَمَلَكَ الْمَوْتِ ﷻ أَوَّلُ مَنْ خَلَقَهُمُ اللَّهُ ﷻ مِنَ الْخَلْقِ، وَآخِرُ مَنْ يُمِيتُهُمُ اللَّهُ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحْيِيهِمْ وَهُمْ الْمُدَبِّرَاتُ أَمْرًا وَالْمُقَسَّمَاتُ أَمْرًا».

قلت: هذا إسناد واه وباطل؛ آفته محمد بن إبراهيم بن العلاء، وهما اثنان:

أحدهما: الشامي الدمشقي، أبو عبد الله الزاهد، السائح، سأل البرقاني الدارقطني عنه، فقال: «كذاب»^(١٠٢)، وقال ابن حبان: «يضع الحديث على الشاميين»^(١٠٣).

الثاني: الحمصي الزبيدي؛ قال محمد بن عوف: «كان يسرق الحديث»^(١٠٤).

ومن ثم فعلى كلا الأمرين الأثر باطل، وقال ابن حجر العسقلاني: «منكر»^(١٠٥).

وهو كما قال، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني من وجه آخر واه عنه في «العظمة» (٨٤٧/٣) برقم (٣٩٤) قال: حدثني عبد الله بن سلم، حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، عن محمد بن إبراهيم بن العلاء، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، عن عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: يَا إِسْرَافِيلُ، هَاتِ مَا وَكَلْتُكَ بِهِ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ فِي الصُّورِ كَذَا وَكَذَا تُقْبَةً، وَكَذَا وَكَذَا رُوحًا، لِإِنْسٍ مِنْهَا كَذَا وَكَذَا، وَلِلْجِنِّ مِنْهَا كَذَا وَكَذَا،

(١٠٢) سؤالات البرقاني للدارقطني ص ٥٨.

(١٠٣) المجروحين ٣٠١/٢.

(١٠٤) الكامل في ضعفاء الرجال ٥٤٧/٧.

(١٠٥) الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع ص ١٠٨.

وَالشَّيَاطِينِ مِنْهَا كَذًا وَكَذًا، وَلِلْوُحُوشِ مِنْهَا كَذًا وَكَذًا ... ثُمَّ
يَقُولُ ﷻ: هَاتِ مَا وَكَلْتُكَ بِهِ يَا عِزْرَائِيلُ. فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ
قَبَضْتُ رُوحَ كَذًا وَكَذًا إِنْسِيَّ وَكَذًا وَكَذًا جِنِّيَّ، وَكَذًا وَكَذًا
شَيْطَانِيَّ وَكَذًا وَكَذًا غَرِيقِيَّ، وَكَذًا وَكَذًا حَرِيقِيَّ، وَكَذًا وَكَذًا كَافِرِيَّ،
وَكَذًا وَكَذًا شَهِيدِيَّ وَكَذًا وَكَذًا هَدِيمِيَّ وَكَذًا وَكَذًا لَدِيعِيَّ...».



سادساً: قول أشعث بن شعيب.

أخرجه ابن أبي الدنيا، ومن طريقه أبو الشيخ في «العظمة» (٩٠٨ / ٣) برقم (٤٤٣) قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد - ابن أبي الدنيا -، حدثنا داود بن رشيد، حدثنا حكام، عن عنبسة، عن أشعث، قال: «سَأَلَ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَلَكَ الْمَوْتِ ﷺ وَأَسْمُهُ عِزْرَائِيلُ، وَلَهُ عَيْنَانِ عَيْنٌ فِي وَجْهِهِ وَعَيْنٌ فِي قَفَاهُ، فَقَالَ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ، مَا تَصْنَعُ إِذَا كَانَتْ نَفْسٌ بِالْمَشْرِقِ وَنَفْسٌ بِالْمَغْرِبِ، وَوَقَعَ الْوَبَاءُ بِأَرْضِ، وَالتَّقَى الزَّحْفَانِ كَيْفَ تَصْنَعُ؟ قَالَ: أَدْعُو الْأَزْوَاحَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﷻ فَتَكُونُ بَيْنَ أَصْبُعَيْ هَاتَيْنِ. قَالَ: وَدَحِيَّتْ لَهُ الْأَرْضُ فَتُرْكَبُ مِثْلَ الطَّسْتِ يَتَنَاوَلُ مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ. قَالَ: وَهُوَ الَّذِي بَشَّرَهُ بِأَنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ ﷻ».

قلت: وهذا باطل، فبين أشعث وإبراهيم الخليل ﷺ أو النبي ﷺ مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل، وقال ابن حجر: «الحديث معضل» (١٠٦).

(١٠٦) الإمتناع بالأربعين المتباينة السماع ص ١٠٨.

وهو كما قال، ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي، ولا مجال للاجتهاد فيه.

والراجع في المسألة أن اسمه كما أخبرنا الله ﷻ هو ملك الموت؛ قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]، ولا يثبت غير ذلك من وجه يصح.

ولمزيد من التفصيل راجع كتابي (سلسلة الأحاديث والآثار المشهورة في الميزان).



المبحث الرابع

اللغة التي تحدثها آدم ﷺ ويكنبها الكرام الكاتين

ثبت في القرآن الكريم والسنة النبوية كلام آدم ﷺ مع الملائكة، وإبليس، وموسى ﷺ قال تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (٢١) فَذَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتَا لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف: ٢١-٢٤].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَخْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُوْنَا خَيْبَتْنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ

لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرِ قَدَرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي
بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ
مُوسَى» (١٠٧).

أما عن ماهية اللغة التي تحدث بها، فقد ورد تعيينها بإسناد لا يصح عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفًا؛ أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠٦/٧) قال: أنبأنا أبو طاهر الحنائي، وأبو محمد بن الأكفاني، وابن السمرقندي، قالوا: أنا أبو الحسن بن أبي الحديد، وأخبرنا أبو الحسين بن أبي الحديد، أنا جدي أبو عبد الله، أنا أبي أبو الحسن، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا عبد السلام بن أحمد بن محمد القرشي، أنا محمد بن إسماعيل التميمي، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزاهد، نا موسى بن إبراهيم المروزي، نا نوح بن دراج، عن أبي روق الهمداني، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه: «أَنَّ آدَمَ كَانَ لُغْتَهُ فِي الْجَنَّةِ الْعَرَبِيَّةَ، فَلَمَّا عَصَى رَبَّهُ سَلَبَهُ اللهُ الْعَرَبِيَّةَ، فَتَكَلَّمَ بِالسَّرْيَانِيَّةِ، فَلَمَّا تَابَ اللهُ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ الْعَرَبِيَّةَ».

قلت: هذا حديث موضوع، آفته نوح بن درَّاج؛ قال ابن معين: «كذَّابٌ خَبِيثٌ» (١٠٨)، وتبعه أبو داود، وقال: «كذاب يضع

(١٠٧) تقدم تخريجه.

(١٠٨) تاريخ ابن معين-رواية الدوري ٣/٣٦٢.

الأحاديث»^(١٠٩)، وضعفه البخاري، فقال: «ليس بذلك»^(١١٠)، وقال الجوزجاني: «زائغ»^(١١١)، وتركه النسائي^(١١٢)، وذكره ابن حبان، وقال: «ممن يروي الموضوعات عن الثقات، حتى ربما يسبق إلى القلب أنه كان يعتمد ذلك من كثرة ما يأتي به»^(١١٣). كذلك تلميذه موسى بن إبراهيم المروزي، كذّاب؛ قاله ابن معين^(١١٤)، وقال الدارقطني: «متروك»^(١١٥).

فإن قيل: يشهد لهذا الأثر ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطَوَّلَهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَاسْتَمِعَ مَا يُحْيُونَكَ، تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ

(١٠٩) ديوان الضعفاء ص ٤١٤، ميزان الاعتدال ٢٧٦/٤.

(١١٠) التاريخ الكبير ١١٢/٨.

(١١١) أحوال الرجال ص ٧٥.

(١١٢) الضعفاء والمتروكون له ص ١٠١.

(١١٣) المجروحين ٤٦/٣.

(١١٤) تاريخ بغداد ٢٨/١٥، الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي ١٤٤/٣، التكميل في

الجرح والتعديل ٢٢٨/١.

(١١٥) المصدر السابق.

الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى
الآن»^(١١٦).

قلت: هذا ليس دليلاً على أن لغته في الجنة هي العربية، ولعل ما ذكر حكاية عن قوله دون لفظه، من مخاطباته للملائكة، كما ورد عن غيره من الأنبياء والرسل، فالله ﷻ أرسل كل رسول بلسان ولغة قومه؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]. وهذا يدل على تعدد لغاتهم، ولا يوجد دليل صحيح يمكن الاعتماد عليه، والجزم بلغة دون أخرى أنها لغة آدم ﷺ وإذا كان ذلك كذلك بطل الاستشهاد والاستدلال بذلك الحديث.

كذلك تبين بطلان دعوى عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٨) وقوله: «كان لسان اثني عشر من الأنبياء العربية: آدم، وشيث، وهود ... وذلك أن اللسان الذي نزل به آدم من الجنة كان عربياً؛ لأنه كلام الله، وكلام ملائكته، وكلام أهل الجنة إذا صاروا إليها»^(١١٧).

(١١٦) أخرجه البخاري (١٣١/٤) كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، برقم (٣٣٢٦)، ومسلم (٢١٨٣/٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، برقم (٢٨٤١/٢٨).
(١١٧) التاريخ له ص ٢٠.

كذلك بطلان ما نقله الشيخ المفيد الشيعي^(١١٨) (ت ٤١٣) عن بعضهم من أن لسان آدم ﷺ العربية، وهو لسان أهل الجنة، وأنه لما عصى الله ﷻ أبدله بالجنة ونعيمها، الأرض والحرث، ولسان العربية السريانية.



(١١٨) الاختصاص له ص ٢٥٦.

أما اللغة التي يكتب بها الكرام الكاتبين:

فقد أخبرنا الله ﷻ أن هناك ملائكة حفظة لنا تتولى كتابة كل ما نفعله؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨].

فكل ما يقوم به الإنسان من أفعال وأقوال، تُكتب وتُدون عليه، من قبل ملائكة شداد لا يعصون الله ﷻ ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. أما عن طبيعة اللغة التي تُكتب بها هذه الأعمال والأفعال، فلا يوجد دليل نقلي ولا عقلي صحيح يمكن الاستناد إليه، وترجيح لغة دون أخرى.

وهل تُكتب باللغة التي يتكلم به الشخص، سواء كانت العربية أو الفرنسية... إلخ، أو هي لغة واحدة يكتب بها الملائكة، مهما اختلفت لغات، وجنسيات البشر، فانه ﷻ وحده أعلم.



المبحث الخامس

لغة الشياطين

أخبرنا الله ﷻ عن عصيان إبليس لأمره ﷻ ورفضه السجود
لآدم ﷻ لأنه رأى في نفسه أنه خير منه، وبعد غضب الله ﷻ
عليه، كان عدواً لآدم ولذريته؛ قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ
كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ
(٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ
أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي
مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ
(٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي
إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ
الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا
عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [ص: ٧٣ - ٨٣].

وقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى
شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى﴾ [طه: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ

سَوَاتِنِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا
مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكَمَّا لَمِئِنَ
النَّاصِحِينَ ﴿[الأعراف: ٢٠، ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ
وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ
إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا
بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ
قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وَكَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ رِكَاعَةٍ
رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْتُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ
لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَذَكَرَ الْحَدِيثَ - فَقَالَ: إِذَا أُوَيْتَ
إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا
يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ وَهُوَ
كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ» (١١٩).

وعن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول
الله ﷺ: «إِنَّ إبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ
سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدَهُمْ

(١١٩) أخرجه البخاري (١٢٣/٤) كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم
(٣٢٧٥).

فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ
يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ،
قَالَ: فَيُذْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ»، قال الأعمش: أَرَاهُ قَالَ:
«فَيَلْتَرِمُهُ»^(١٢٠).

واختلف في ماهية لغتهم، فأخرج ابن حبان معلقًا في
«المجروحين» (١٢٩/١)، والجورقاني واللفظ له في «الأباطيل
والمناكير» (٣١٧/٢) برقم (٦٦٠)، وابن الجوزي في
«الموضوعات» (٧١/٣) من طريق أبي عصمة عاصم بن عبد الله
الجلبي، عن إسماعيل بن زياد، عن غالب القطان، عن المقبري، عن
أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أبغض الكلام إلى الله صلى الله عليه وسلم
الفارسية، وكلام الشياطين بالخوزية»^(١٢١).

(١٢٠) أخرجه مسلم (٢١٦٧/٤) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان
وبعته سراياه لفتنة الناس، برقم (٢٨١٣/٦٧).

(١٢١) الخوزية: نسبة إلى خوزستان، وهي منطقة في بلاد فارس، وحاليًا يطلق هذا
الاسم على إحدى محافظات إيران؛ قال حمزة الأصفهاني (ت ٣٦٠): «أما الخوزية
فهي منسوبة إلى كور بلاد خوزستان، وبها كان تكلم الملوك والأشراف في الخلاء
ومواضع الاستفراغ وعند التعري في الحمام وفي الأتون والمغتسل» (النتبيه على
حدوث التصحيف ص ٢٤).

ولفظ ابن الجوزي: (كلام الشياطين بالحوارية)، وهي إحدى اللغات القديمة في الشرق الأدنى، والذي يمثله حاليًا مع تفصيل العديد من الدول كمصر، والعراق، وتركيا، وسوريا، ولبنان، وغيرهم.

قال ابن حبان: «هذا موضوع لا أصل له من كلام رسول الله ﷺ ولا أبو هريرة حدّث به»، وتبعه الجورقاني.

قلت: هو كما قالوا، فهذا حديث موضوع، آفته إسماعيل بن زياد، وقيل: ابن أبي زياد السكوني؛ كذاب.

قال ابن حبان: «شيخ دجال لا يحل ذكره في الحديث إلا على سبيل القدح فيه»^(١٢٢)، وقال ابن عدي: «منكر الحديث ... عامة ما يرويه لا يتابعه أحد عليه، إما إسنادًا، وإما متناً»^(١٢٣)، وقال الدارقطني: «متروك، يضع الحديث»^(١٢٤)، وقال في موضع آخر: «يضع، كذاب، متروك»^(١٢٥)، وتبعهم الجورقاني، فقال: «كان وضاعًا كذابًا، لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل الطعن فيه»^(١٢٦).

(١٢٢) المجروحين ١/١٢٩.

(١٢٣) الكامل ١/٥١٠-٥١١.

(١٢٤) سؤالات البرقاني للدارقطني ص ١٣.

(١٢٥) الضعفاء والمتروكون له ١/٢٥٦.

(١٢٦) الأباطيل والمناكير ٢/٣١٨.

وأبو عصمة عاصم، وقيل: عامر، لم أقف على جرح أو تعديل فيه،
فهو مجهول.



المبحث السادس

لغتي ياجوج وماجوج، والمسيح الدجال، وعيسى عليه السلام وذابطة الأرض

جعل الله ﷻ بين يدي الساعة علامات وأمارات تحدث قبل يوم القيامة، ودليلا على قربه، وهذا من رحمته ولطفه بعباده ﷻ وهي: صغرى وكبرى، ومنهم من يقسمها إلى ثلاثة وبضيف الوسطى، وهو اصطلاح تفسيري، ولكن ليس ثم دليل يدل على وجود الوسطى، وإن كانت موجودة ضمناً، ومندرجة في الصغرى، وعلى كلٍ فهو من اختلاف التنوع لا التضاد، ولا مشاحة في الاصطلاح.

أما الصغرى فهي من الأمارات البعيدة التي ظهرت وانقضت، ودلّ الدليل على أنها من علامات قرب الساعة، وليس من العلامات العشر الكبرى، ومنها:

١- بعثة الرسول ﷺ لما أخرجه الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، قال أنس: وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى (١٢٧).

(١٢٧) أخرجه البخاري (١٠٥/٨) كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، برقم (٦٥٠٤)، ومسلم واللفظ له (٢٢٦٩/٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب

٢- انشقاق القمر، كما أخبر الله ﷺ في كتابه؛ قال تعالى:
﴿اَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

٣- خروج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل
ببُصرى؛ لما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن
رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ
الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى» (١٢٨).

وقد خرجت هذه النار على ما أخبر النبي ﷺ في مستهل
جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة^(١٢٩)، وكان خروجها
من شرقي المدينة النبوية، وسالت بسببها أودية من نار،
وارتاع الناس منها، ورأى ضوءها أهل الشام، ورأى أهل
بُصرى - وهي إحدى قرى دمشق - أعناق الإبل في ضوءها
كما أخبر النبي ﷺ.

وقد حصل خلط شديد عند البعض حول خروج النار هل هو
من الحجاز أم من اليمن؟ فالجواب أنهما ناران:

قرب الساعة، برقم (٢٩٥١/١٣٥).

(١٢٨) أخرجه البخاري (٥٨/٩) كتاب الفتن، باب خروج النار، برقم (٧١١٨)، ومسلم

(٢٢٢٧/٤) كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار، برقم
(٢٩٠٢/٤٢).

(١٢٩) البداية والنهاية ١٣/١٩٢.

الأولى: تخرج من الحجاز وهذه من الأشرطة الصغرى، وقد خرجت هذه النار بالفعل كما تقدم.

والثانية: تخرج من اليمن^(١٣٠) وهي من الأشرطة الكبرى التي لم تظهر بعد، وجاءت روايات بأنها تخرج من فُغرة عَدَن^(١٣١) تحشر الناس إلى محشرهم، وفي أخرى بأنها ستخرج من حضرموت، وقيل: من نحو بحر حضر موت^(١٣٢)، وعلى كل حال فهي آخر العلامات العظمى لأشراط الساعة، وأول الآيات المؤذنة بقيام القيامة.



(١٣٠) أخرجه مسلم (٢٢٢٥/٤) برقم (٢٩٠١/٣٩) من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه مرفوعاً: «وَأَخْرَجَ ذَلِكَ نَارًا تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُقُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ».

(١٣١) أخرجه مسلم (٢٢٢٦/٤) برقم (٢٩٠١/٤٠) من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه: «وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ فُغْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ».

(١٣٢) أخرجه الترمذي (٦٨/٤) برقم (٢٢١٧) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتٍ أَوْ مِنْ نَحْوِ بَحْرِ حَضْرَمَوْتٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ تَحْشُرُ النَّاسَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ»، وقال: «حديث حسن صحيح غريب».

أما الأشراف الوسطى:

وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تتزايد وتكثر، وهي كثيرة جداً،
منها:

أن تلد الأمة ربتها، وتناول الحفاة العراة رعاء الشاء في
البنيان، كما جاء في حديث جبريل المشهور، وفيه: «قَالَ:
فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ
السَّائِلِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا،
وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوُلُونَ فِي
الْبُنْيَانِ، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي يَا عَمْرُؤُ اتَّذِرِي
مَنْ السَّائِلُ؟ قلت: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ
يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» (١٣٣).

٣- خروج دجالين ثلاثين يدعون النبوة كما جاء في حديث
أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى
يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ
اللَّهِ» (١٣٤).

(١٣٣) أخرجه مسلم (٣٦/١) كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة
الساعة، برقم (٨/١) من حديث عمر رضي الله عنه.

(١٣٤) أخرجه البخاري (٢٠٠/٤) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم
(٣٦٠٩)، ومسلم (٢٢٣٩/٤) كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر

٤- انحسار الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، وذلك كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَن جَبَلٍ مِّنْ ذَهَبٍ، يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو»^(١٣٥)، وهذه العلامة لم تقع بعد.

٥- الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفض سنته، ورفع العلم وانتشار الجهل، وشرب الخمر، وانتشار الزنا؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزَّانَا»^(١٣٦).



الرجل بقبر الرجل، برقم (١٥٧/٨٤).

(١٣٥) أخرجه البخاري (٥٨/٩) كتاب الفتن، باب خروج النار، برقم (٧١١٩)، ومسلم واللفظ له (٢٢١٩/٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، برقم (٢٨٩٤/٢٩).

(١٣٦) أخرجه البخاري (٢٧/١) كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، برقم (٨٠)، ومسلم (٢٠٥٦/٤) كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل، برقم (٢٦٧١/٨).

أما الأشرطة الكبرى:

وهي العلامات العظام والأشرطة الجسام التي تعقبها الساعة مباشرة، وهي مشبهة بالعقد الذي إذا انقطع تتابع الخرز، وهي عشر علامات، ولم يظهر منها شيء بعد!

وهذه العلامات العشر بعضها جاء مرتبًا، مثل: (ظهور محمد المهدي، ثم المسيح الدجال، ثم نزول عيسى ابن مريم فيدرك الدجال بباب لُدٍّ -وُلُدٍّ بلدة قريبة من بيت المقدس- فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص، فيهلكه الله ﷻ إذا رأى عيسى ﷺ ثم خروج يأجوج ومأجوج وذلك كما جاء في حديث النواس بن سمعان ؓ وغيره، ثم آخر هذه العلامات خروج نار من اليمن تحشر الناس إلى أرض المحشر بالشام).

أما باقي العلامات وهي: (هدم الكعبة، ورفع القرآن، وخروج الدابة، والدخان، وطلوع الشمس من المغرب) فالله ﷻ وحده هو أعلم بترتيبها.

وقد نظم ورتب السفاريني (ت ١١٨٨) هذه العلامات في عقيدته^(١٣٧)، وفي ترتيبه لبعضها نظر، وما يهمنا هو أن هذه العلامات العشر تأتي متتابعة للدلالة على قرب يوم القيامة.

(١٣٧) العقيدة السفارينية ص ٧٥.

أولاً: المسيح الدجال:

وهو أعظم فتنة منذ خُلِق آدم ﷺ إلى قيام الساعة فهو أكذب الكاذبين، رجل من بني آدم يخرج في آخر الزمان في زمن محمد المهدي ﷺ والمهدي رجل من أهل بيت ﷺ من ولد الحسن بن علي ﷺ.

فعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمَهُ اسْمِي» (١٣٨).

وهو أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، وهو غير موجود الآن، وإنما يُولد في زمنه كأبي إنسان، وليس بالمنتظر الذي تزعم الروافض، وترتجي ظهوره من سرداب في سامراء، فإن ذلك ما لا حقيقة له.

ويَدَّعي الدَّجال الصلاح في عهده، ثم يدعي النبوة، ثم الربوبية، فيتبعه اليهود، فيقودهم، ويحصل بسببه على المسلمين فتن عظيمة، وما من نبي إلا حذر أمته منه، وأشدهم تحذيراً منه نبينا محمد ﷺ فَيُفتن به كثير من الخلق.

(١٣٨) أخرجه أحمد (١٧٤/٧)، والترمذي واللفظ له (٧٥/٤) أبواب الفتن، باب ما جاء في المهدي، برقم (٢٢٣٠)؛ قال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

يُجري الله ﷻ على يديه بعض الأعمال الخارقة، ولا يروج باطله على المؤمن، ويدخل الأمصار كلها إلا مكة والمدينة، ومعه نار وجنة، فناره جنة، وجنته نار.

وهو غير موجود الآن، ولكن الله ﷻ يبعثه متى شاء، وذلك لما أخرجه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما صَلَّى بِنَا النَّبِيِّ ﷺ الْعِشَاءَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لِيَلْتَكُم هَذِهِ فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ» (١٣٩).

وذلك باستثناء يأجوج ومأجوج لورود الأدلة بذلك كما سيأتي، والدجال أعور، ومكتوب بين عينيه كافر، كما أن فتنته للأحياء وليست للأموات، وقد دلَّ على ظهوره، وصفته أحاديث صحيحة كثيرة، منها:

ما أخرجه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ، فَقَالَ: «إِنِّي لَأُنذِرْكُمْوَهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ

(١٣٩) أخرجه البخاري (٣٤/١) كتاب العلم، باب السمر في العلم، برقم (١١٦)، ومسلم (١٩٦٥/٤) كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض أحد، برقم (٢٥٣٧/٢١٧).

قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيُّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ
أَنَّهُ أَعْوَرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» (١٤٠).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
«يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُتُ أَرْبَعِينَ لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا
أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
كَأَنَّهُ عَزْوَةٌ بِنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيَهْلِكُهُ...» (١٤١).

وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا
أَنْذَرَ قَوْمَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رِيْكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ
مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ» (١٤٢).

وفي حديث النّوأس بن سمعان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّهُ
شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أَشَبَّهُهُ بِعَبْدِ الْعُرَى بْنِ قَطَنِ،
فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ

(١٤٠) أخرجه البخاري (١٣٤/٤) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا
نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، برقم (٣٣٣٧)، ومسلم
(٢٢٤٥/٤) كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ذكر ابن صياد، برقم (١٦٩).

(١٤١) أخرجه مسلم (٢٢٥٨/٤) كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه
في الأرض، ونزول عيسى، برقم (٢٩٤٠/١١٦).

(١٤٢) أخرجه البخاري (١٢١/٩) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلْيُصْنَعْ عَلَى
عَيْنِي﴾، برقم (٧٤٠٨)، ومسلم (٢٢٤٨/٤) كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ذكر الدجال
وصفته وما معه، برقم (٢٩٣٣/١٠١).

خَلَّةَ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا لَبِثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمَ كَسَنَةٍ، وَيَوْمَ كَشَهْرٍ، وَيَوْمَ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرَ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ ... فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أُنْحَاةِ مَلَكَينِ إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطْرًا، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّوْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يَدْرِكَهُ بِبَابٍ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرَّرْتُ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ...» (١٤٣).



(١٤٣) أخرجه مسلم (٢٢٥٠/٤) كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، برقم (٢٩٣٧/١١٠).

ثانياً: نزول عيسى ابن مريم ﷺ.

أثنى الله ﷻ على أقوام يؤمنون بالغيب، فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ
الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢، ٣].

ومن الإيمان بالغيب الإيمان بنزول عيسى ﷺ من السماء،
فهو ﷺ لم يُقتل ولم يُصلب كما زعمت اليهود، والنصارى،
وغيرهم.

بل رفعه الله ﷻ إليه حيّاً ببدنه، وروحه؛ قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ
إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا
صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا
لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ
اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

فينزل ﷺ حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويحكم
بشريعة الإسلام، ويقضي بكتاب الله ﷻ وسنة النبي ﷺ لا
بغيرهما.

لا بالإنجيل، أو أي مذهب من المذاهب، كما دل على ذلك
النصوص من الكتاب والسنة؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ
فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

ودلالة الضمير في قوله تعالى: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ ظنية، حيث تحتمل (الهاء) العود على اليهود والنصارى، وأن منهم قبل وفاته وموته سيؤمن ببشرية ونبوة عيسى ﷺ ودعوته، وأنه عبد الله ورسوله، وأنه لم يمت بل رفعه الله ﷻ إليه.

ويحتمل الضمير العود على عيسى ﷺ أي عند نزوله آخر الزمان، وقبل موته هناك من أهل الكتاب من يؤمن بحكمه بشريعة الإسلام، ودعوته إلى توحيد الله ﷻ وإفراده بالالوهية والعبودية.

وقد دلت الأحاديث الثابتة على نزول عيسى ﷺ فهو من الإيمان بالغيب الذي مدح الله ﷻ به عباده المؤمنين.

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: وَأَفْرَعُوا إِنْ

سِنْتُمْ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾^(١٤٤).

وقد تقدم في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه نزوله ﷺ آخر الزمان، وقتله للمسيح الدجال، وحكمه بشريعة الإسلام. ومما عمت به البلوى في هذا الأمر أن بعض متعصبي (الحنفية) وهو الحصكفي (ت ١٠٨٨) ذهب إلى أن عيسى ﷺ عندما ينزل يحكم بالمذهب الحنفي!! حيث قال: «والحاصل أن أبا حنيفة النعمان من أعظم معجزات المصطفى بعد القرآن، وحسبك من مناقبه اشتهاه مذهبه، ما قال قولاً إلا أخذ به إمام من الأئمة الأعلام، وقد جعل الله الحكم لأصحابه وأتباعه من زمنه إلى هذه الأيام، إلى أن يحكم بمذهبه عيسى ﷺ»^(١٤٥)، نعوذ بالله ﷻ من الغلو والتعصب.



(١٤٤) أخرجه البخاري (١٦٨/٤) كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، برقم (٣٤٤٨)، ومسلم (١٣٥/١) كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم، برقم (١٥٥/٢٤٢).

(١٤٥) الدر المختار شرح تنوير الأبصار ص ١٣.

ثالثاً: خروج يأجوج ومأجوج.

جعل الله ﷻ من أشرط الساعة الكبرى خروج يأجوج ومأجوج، وهما قبيلتان من ولد يافث بن نوح، وهم خلق كثير لا يدان لأحد بقتالهم، وقد دل على خروجهم الكتاب والسنة؛ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

وهم أمة من الأمم من بني آدم ﷺ كانوا في زمن ذي القرنين، وبني دونهم السد، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) أَتُونِي زُرًّا الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا [الكهف: ٩٣-٩٨].

فلا يستطيعون الصعود فوق الحائط، ولا يستطيعون نعبه؛ لقوته فهو من الحديد والبأس الشديد، ولكن إذا جاء وعد الله

ﷺ جعله دكًا، وكان وعد الله ﷻ حقًا، فيخرجون ويفتكون بالعالم، وليس لأحد طاقة في قتالهم، ثم يهلكهم الله في ساعة واحدة.

وقد أفادت الآيات فائدتين:

الأولى: أن يأجوج ومأجوج موجودان اليوم، وموجودان قبل ذلك، فهما قبيلان، أو قبيلتان، أو شعبان كبيران، يعظم أمرهما عند قيام الساعة.

الثانية: أنهم يأتون من كل حدب، والحدب هو الجهة، و﴿يُنْسَلُونَ﴾ هذا من النسلان وهو السير ليلاً، فهم يأتون من كل جهة، فرما مروا على البحيرة العظيمة فشربوا ماءها كلها؛ قال ابن حجر: «وهذه الأمة -أي أمة محمد ﷺ- بالنسبة إليهم نحو عشر عشر العشر، وأنهم من ذرية آدم ردًا على من قال خلاف ذلك»^(١٤٦).

وهو كما قال، ولكن في تحديده لهذه النسبة، نظر؛ لأنه لا يوجد دليل نقلي فيما أعلم يدل على صحتها.

وخرج يأجوج ومأجوج يكون في عهد عيسى ﷺ بعد قتله للدجال، وهذا من آيات الساعة الكبرى، ثم يدعوا عليهم

(١٤٦) فتح الباري ٦/٣٨٦.

عيسى ﷺ ومن معه فيموتون، ثم تُنْتِنُ الأرض التي هم فيها
بِنْتِنِ أجسادهم، فيأمر الله ﷻ رِيحًا، أو طيورًا بحملهم في
البحر.

وقد حذر منهم النبي ﷺ فعن أم المؤمنين زينب بنت جحش
رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها يومًا فزعًا يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ
وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ، وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ
زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟
قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ» (١٤٧).



(١٤٧) أخرجه البخاري (١٣٨/٤) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج، ومأجوج، برقم
(٣٣٤٦)، ومسلم (٢٢٠٧/٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج
ومأجوج، برقم (٢٨٨٠/١).

رابعاً: خروج دابة الأرض.

يعد خروج الدابة من أهم أشراف الساعة، وهي مخلوق عظيم،
اختلفَ في صفتها، ومكان خروجها.

قيل: إن طولها ستون ذراعاً ذات قوائم ووبر، وقيل: هي
مختلفة الخلقَة تشبه عدة من الحيوانات، وقيل غير ذلك.

تُكَلِّمُ النَّاسَ، وتسميهم مؤمناً وكافراً، وذلك عند فساد الناس،
وتركهم أوامر الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ
أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا
يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ
لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي
إِيْمَانِهَا خَيْرًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالِدَجَالُ، وَدَابَّةُ
الْأَرْضِ»^(١٤٨).

وبتلخص عملها على الراجح في أنها تكلم الناس، وقولها أن
الناس بآيات الله ﷻ لا يؤمنون.



(١٤٨) أخرجه مسلم (١/١٣٧) كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان،
برقم (١٥٨/٢٤٩).

أما عن ماهية اللغة التي يتحدثون بها، فأخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨١/٤٧) قال: أخبرنا أبو الحسن بركات بن عبد العزيز بن الحسين الأنماطي، وأبو محمد عبد الكريم بن حمزة، قالوا: حدثنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، أخبرني أبو الحسن إسماعيل بن عيسى العطار، أنبأنا إسحاق بن بشر، قال: وأنبأنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة ومقاتل، ومقاتل عن قتادة، عن عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أَوْحَى اللَّهُ ﷻ إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ يَا عِيسَى جِدِّ فِي أَمْرِي، وَلَا تَهَنْ، وَاسْمَعْ وَأَطِعْ، يَا ابْنَ الطَّاهِرَةِ الْبَحْرِ الْبُتُولِ، إِنَّكَ مِنْ غَيْرِ فَحَلِّ، وَأَنَا خَلَقْتُكَ آيَةً لِلْعَالَمِينَ، إِيَّايَ فَاغْبُدْ، وَعَلَيَّ فَتَوَكَّلْ، خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ، فَسِرْ لِأَهْلِ السَّرْيَانِيَّةِ بَلِّغْ مَنْ بَيْنَ يَدَيْكَ أَنِّي أَنَا الْحَقُّ الْحَيُّ الْقَائِمُ الَّذِي لَا يُزُولُ».

أي أن اللغة التي تحدت بها عيسى ﷺ عند مبعثه هي السريانية، وهذا لا يصح؛ لأن سعيد بن أبي عروبة^(١٤٩)، وقتادة وهو ابن دعامة السدوسي^(١٥٠)، مشهوران بالتدليس، وكذلك

(١٤٩) المدلسين ص ٥١، جامع التحصيل ص ١٨٢.

(١٥٠) المدلسين ص ٧٩، التبيين لأسماء المدلسين ص ٤٦، أسماء المدلسين ص ٨٠.

مقاتل بن حيان^(١٥١)، وقد رووا بالعنعنة، فروايتهم محمولة على الانقطاع، كما أن ابن أبي عروبة^(١٥٢) اختلط بآخره.

قال ابن تيمية: «مَنْ قَالَ إِنَّ لِسَانَ الْمَسِيحِ كَانَ سَرِيانِيًّا، أَوْ روميًّا، فَقَدْ غَلَطَ»^(١٥٣)، وهو كما قال.

وعيسى ﷺ أُرْسِلَ بِلُغَةِ قَوْمِهِ؛ لِعُمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

وقد أُرْسِلَ ﷺ إِلَى قَوْمِ أُمِّهِ؛ لِأَنَّهُ لَا أَبًا لَهُ، فَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِلُغَتِهِمْ، أَوْ لُغَةَ غَيْرِهِمْ، وَذَلِكَ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِقَوْمِهِ.

وبالنسبة لقول ابن تيمية: «موسى والمسيح ومَنْ بينهما مِنْ أنبياء بني إسرائيل إنما كانوا يتكلمون باللغة العبرانية، والمسيح كان عبرانيًّا، لم يتكلم بغير العبرانية، وإنما تكلم بغيرها، كالسريانية، واليونانية، والرومية بعض مَنْ اتبعه»^(١٥٤).

(١٥١) مشاهير علماء الأمصار ص ٣٠٩، طبقات المدلسين ص ٦٧.

(١٥٢) المختلطين ص ٤١، الاغتباط بمن رمي بالاختلاط ص ١٣٩.

(١٥٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/١٣٨.

(١٥٤) المصدر السابق ٥/١٢٥.

ففيه نظر؛ لأن هذا اجتهاد منه ولا يوجد دليل نقلي يثبت ما
قاله، والأولى والأفضل هو التوقف عن الخوض في مثل هذا،
والجزم بقول دون آخر، إذ لا مجال للاجتهاد فيه.



أما ما جاء في الأناجيل والتوراة من الزعم بأن عيسى ﷺ عندما أحس حسب زعمهم بدنو أجله على الصليب، نادى وخاطب الله ﷻ بالسريانية والآرامية - وذلك على اعتبار أن إحداهما لهجة من الأخرى - قائلاً كما جاء في إنجيل مرقس (الإصحاح ١٥، الآية ٣٤): «فِي السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِلْهِي، إِلْهِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟». الَّذِي تَفْسِيرُهُ: إِلْهِي، إِلْهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟

وفي إنجيل متى (الإصحاح ٢٧، الآية ٤٦)؛ قال: «وَنَحْوُ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِلْهِي، إِلْهِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟». أَيْ: إِلْهِي، إِلْهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟

وفي العهد القديم جاء في سفر المزامير (المزمور ٢٢، الآية ١) قائلاً: «إِلْهِي، إِلْهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي بَعِيدًا عَنِ خَلَاصِي، عَنِ كَلَامِ زَفِيرِي».

وهذا ترجمة للكلمة السريانية «ܟܠܡܐ ܠܚܝܢܐ ܥܡܡܝܢܐ»، ولو أن عيسى ﷺ خاطبه بالعبري لقال: «אלי אלי למה לאזבני» أي: إيلي إيلي لماذا غادرت؟ فلما خاطبه بالسريانية دل ذلك على أنها لغته، كذا زعموا.

وجاء في سفر إشعياء (الإصحاح ٣٦، الآية ١١)، فقال أَلْيَاقِيمُ وَشَبْنَةُ وَيُوَآخُ لِرِشَاقَى: «كَلِّمْ عِبِيدَكَ بِالْأَرَامِيِّ؛ لِأَنَّنا

نَفْهَمُهُ، وَلَا تُكَلِّمْنَا بِالْيَهُودِيِّ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ الَّذِينَ عَلَى
السُّورِ».

وهذا ليس بشيء؛ لأنه لا يوجد إسناد صحيح إلى المسيح ﷺ يدل على أن السريانية والآرامية هي لغته التي تحدث بها، والأناجيل الموجودة حالياً عند النصارى أربعة يجعلونها في مقدمة كتابهم العهد الجديد، ولا تُنسب لعيسى ﷺ وإنما تنسب إلى: (متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا).

وتزعم النصارى أن (متى، ويوحنا) من حوارى عيسى ﷺ أما مرقص فهو تلميذ بطرس، ولوقا تلميذ بولس كذا زعموا. وهم يعلمون أن عيسى ﷺ لم يكتبها، ولم تُكتب أيضاً في زمنه ولا قريباً منه، وإنما بعدما رفع ﷺ إلى السماء بزمن بعيد، وهي بعيدة كل البعد عن الوحي الإلهي، وإنما هي أشبه بكتب السير.

وكذلك ما جاء في سفر المزامير، وإشعياى لا يدل على أن الآرامية هي أصل اللغات.

وقد أخبرنا الله ﷻ عن تحريف أهل الكتاب للتوراة والإنجيل؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل

عمران: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

وقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغَضِبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَنُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٥، ٧٦].

وغير ذلك من الآيات والأدلة التي تدل بما لا مرية فيه على تحريفهم لكتبهم التي يزعمون أنها مقدسة.

بل هناك من زعم خلاف ذلك في القرن السابع عشر وهو كيشار guichard حيث ادَّعى أن اللغة العبرية هي أصل اللغات، وقدم بحثًا عن النسق الاشتقاقي للغات المنحدرة من العبرية، وهو بحث تابع للقومية والهوى، لا إلى الحقائق والبراهين العلمية.

والراجح عندي في المسألة أن الزعم بأن السريانية أو الآرامية أو العبرية، هي لغة عيسى ﷺ أو أصل اللغات، لا يصح؛ لعدم ثبوته من وجه يصح، وإنما هي اجتهادات، وآراء فلسفية لا تغني من الحق شيئاً.

فإن قيل: إن المسيح ﷺ كَلَّمَ قومه بلغاتهم، وهم آراميون، وهذا ما أثبته البحث الأثري، ومن ثم فلغته كانت الآرامية.

قلت: هذا الإثبات يحتاج إلى إثبات، فكل حزب يدّعي صحة ما قال به، من خلال الاستدلال بأدلة واهية.

والقول الفصل في مثل هذه الأمور، هو التوقف وعدم الجزم بلغة دون أخرى، إلا بدليل قطعي الدلالة.

أما بالنسبة إلى اللغة التي سيتكلم بها عيسى ﷺ عندما ينزل من السماء في آخر الزمان، فالأشبه أنه سيتحدث بالعربية؛ لأنه سينزل بالشام، ويحكم بالقرآن الكريم، وسنة النبي ﷺ ويصلي بالمسلمين.

كذلك الدجال الأظهر أنه سيتحدث بكثير من اللغات؛ لكي يتمكن من فتنة الناس، باختلاف لغاتهم.



المبحث السابع

لغة أهل القبور، وأهل الموقف بين يدي الله ﷻ واللغة التي تشهد

لها الأيدي والأرجل

يعد الإيمان بالبعث والنشور من أهم أركان الإيمان باليوم الآخر، فهو المسألة الكبرى بعد الإيمان بالله ﷻ والقضية العظمى بعد توحيده ﷻ حيث الخروج من الأجداث والقبور، والوقوف بين يدي الكبير المتعال؛ للحساب والجزاء وعرض الأعمال، ثم المصير إما إلى الجنة، وإما إلى النار.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥١-٥٣].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَنْزَلَ لَهُ

الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنْزَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿[النبأ: ٣٨ - ٤٠]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يُذْنَى الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ - وَقِيلَ: يَذْنُو الْمُؤْمِنُ - حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرَّرُهُ بِذُنُوبِهِ، تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يَقُولُ: أَعْرِفُ، يَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ مَرَّتَيْنِ، فَيَقُولُ: سَتَرْتَهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَغْفِرَهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ تَطْوَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْآخِرُونَ - أَوِ الْكُفَّارُ - فَيُنَادَى عَلَى رُغُوسِ الْأَشْهَادِ: ﴿هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٥٥)» (١٥٦).

(١٥٥) [هود: ١٨].

(١٥٦) أخرجه البخاري (٧٤/٦) كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، برقم (٤٦٨٥)، ومسلم (٢١٢١/٤) كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، برقم (٢٧٦٨/٥٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم
 القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة،
 ليست في سحابة؟» قالوا: لا، قال: «هل تضارون في رؤية
 القمر ليلة البدر، ليس في سحابة؟» قالوا: لا، قال: «فوالذي
 الذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم، إلا كما تضارون
 في رؤية أحدهما، قال: فيلقى العبد، فيقول: أي فل ألم
 أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك
 ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، قال: فيقول: أظننت أنك ملاقي؟
 فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني
 فيقول: أي فل ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك
 الخيل والإبل، وأذرك ترأس، وتربع، فيقول: بلى، أي رب
 فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك
 كما نسيتني، ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا
 رب آمنت بك، وبكتابك، وبرسلك، وصليت، وصمت،
 وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: ها هنا إذا، قال:
 ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في نفسه: من
 ذا الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه، ويقال لخذله ولحمه
 وعظامه: انطقي، فتنطق فخذله ولحمه وعظامه بعمله، وذلك

لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ» (١٥٧).

وأخبرنا عليه السلام أنه يوم القيامة يختم على أفواه من يجحد من البشر بما عمل، وتشهد عليهم أيديهم، وأرجلهم، وألسنتهم بعضهم على بعض بما عملوا؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

أما عن ماهية اللغة التي يتخاطبون بها يوم القيامة، ويتحدثون بها مع الله ﷻ فقد أخرج ابن حبان في «المجروحين» (١٠١/٢)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٧١/٣)، قال: أخبرنا الحسن بن سفيان، قال: حدثنا حميد بن زنجويه، قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، قال: حدثنا عثمان بن فائد، عن جعفر بن برقان، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «... كلام أهل الموقف بين يدي الله ﷻ بالعربية».

(١٥٧) أخرجه مسلم (٢٢٧٩/٤) أوائل كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٦٨/١٦).

وأخرجه أبو بكر بن لال في «مكارم الأخلاق» كما في «زهر الفردوس» (٥٨/٢/ب/مخطوط) قال: حدثنا علي بن عامر، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن مطر، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا عثمان بن فائد، عن جعفر بن برقان، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «... العربية كلام أهل السماء، وكلامهم إذا وقفوا بين يدي الله بالموقف».

قلت: هذا حديث موضوع، آفته ابن فائد، وقد تقدم.



المبحث الثامن

لغة أهل النار واصحاب الأعراف

أخبرنا الله ﷻ أن أهل النار يتكلمون مع بعضهم البعض، ومع خزنة جهنم؛ قال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أَوْلَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٣٩)﴾ [الأعراف ٣٨ - ٣٩].

وذكر أنهم يدعونهم ﷻ أن يعذب ساداتهم، وكبرائهم بما أضلّوهم؛ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧، ٦٨].

وقال تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِيْنَ لَشَرَّ مَا بَ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٍ وَعَسَاقٍ (٥٧)

وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا (٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُفْتَحٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْفِرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١) وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاكُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿[ص: ٥٥ - ٦٤].

وذكر لنا ﷺ ندائهم لمالك خازن النار، وسؤالهم إياه أن يقض الله ﷻ فيهم، فيجيبهم بما يكرهون؛ قال تعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ مَأْكُونًا (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧، ٧٨].

كذلك كلامهم وسؤالهم لأهل الجنة أن يفيضوا عليهم مما أنعم الله عليهم، فيردوا عليهم أن الله ﷻ حرم ذلك على الكافرين؛ قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَيَّ

الْكَافِرِينَ ﴿[الأعراف: ٥٠]، وغير ذلك مِنَ الآيات الدالة على كلامهم في النار.

فإن قيل: وردت آيات أخرى تدل على عدم سماعهم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨ - ١٠٠].

ومن ثم فكيف يسمعون، ويتحدثون مع أهل الجنة وغيرهم كما تقدم!؟

قلت: أحوال وأوضاع أهل النار في العذاب مختلفة، فهم أحياناً لا يسمعون شيئاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

وأحياناً يسمعون، ولكن يسمعون ما لا يسرهم، ولا ينفعهم، ولا ينجيهم من العذاب، كندائهم على خزنة جهنم، وأهل الجنة، كما تقدم، وكما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوْلَمْ نَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠].

ونظير ذلك ما حذر الله ﷻ منه عباده المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

فهم نسوا أنفسهم بالبعد عن الإيمان، والتقوى، والعمل الصالح، وعما ينجيها من عذاب القبر والنار، وانشغلوا بالشهوات والمعاصي.

وذلالة الضمير (الواو) في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ ظنية، وتحتمل العود على أهل النار كما تقدم.

وتحتمل العود على ما كانوا يعبدون من دون الله ﷻ من الآلهة، والشمس، والقمر، وغير ذلك مما يُعبد من دون الله ﷻ.

أي أن هؤلاء الآلهة لا يسمعون عذابهم، وصراخهم في النار كلية، أو لا يسمعونهم سماع نصررة ونفع لهم، فهم لا يستطيعون إنقاذهم من العذاب المهين والأليم، نسأل الله ﷻ العافية.



وقد اختلف في ماهية اللغة التي يتكلمون بها، فوردت بعض الأحاديث المرفوعة في تحديد ماهيتها، منها:

ما أخرجه الجُورقاني واللفظ له في «الأباطيل والمناكير» (٣١٧/٢) برقم (٦٦٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٧١/٣) من طريق عاصم بن عبد الله البجلي، عن إسماعيل بن زياد، عن غالب القطان، عن المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أبغض الكلام إلى الله عز وجل الفارسية ... وكلام أهل النار البخارية».

ولفظ ابن الجوزي: (وكلام أهل النار - بالنجارية - بالبخارية)، وقال في موضع آخر: (كلام أهل النار الحاربية السجارية) (١٥٨).

قلت: هذا حديث موضوع، آفته إسماعيل بن زياد، وقيل: ابن أبي زياد السكوني؛ كذاب، وقد تقدم.

وما ورد في لفظ ابن الجوزي من أن كلام أهل النار (النجارية، الحاربية، السجارية) إنما هو تصحيف، والصواب

(١٥٨) الموضوعات - طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١/١١١.

(البُخارية) بضم الباء، والخاء المعجمة، وهي لغة من اللغات المشهورة.

وقيل: لغتهم العربية، وذلك كما أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (١٠١/٢) قال: أخبرنا الحسن بن سفيان، قال: حدثنا حميد بن زنجويه، قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، قال: حدثنا عثمان بن فائد، عن جعفر بن برقان، عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «كلام أهل النار العربية».

قلت: وهذا أيضاً موضوع، آفته ابن فائد، وقد تقدم.

وما قيل من أن «كلام أهل النار الفارسية» كما ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (١٨٤/٦) مرفوعاً معلقاً بدون إسناد، وسكت عليه.

فهو أيضاً باطل ولا دليل صحيح عليه، وإنما هو التعصب والهوى، نعوذ بالله ﷻ منهما.

وقد تكلم النبي ﷺ ببعض العبارات والألفاظ الفارسية، ولكنه ﷺ لم يتعلم ويتكلم الفارسية كلية، وذلك كما أخرجه الشيخان عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: فَصَّاحَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَهْلَ

الْخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا، فَحَيَّ هَلَا بِهَلْكُمْ»^(١٥٩)، أي
يا أهل الخندق إن جابرًا قد صنع لكم طعامًا، فأتوا وأقبلوا
مسرعين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رضي الله عنه تَمْرَةً مِنْ
تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «كَخْ كَخْ».
لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا شَعَرْتَ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»^(١٦٠)، وهي
كلمات فارسية عُرِّبَتْ، وتُستخدم للردع والزجر.



(١٥٩) أخرجه البخاري (١٠٨/٥) كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، برقم
(٤١٠٢)، ومسلم (١٦١٠/٣) كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق
برضاه ذلك، برقم (٢٠٣٩/١٤١).

(١٦٠) أخرجه البخاري (١٢٧/٢) كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة للنبي صلى الله عليه وسلم برقم
(١٤٩١)، ومسلم (٧٥١/٢) كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم
(١٠٦٩/١٦١).

أما أصحاب الأعراف:

فقد وصف الله ﷻ لنا حالهم وكلامهم، و(الأعراف) حجاب وسور بين الجنة والنار، عليه أناس استوت حسناتهم وسيئاتهم، ولم تزد إحداهما على الأخرى، وهم يطمعون أن يدخلوا الجنة؛ قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُفِرَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧) وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهْوَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦ - ٤٩]..

وبالنسبة لطبيعة وماهية اللغة التي تحدثوا بها مع أهل الجنة والنار، أهي العربية، أم غير ذلك؟ فلا يثبت في الباب شيء.



المبحث التاسع

لغة السموات والأرض، والأنبياء والمؤمنين عند الشفاعة، وآخر

من يدخل الجنة

خلق الله ﷻ سبع سموات ومن الأرض مثلهن، وقدّر فيهم ما شاء من مخلوقات، ففي السماء الكواكب، والنجوم، والأقمار، والشموس، والنيازك، وفي الأرض الجبال، والبحار، والأنهار، والحدائق والأشجار، وغير ذلك من مخلوقات ودواب.

وقال لهم انثيا طوعاً بما خلقت فيكما أو كرهاً، قالتا أنتينا طائعين خاضعين لأمرك، ولا نعصى لك سبحانه أمراً، وذلك كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَنَا كُفْرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيٍّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمِئِذٍ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ انثيا طوعاً أو كرهاً قالتا أنتينا طائعين﴾ [فصلت: ٩ - ١١].

وأمرهما ﷺ عندما فار التتور في زمن نوح ﷺ وتم إهلاك قومه بالغرق، ببلع وتشرب الماء، والامتناع والإمساك عن نزول الأمطار، فقال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].

وأخبرنا الله ﷻ أنه يأمر الأرض يوم القيامة بالزلزلة، وبإخراج ما في بطنها من الموتى، وأنها ستتكلم وتخبر الناس بما أمرها الله ﷻ به؛ قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ نُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ١-٥].

ويجمع الله ﷻ الأولين والآخرين في صعيد واحد، وتدنو الشمس من رقابهم، ويشدد بهم الأمر، ويبحثون عن يشفع لهم عند الله ﷻ فيذهبون إلى آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ﷺ ليشفعوا لهم، ولكن كل واحد منهم يقول نفسي نفسي نفسي.

ثم يذهبون إلى النبي ﷺ ويطلبون منه أن يشفع لهم، فينطلق صلوات الله وسلامه عليه فيأتي تحت العرش، فيحمد الله ﷻ ويثني عليه، بمحامد لم يفتحها الله ﷻ على أحد من قبله،

ويقال له: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه، فيقول ﷺ: أمتي يا رب ثلاث مرات، فيشفع فيهم.

وذلك كما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرَ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَيَّ غَيْرِي ... اذْهَبُوا إِلَيَّ مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷻ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحَسَنِ

النَّاءِ عَلَيْهِ شَيْنًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تَعْطَهُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ» (١٦١).

وأخبرنا النبي ﷺ أنه إذا استقر أهل الجنة فيها، وعلموا أنهم قد نجوا شفعوا في إخوانهم من أصحاب المعاصي والكبائر؛ قال ﷺ: «وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيَحْرِمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

(١٦١) أخرجه البخاري (٨٤/٦) كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ذُرِّيَّةٌ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ برقم (٤٧١٢)، ومسلم (١٨٤/١) كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم (١٩٤/٣٢٧).

مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرَجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ... فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ
وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي»^(١٦٢).

أما عن آخر رجل يدخل الجنة ففي حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما مرفوعاً: «وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذُكَاؤُهَا، فَيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ... فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَدْخِنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَعْدَرَكَ، أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ، أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشَقَى خَلْقِكَ، فَيَضْحَكُ اللَّهُ ﷻ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذُنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أَمْنِيَّتُهُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: مِنْ كَذَا وَكَذَا، أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ، حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ

(١٦٢) أخرجه البخاري (١٢٩/٩) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾، برقم (٧٤٣٩)، ومسلم (١٦٧/١) كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم (١٨٣/٣٠٢).

قَالَ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: لَكَ ذَلِكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:
لَمْ أَحْفَظْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا قَوْلَهُ: «لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»
قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةٌ
أَمْثَالِهِ» (١٦٣).

أما عن ماهية اللغة التي يتخاطبون بها آنذاك، فلا يثبت فيها
شيء.



(١٦٣) أخرجه البخاري (١٦٠/١) كتاب الأذان، باب فضل السجود، برقم (٨٠٦)، ومسلم
(١٦٣/١) كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم (١٨٢/٢٩٩).

المبحث العاشر لغة أهل الجنة

ثبت في القرآن الكريم، والسنة النبوية أن أهل الجنة يتكلمون فيها، وأنهم يُلهمون التسبيح والتحميد، كما نُلهم النَّفس في الدنيا؛ قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦].

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ:

وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ،
فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ
أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ
عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» (١٦٤).

وقال ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ ﷻ:
تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ
تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا
أَعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ» (١٦٥).

وقال ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ، فَتَهْبُ
رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْتُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا
وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ، وَقَدْ أَزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا،
فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا،
فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا» (١٦٦).

(١٦٤) أخرجه البخاري (١١٤/٨) كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، برقم (٦٥٤٩)،
ومسلم (٢١٧٦/٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة، برقم
(٢٨٢٩/٩) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.
(١٦٥) أخرجه مسلم (١٦٣/١) كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم،
برقم (١٨١/٢٩٧) من حديث صهيب ﷺ.
(١٦٦) أخرجه مسلم (٢١٧٨/٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب في سوق الجنة وما ينالون
فيها من النعيم والجمال، برقم (٢٨٣٣/١٣) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

وقال ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَفَلَّوْنَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ» قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ»^(١٦٧).

وقد ورد في تعيين ماهية لغتهم التي يتكلمون بها في الجنة، بعض الأحاديث المرفوعة من طريق عبد الله بن العباس، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وسلمان الفارسي رضي الله عنهم.

والموقوفة من طريق ابن عباس رضي الله عنهما بأسانيد لا تصح نسبتها إليهم.



(١٦٧) أخرجه مسلم (٢١٨٠/٤) كتاب صفة الجنة ونعيمها، باب في صفات الجنة وأهلها، برقم (٢٨٣٥/١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

أولاً: حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً:

فقد روي عنه من ثلاث طرق: فرواه يحيى بن بريد الأشعري (وقيل: ابن يزيد، وهو وهم كما سيأتي)، عن ابن جريج، عن عطاء، عنه مرفوعاً.

وتابعه محمد بن الفضل، عن ابن جريج، عن عطاء ... به، ورواه كلاهما عن ابن جريج، عن عطاء، عنه مرفوعاً.

طريق يحيى بن بريد:

أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/٣٤٨)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات»^(١٦٨) (٤١/٢).

وأخرجه أبو بكر بن الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢٢/١) برقم (١٩)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠/١٤٠).

(١٦٨) جاء في المطبوع/طبعة المكتبة السلفية-المدينة المنورة: (يحيى بن يزيد)، وهو تصحيف، وكذلك وقع سقط في الإسناد، فورد بدون ذكر ابن عباس، أي عن عطاء مرسلاً، وهو خطأ، وجاء في (تلخيص كتاب الموضوعات للذهبي ص ١٥٧) على الوجه الصحيح، وقال: «يحيى تَأَلَّف»، وهو كما قال.

ووهم ابن الجوزي، فذكر قول ابن حبان: «يحيى بن يزيد يروي المقلوبات عن الأثبات، فبطل الاحتجاج به» (المجروحين ٤١/٢)، وهو يحيى بن يزيد أبو شيبعة الرهاوي، والرهاوي لا ناقة له ولا جمل في هذا الحديث، فنتبه.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨٥/١١) برقم (١١٤٤١)، و«المعجم الأوسط» (٣٦٩/٥) برقم (٥٥٨٣)، ومن طريقه ابن الملقن في «محجة القرب» (ص ٨٧).

وأخرجه الأبري في «مناقب الشافعي» (ص ٨٢)، والحاكم في «معرفه علوم الحديث» (ص ١٦١) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٠/٣) برقم (١٤٩٦)، والواحي في «التفسير الوسيط» (٥٩٩/٢)، وتام في فوائده (٦١/١)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١٥/١٩) (١٦٩)، (١٤٠/٢٠)، كلهم من طرق عن العلاء بن عمرو الحنفي، عن يحيى بن بريد الأشعري، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحِبُّوا الْعَرَبَ لثَلَاثٍ: لِأَنِّي عَرَبِيٌّ، وَالْقُرْآنَ عَرَبِيٌّ، وَكَلَامَ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ».

وفي رواية الطبراني في (الأوسط): «لِسَانُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ».

قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن ابن جريج إلا يحيى بن بريد، تفرد به العلاء بن عمرو».

وقال الدارقطني كما في «أطراف الغرائب والأفراد» (٢٧٦/٣): «تفرد به العلاء بن عمرو، عن يحيى بن يزيد»، وقال البيهقي: «تفرد به العلاء بن عمرو، عن يحيى بن بريد».

(١٦٩) جاء في هذا الموضع من المطبوع/طبعة دار الفكر: (يحيى بن يزيد)، وهو تصحيف.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥٢/١٠)، وقال: «رواه الطبراني في (الكبير) و(الأوسط)، إلا أنه قال: (ولسان أهل الجنة عربي)، وفيه العلاء بن عمرو الحنفي، وهو مجمع على ضعفه».

قلت: هو كما قالوا، عدا دعوى الإجماع، ودعوى الطبراني تفرد يحيى به، فقد تابعه ابن الفضل كما سيأتي.

وأخرجه عن ابن يزيد أبو جعفر الحضرمي مُطِين كما في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/٤٤١-٤٤٢)، والمعافى بن زكريا في «الجلس الصالح» (ص ٥٩٣)، والحاكم في «المستدرک» (٤/٩٧)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (١١٢/٢) برقم (٢٦٨)، والبيهقي في «مناقب الشافعي» (١/٣٢-٣٣) كلهم من طرق عن العلاء بن عمرو الحنفي، قال: حدثنا يحيى بن يزيد، عن ابن جريح، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ... الحديث.

وهو تصحيف؛ قال الذهبي: «يحيى بن يزيد الأشعري، عن ابن جريح. كذا قال بعضهم، فصحف، وإنما هو ابن بريد»^(١٧٠)، وهو كما قال.



(١٧٠) ميزان الاعتدال ٤/٤١٥.

طريق محمد بن الفضل:

أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٩٨/٤)، وأبو نعيم مختصراً - في رواية أخرى - في «صفة الجنة» (١١٢/٢) بعد رقم (٢٦٨) عن إسماعيل بن عمرو البجلي، ثنا محمد بن الفضل، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْفَظُونِي فِي الْعَرَبِ لِثَلَاثِ خِصَالٍ: لِأَنِّي عَرَبِيٌّ، وَالْقُرْآنَ عَرَبِيٌّ، وَلِسَانَ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ».

قال الحاكم: «حديث يحيى بن بريد^(١٧١)، عن ابن جريج حديث صحيح، وإنما ذكرت حديث محمد بن الفضل متابعا له»، وصححه كذلك الملا علي القاري، وقال: «حديث صحيح مرفوع»^(١٧٢).

قلت: كلا، بل موضوع، كما سيأتي، وتعقب الحاكم الذهبي في تلخيصه، فقال: «بل يحيى ضعفه أحمد وغيره، والعلاء بن عمرو الحنفي ليس بعمدة، وأما محمد بن الفضل فمتهم، وأظن الحديث موضوعاً».

وكذلك تعقبه زين الدين العراقي، وقال: «ليس كما قال، بل هو ضعيفٌ؛ لأن يحيى بن بريد بن أبي بردة ضعيف عندهم،

(١٧١) جاء في المطبوع/طبعة دار الكتب العلمية - بيروت: (يزيد)، وهو تصحيف.

(١٧٢) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ص ٢٧٧.

وكذلك راويه عنه، العلاء بن عمرو الحنفي^(١٧٣)، وهو كما
قالا.



(١٧٣) محجة القرب إلى محبة العرب ص ٨٩-٩٠.

طريق يحيى ومحمد بن الفضل معًا:

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٤/٣) برقم (١٣٦٤)،
وأبو بكر بن منده في «جزء فيه ذكر أبي القاسم
الطبراني» (ص ٣٥٩) عن العلاء بن عمرو الحنفي، حدثنا
يحيى بن بريد، ومحمد بن الفضل الخراساني، عن ابن جريج،
عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«أَجِبُوا الْعَرَبَ لثَلَاثَ: لِأَنِّي عَرَبِيٌّ، وَالْقُرْآنُ عَرَبِيٌّ، وَكَلَامُ أَهْلِ
الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ».

قلت: هذا حديث موضوع، وفيه أربع علل:

الأولى: العلاء بن عمرو الحنفي؛ قال النسائي:
«ضعيف»^(١٧٤)، وتبعه ابن حجر^(١٧٥).

وقال ابن حبان: «شيخ يروي عن أبي إسحاق الفزاري
العجائب، لا يجوز الاحتجاج به بحال»^(١٧٦).

(١٧٤) لسان الميزان ٤/١٨٥.

(١٧٥) إتحاف المهرة ٤/١٣.

(١٧٦) المجروحين ٢/١٨٥.

وقال الأزدي: «لا يُكتب عنه بحال»^(١٧٧)، وذكره الذهبي، وقال: «متروك»^(١٧٨).

وهو كما قالوا، فإن قيل: إن أبا حاتم الرازي عندما سُئل عن حاله، قال: «ما رأينا إلا خيراً»^(١٧٩)، كذلك ذكره ابن حبان في «الثقات»^(١٨٠)، ونقل الحاكم في «تاريخ نيسابور» عن صالح جزرة، أنه سُئل عنه، فقال: «لا بأس به»^(١٨١).

قلت: أبو حاتم ذكر حُكمه فيه على حسب الظاهر من حاله، فلعله قصد به العدالة لا الضبط وهو الراجح، فعندما سُئل عن حديثه هذا حَكَمَ عليه بالوضع؛ قال ابن أبي حاتم: «وسألت أبي عن حديث رواه العلاء بن عمرو الحنفي، عن يحيى بن بريد الأشعري، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «أحبوا العرب لثلاث: لأنّي عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي» فسمعت أبي يقول: هذا حديث كذب»^(١٨٢).

(١٧٧) الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي ١٨٨/٢.

(١٧٨) ميزان الاعتدال ١٠٣/٣.

(١٧٩) الجرح والتعديل ٣٥٩/٦.

(١٨٠) الثقات ٥٠٤/٨.

(١٨١) لسان الميزان ١٨٦/٤.

(١٨٢) علل الحديث ٤٢٦/٦.

وقال العقيلي: «منكر لا أصل له»^(١٨٣)، وقال الأبري:

«باطل»^(١٨٤)، وقال الذهبي: «موضوع»^(١٨٥).

أما ابن حبان فقد أشار إلى مخالفته للثقات، فقال: «ربما خالف»^(١٨٦)، وهذا الحديث من مخالفاته.

كذلك قول صالح جَزْرَةَ (ت ٢٩٣): «لا بأس به» على تقدير ثبوته عنه، مدفوع بتضعيف جماهير المحدّثين، والجرح مقدم على التعديل، لا سيما وقد جاء مفسّراً.

الثانية: يحيى بن بريد وهو ابن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري يكنى أبا بردة، ذكره البخاري في «الكبير»^(١٨٧)، وتعقبه ابن أبي حاتم، فقال: «يحيى بن عبد الله بن أبي بردة، وإنما هو يحيى بن بريد بن عبد الله»^(١٨٨).

قلت: جاء في نُسخ أخرى لـ(التاريخ) زيادة (بريد)، ولعل العيب كان في النسخة التي وقف عليها ابن أبي حاتم من (التاريخ الكبير).

(١٨٣) الضعفاء الكبير ٣/٣٤٨.

(١٨٤) مناقب الشافعي له ص ٨٣.

(١٨٥) ميزان الاعتدال ٣/١٠٣.

(١٨٦) الثقات ٨/٥٠٤.

(١٨٧) التاريخ الكبير ٨/٢٦٤.

(١٨٨) بيان خطأ البخاري في تاريخه ١/١٣٥.

قال عنه ابن المديني: «روى أحاديث منكراً»^(١٨٩)، وضعفه ابن معين^(١٩٠)، وأحمد^(١٩١)، وغيرهما^(١٩٢)، وقال أبو زرعة: «منكر الحديث»^(١٩٣)، وقال في موضع آخر: «واهي الحديث»^(١٩٤)، وتبعهم الدارقطني، وقال: «ليس بالقوي في الحديث»^(١٩٥).

الثالثة: محمد، وهو ابن الفضل بن عطية المروزي الخراساني، كذاب؛ رماه ابن أبي شيبة^(١٩٦)، وأبو حفص الفلاس^(١٩٧) بالكذب، وقال الجوزجاني: «كان كذاباً، سألت ابن حنبل عنه، فقال: ذاك عجب يجيئك بالطامات»^(١٩٨)، وضعفه أبو نعيم الفضل بن دكين^(١٩٩)، وقال ابن معين: «ليس بشيء»^(٢٠٠)، ولم

-
- (١٨٩) تاريخ بغداد ١٦/١٨١.
- (١٩٠) الجرح والتعديل ٩/١٣١.
- (١٩١) الكامل في ضعفاء الرجال ٩/٧٣.
- (١٩٢) الجرح والتعديل ٩/١٣٢.
- (١٩٣) المصدر السابق.
- (١٩٤) تاريخ بغداد ١٦/١٨١.
- (١٩٥) المؤلف والمختلف ١/١٧٣.
- (١٩٦) التاريخ الكبير ١/٢٠٨.
- (١٩٧) الجرح والتعديل ٨/٥٧.
- (١٩٨) أحوال الرجال ص ٣٤٢.
- (١٩٩) مسائل ابن أبي شيبة عن شيوخه ص ١٢٥.
- (٢٠٠) تاريخ ابن معين - رواية الدوري ٤/٣٥٥.

يَعْبَأُ به أحمد بن حنبل^(٢٠١)، وقال: «ليس بشيء»، حديثه حديث أهل الكذب»^(٢٠٢).

وقال البخاري: «سكتوا عنه»^(٢٠٣)، وتركه مسلم^(٢٠٤)، وغيره^(٢٠٥).

الرابعة: ابن جريج، وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج مشهور بالتدليس والإرسال، وقد عنعن؛ قال ابن حنبل: «بعض هذه الأحاديث التي كان يرسلها ابن جريج، أحاديث موضوعة، كان ابن جريج لا يبالي من أين يأخذها»^(٢٠٦)، قال الذهبي: «يعني قوله: أخبرت، وحدثت عن فلان»^(٢٠٧).

وقال ابن حنبل أيضاً: «كل شيء يقول ابن جريج: قال عطاء، أو عن عطاء، فإنه لم يسمعه من عطاء»^(٢٠٨).

(٢٠١) مسائل الإمام أحمد-رواية أبي داود ص ٤١١.

(٢٠٢) العلل ومعرفة الرجال-رواية عبد الله ٥٤٩/٢.

(٢٠٣) الضعفاء الصغير ص ١٢٤.

(٢٠٤) الكنى والأسماء ٤٩٩/١.

(٢٠٥) الجرح والتعديل ٥٧/٨، الضعفاء والمتروكون للنسائي ص ٩٣.

(٢٠٦) ميزان الاعتدال ٦٥٩/٢.

(٢٠٧) المصدر السابق.

(٢٠٨) بحر الدم ص ١٠٢.

قلت: ومنها هذا الحديث، وحذر الدارقطني من تدليسه، فقال: «يجتنب تدليسه فإنه وحش التدليس، لا يدلس إلا فيما قد سمعه من مجروح»^(٢٠٩).

والحاصل فإن الحديث موضوع لا يثبت، ومتابعة ابن الفضل لابن بريد لا يُفرح بها، فالحديث لا يزداد بها إلا ضعفًا. أما عن قول الحافظ السلفي: (هذا حديث حسن)، فنقله ابن تيمية، وقال: «فما أدري: أراد حسن إسناده على طريقة المُحدِّثين، أو حسن منته على الاصطلاح العام؟»^(٢١٠)، والراجح أنه أراد به الاصطلاح العام؛ لأنه لا يثبت من ناحية الصنعة الحديثية، كما تقدم.



(٢٠٩) سؤالات الحاكم للدارقطني ص ١٧٤.

(٢١٠) اقتضاء الصراط المستقيم ١/٤٤٣.

(تنبيه):

زعم الألوسي (ت ١٢٧٠) بعد ذكره لحديث^(٢١١) ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا الشيخ، وابن مردويه أخرجا عن أبي هريرة رضي الله عنه ما يعضده.

موهماً صحة طريقه، وأنهما أخرجاه بتمامه، وليس كذلك، كما أنه لم يشتمل على موضع الشاهد.

فقد أخرجه أبو الشيخ في «الثواب» كما في «زهر الفردوس» (١/٣٥/ب/مخطوط) قال أبو الشيخ: حدثنا أحمد بن محمد بن الجعد، حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثنا محمد بن الخطاب، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبوا العرب وبقائهم، فإنَّ بقاءهم نورٌ في الإسلام، وإنَّ فناءهم ظلمةٌ في الإسلام».

قلت: هذا إسناد ضعيف، وفيه ثلاث علل:

الأولى: محمد بن الخطاب وهو ابن جبير الجبيري؛ قال أبو حاتم الرازي: «لا أعرفه»^(٢١٢).

(٢١١) تفسير الألوسي-روح المعاني ٣٦٦/٦.

(٢١٢) الجرح والتعديل ٢٤٦/٧.

قلت: عرفه الأزدي، وقال: «منكر الحديث»^(٢١٣)، وذكره ابن حبان في (الثقات)^(٢١٤) حسب مذهبه في توثيق الضعفاء والمجاهيل مع تفصيل، وقلده ابن قُطُوبَعَا^(٢١٥).

الثانية: عطاء بن أبي ميمونة يُكْنَى أبا معاذ، مختلف في الاحتجاج به؛ قال ابن معين: «ليس به بأس»^(٢١٦)، وقال يعقوب الفسوي^(٢١٧)، والنسائي: «ثقة»^(٢١٨).

وقال يحيى بن سعيد القطان: «كان يرى القدر»^(٢١٩)، وتبعه البخاري، وذكره في (الضعفاء)، وقال: «يرى القدر»^(٢٢٠)، وهذا لا يقدر في روايته مطلقاً، طالما ليس فيها نصره لبدعته أو دعوة لها.

(٢١٣) ميزان الاعتدال ٥٣٧/٣.

(٢١٤) الثقات له ٤١٠/٧.

(٢١٥) الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة ٢٦٩/٨.

(٢١٦) تاريخ ابن معين-رواية الدوري ١٥١/٤، سوالات ابن الجنيد لابن معين ص ٣٥١.

(تنبيه): نقل ابن الجوزي عن ابن معين في رواية، وابن حنبل أنهما ضعفاء، فقال:

«قال يحيى ... ضعيف، وقال أحمد: منكر الحديث» (الضعفاء والمتروكون له

١٧٨/٢)، وهو وهم، وسبق قلم، فهذا التضعيف إنما قالاه في ابنه روح بن عطاء بن

أبي ميمونة.

(٢١٧) المعرفة والتاريخ ١١٤/٢.

(٢١٨) تهذيب التهذيب ٢١٥/٧.

(٢١٩) العلل ومعرفة الرجال-رواية عبد الله ٧٧/٣.

(٢٢٠) الضعفاء الصغير ص ١٠٧.

وأشار أبو حاتم الرازي إلى صلاحه، وضعفه في الرواية
مطلقاً، فقال: «صالح، لا يحتج بحديثه»^(٢٢١)، وقال أبو زرعة
في موضع: «ثقة»^(٢٢٢).

ولعل الراجح عند أبي زرعة أن يكون أراد بذلك العدالة دون
الضبط، ويؤكد ذلك أنه ذكره في كتابه (الضعفاء)^(٢٢٣).
وقال ابن عدي: «من يروي عنه يكتبه بأبي معاذ، ولا يسميه
لضعفه، وهو معروف بالقدر»^(٢٢٤).

والراجح عندي أنه صدوق، وله أوهام، وقد روى له الشيخان ما
صح وثبت من حديثه.

الثالثة: الانقطاع، فعطاء لا يُعرف له سماع من أبي هريرة رضي الله عنه
فروايته عنه محمولة على عدم الاتصال.

أما ابن مردويه، فمع الأسف تفسيره في عداد المفقود، ومن ثم
فلم أقف على حديثه مسنداً، وقد روي حديث الباب عن أبي
هريرة رضي الله عنه من طرق أخرى لا تصح كما سيأتي.



(٢٢١) الجرح والتعديل ٦/٣٣٧.

(٢٢٢) المصدر السابق.

(٢٢٣) الضعفاء له ترجمة رقم ٢٤٩.

(٢٢٤) الكامل في ضعفاء الرجال ٧/٨٢.

ثانياً: حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٩/٩) برقم (٩١٤٧) قال: حدثنا مسعدة بن سعد، نا إبراهيم بن المنذر، نا عبد العزيز بن عمران، ثنا شبل بن العلاء، عن أبيه، عن جده، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي».

ومن طريقه أخرجه أبو نعيم الأصبهاني، وعنه زين الدين العراقي في «محجة القرب إلى محبة العرب» (ص ٤٣٥) برقم (٢٧٣)، قال: أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم البكري مشافهة، عن عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، قال: أنبأنا خليل بن أبي الرجاء الراراني، أخبرنا الحسن بن أحمد الحداد، أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: حدثنا الطبراني، قال: حدثنا مسعود بن سعيد، حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنا عبد العزيز بن عمران، حدثنا شبل بن العلاء، عن أبيه، عن جده، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي».

قلت: هذا إسناد ضعيف جداً، وفيه علتان:

الأولى: عبد العزيز بن عمران، متروك الحديث؛ قال يحيى بن معين: «ليس بثقة، وإنما كان صاحب شعر»^(٢٢٥)، وقال ابن حنبل: «ما كتبت عنه شيئاً»^(٢٢٦)، وقال البخاري: «لا يُكتب حديثه، مُنكر الحديث»^(٢٢٧)، وتركه النسائي^(٢٢٨).

الثانية:

شبل بن العلاء بن عبد الرحمن الحرفي؛ قال الدارقطني: «ليس بالقوي، ويُخرج حديثه»^(٢٢٩)، وذكره ابن حبان في (الثقات)، وقال: «يروى عن أبيه، روى عنه ابن أبي فديك بنسخة مستقيمة»^(٢٣٠).

(٢٢٥) تاريخ ابن معين-رواية الدارمي ص ١٦٩.

(٢٢٦) العلل ومعرفة الرجال-رواية عبد الله ٢٩٧/٣.

(٢٢٧) التاريخ الكبير ٢٩/٦.

(٢٢٨) الضعفاء والمتروكون ص ٧٢.

(٢٢٩) سؤالات البرقاني للدارقطني ص ٣٦.

(٢٣٠) الثقات ٤٥٢/٦.

قلت: كلا، بل أحاديث ضعاف ومناكير، وأورد له ابن عدي بعض هذه الأحاديث^(٢٣١)، وحكم عليها بالنكارة، وقال عنه: «حدّث بأحاديث مناكير، ليست محفوظة»^(٢٣٢).

قال الهيثمي: «رواه الطبراني في (الأوسط)، وفيه عبد العزيز بن عمران، وهو متروك»^(٢٣٣).

وهو كما قال، وقال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن شبل إلا عبد العزيز بن عمران، تفرد به إبراهيم بن المنذر، ولا يروى عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد»، وأقرّه العراقي.

قلت: وفيه نظر، إن أراد لم يرو عنه بتمامه إلا من هذا الوجه، وهو الأشبه، فيمكن أن يُسلم له، وإن أراد مطلقاً فلا، فقد روي عنه من وجه آخر مختصراً.

(٢٣١) قال ابن عدي: «منها: ما حدثناه العباس بن محمد بن العباس البصري، حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن أبي فديك، حدثني شبل بن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن جده، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أراد أحدكم أمراً فليقل اللهم إني أستخيرك بعلمك. فذكر حديث الاستخارة، وهذا الحديث بهذا الإسناد منكر.

حدثناه ابن أبي زينب بحمص، حدثنا أحمد بن الوليد بن برد، عن ابن أبي فديك، عن شبل بن العلاء بهذا الإسناد أحاديث فيها مناكير» (الكامل ٧٢/٥-٧٣).

(٢٣٢) الكامل ٧٢/٥.

(٢٣٣) مجمع الزوائد ٥٣/١٠.

أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في «صفة الجنة» (١١٣ / ٢) برقم (٢٦٩)، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن محمد بن عبد الكريم، ثنا إبراهيم بن الهيثم، ثنا الهيثم بن مهلب، ثنا العباس بن الفضل، عن سليمان بن أرقم، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كلام أهل الجنة العربية».

قلت: هذا إسناد ضعيف جداً؛ لضعف سليمان بن أرقم البصري، فهو متروك الحديث، وقد تقدم.

وروي هذا الشطر من وجه آخر أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الجوزقاني في «الأباطيل والمناكير» (٣١٧ / ٢) برقم (٦٦٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٧١ / ٣) من طريق إسماعيل بن زياد، عن غالب القطان، عن المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أبغض الكلام إلى الله عز وجل الفارسية ... وكلام أهل الجنة العربية».

قلت: هذا حديث موضوع، آفته إسماعيل بن زياد، وقيل: ابن أبي زياد السكوني؛ كذاب، وقد تقدم.

ومن ثم فدعوى زين الدين العراقي رحمته الله في موضع^(٢٣٤) أن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أصح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما المتقدم، وتقليد السخاوي^(٢٣٥)، والعجلوني^(٢٣٦) وغيرهما له؛ لا تصح. فهو حديث على أحسن أحواله كما تقدم ضعيف جداً، وأشار في موضع آخر إلى طعن أهل العلم في ابن عمران، وقال: «وعلى هذا فلا يصح هذا الحديث»^(٢٣٧)، وهو الصواب.



(٢٣٤) محجة القرب إلى محبة العرب ص ٩٢.

(٢٣٥) المقاصد الحسنة ص ٦٤.

(٢٣٦) كشف الخفاء ١/٦٤.

(٢٣٧) محجة القرب إلى محبة العرب ص ٤٣٦.

(تنبيه):

ذكر أبو شجاع الديلمي (ت ٥٠٩) في (الفردوس بمأثور الخطاب) (٣٦٨/١) رقم (١٤٨٣) (٢٣٨) متن حديث أبي هريرة رضي الله عنه وجعله من رواية عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «عبد الله بن عمرو: أبغض الكلام إلى الله صلى الله عليه وسلم الفارسية ... وكلام أهل الجنة العربية». وكتابه كتاب أحاديث محذوفة الأسانيد، وقد أسندها ابنه أبو منصور الديلمي (ت ٥٥٨) في «مسند الفردوس» وزاد عليها، ولم أقف عليه مسندًا في كتاب «زهر الفردوس» (٢٣٩) لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) فهو مخرج على «مسند الفردوس» - لأن الحديث ليس على شرطه.

(٢٣٨) سقط حديثان في هذا الموضع من النسخة المطبوعة (طبعة دار الكتب العلمية - بيروت/تحقيق: السعيد بن بسيوني) ما بين رقم (١٤٨٢-١٤٨٣)، و(طبعة دار الكتاب العربي - بيروت/تحقيق: فواز أحمد وآخرون) ما بين رقم (١٤٨٨ - ١٤٨٩)، وهما: حديث عائشة رضي الله عنها: أبغض الرجال إلى الله تعالى الألد الخصم، يعني الدائم في الخصومة.

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما: أبغض الحق إلى الله تعالى الطلاق.
(الفردوس بمأثور الخطاب) (٥٨٨/أ/مخطوط)، فهما مثبتان من نسخة خطية موجودة بمكتبة جامعة محمد بن سعود، وغيرها.
(٢٣٩) بيان منهجه فيه، مبسوط في رسالتي: (البرهان في نقد حديث رمضان أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار) فليراجعه هناك من شاء.

فلعله وهو الغالب، أن يكون هذا سبق قلم من أبي شجاع رضي الله عنه
أو وهم من بعض النساخ؛ لأن الحديث هو حديث أبي هريرة
رضي الله عنه ومن ثم فلا يُغتر بخلاف ذلك إلا ببينة.



ثالثاً: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (١٠١/٢)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٧١/٣)، قال: أخبرنا الحسن بن سفيان، قال: حدثنا حميد بن زنجويه، قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، قال: حدثنا عثمان بن فائد، عن جعفر بن برقان، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كلام أهل الجنة بالعربية...».

وأخرجه أبو بكر بن لال في «مكارم الأخلاق» كما في «زهر الفردوس» (٥٨/٢/ب/مخطوط) قال: حدثنا علي بن عامر، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن مطر، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا عثمان بن فائد، عن جعفر بن برقان، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العربية كلام أهل الجنة».

قلت: هذا حديث موضوع، آفته ابن فائد، وقد تقدم.



رابعًا: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (ص ١٦٣) برقم (٢١٨)، ومن طرق عنه ابن طولون في «الأحاديث المائة» (ص ٨٤) رقم (٩٣) قال: حدثنا القاسم بن هاشم، حدثنا صفوان بن صالح، قال: حدثني رواد بن الجراح العسقلاني، حدثنا الأوزاعي، عن هارون بن رئاب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى طُولِ آدَمَ عليه السلام ... وَعَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم».

قلت: هذا حديث منكر، وفيه علتان:

الأولى: رواد بن الجراح، اختلط، وروى المناكير عن الأثبات؛ قال البخاري: «كان قد اختلط، لا يكاد أن يقوم حديثه» (٢٤٠)، وقال النسائي: «ليس بالقوي، روى غير حديث منكر، وكان قد اختلط» (٢٤١).

وقال البزار: «صالح الحديث، ليس بالقوي، وقد حدث عنه جماعة من أهل العلم، واحتملوا حديثه» (٢٤٢).

(٢٤٠) التاريخ الكبير ٣/٣٣٦.

(٢٤١) الضعفاء والمتروكون له ص ٤٠.

(٢٤٢) مسند البزار ١٤/٤٦.

قلت: فهو ممن يُكتب حديثه ولا يحتج به، وتركه الدارقطني^(٢٤٣)، وذلك لاختلاطه بآخره، فترك الاحتجاج بحديثه، وفي مروياته عن سفيان الثوري ضعف شديد.

أما عن توثيق ابن معين له، وقوله: «ثقة»^(٢٤٤) أي من حيث العدالة لا الضبط، فقد كان شيخًا صالحًا، ولكن عامة ما يروي عن مشايخه لا يتابعه عليه الناس، ولذلك قال عنه ابن عدي: «وفي حديث الصالحين بعض النكرة إلا أنه ممن يكتب حديثه»^(٢٤٥).

الثانية: هارون بن رئاب، اختلف في سماعه من أنس رضي الله عنه وعلى عدم سماعه تُحمل روايته على الانقطاع؛ قال أبو حاتم الرازي: «روى عن أنس رؤية ... وروى عن رجل عن أنس»^(٢٤٦)، وذكره ابن حبان، وقال: «سمع أنس بن مالك»^(٢٤٧)، وقال في موضع آخر: «لم يسمع من أنس شيئاً»^(٢٤٨).

(٢٤٣) سؤالات البرقاني للدارقطني ص ٣٠.

(٢٤٤) تاريخ ابن معين -رواية الدارمي ص ١١٠.

(٢٤٥) الكامل في ضعفاء الرجال ٤ / ١٢٠.

(٢٤٦) الجرح والتعديل ٩ / ٨٩.

(٢٤٧) الثقات ٥ / ٥٠٨.

(٢٤٨) المصدر السابق ٧ / ٥٧٨.

قلت: وذكره أبو الحجاج المزي^(٢٤٩)، ونقل نفي ابن حبان لسماعه من أنس رضي الله عنه ولم ينتبه لقوله الآخر بإثبات السماع، اللهم إلا أن يكون قد اطلع عليه، وهو قول ضعيف عنده، وتبعه ابن كثير، وقال: «وقيل: لم يسمع منه»^(٢٥٠).

وعلى كلا الأمرين، فهذا الحديث من مخالفات رؤاد، فقد رواه غيره كعمر بن عبد الواحد^(٢٥١).

(٢٤٩) تهذيب الكمال ٨٢/٣٠.

(٢٥٠) التكميل في الجرح والتعديل ٤٢٦/١.

(٢٥١) وذلك كما أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (٢٧٨/٢) برقم (١١٦٤)، ومن طريقه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢٦٥/٧) برقم (٢٧١٦)، قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبد الصمد، حدثنا محمود بن خالد، حدثنا عمر بن عبد الواحد، عن الأوزاعي، عن هارون بن رئاب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا محلين».

وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥٦/٣)؛ قال الطبراني: «لم يروه عن الأوزاعي إلا عمر بن عبد الواحد، تفرد به محمود بن خالد».

قلت: كلا، فقد تُوبعا.

أما عن متابعة محمود بن خالد:

فقد رواه أبو الفضل الزهري في «حديث الزهري» (ص ١١٣) برقم (٤٦)، ومن طريقه البيهقي في «البعث والنشور» (ص ٢٤٤) برقم (٤١٨) عن صفوان بن صالح، عن عمر بن عبد الواحد، عن الأوزاعي ... به.

ورواه ابن أبي داود في «البعث» (ص ٥٧) برقم (٦٥)، ومن طريقه أبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (١٠٧٩/٣) برقم (٥٨٢)، وأبو نعيم الأصبهاني في «صفة الجنة» (١٠١/٢)، والضياء في «المختارة» (٣٦٥/٧) برقم (٢٧١٧)، من طريق عباس بن الوليد الخلال، ومحمود بن خالد كلاهما عن عمر بن عبد الواحد، عن الأوزاعي، عن هارون بن رثاب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبْعَثُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فِي مِيلَادِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، جُرْدًا، مُرْدًا، مُكْحَلِينَ، ثُمَّ يَذْهَبُ بِهِمْ إِلَى شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ، فَيُكْسَوْنَ مِنْهَا، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ».

أما متابعة عمر بن عبد الواحد:

فقد تابعه رواد بن الجراح، وزاد عليه كما تقدم، وتابعه أيضًا نصر بن الحجاج، والوليد بن مسلم، وغيرهما كما سيأتي.

قال الهيثمي: «رواه الطبراني في (الأوسط)، وإسناده جيد» (مجمع الزوائد ١٠/٣٩٩). قلت: لم أقف عليه في المطبوع من (المعجم الأوسط/طبعة دار الحرمين) فلعله سقط منها، أو يكون سبق قلم من الهيثمي، وهو الأشبه.

وقوله: (إسناده جيد) فيه نظر؛ لأن مداره على هارون بن رثاب عن أنس رضي الله عنه وهو مختلف في سماعه منه.

وقد روي من طرق أخرى لا تصح عن أنس رضي الله عنه.

فأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في «صفة الجنة» (١٠٨/٢) برقم (٢٦٢) من طريق أيوب الوزان، ثنا غسان بن عبيد، عن أبي عاتكة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جردًا، مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين».

قلت: هذا إسناده ضعيف جدًا، وفيه علتان:

الأولى: أبو عاتكة طريف بن سليمان؛ قال البخاري: «منكر الحديث» (التاريخ الكبير ٣٥٧/٤)، وقال أبو حاتم الرازي: «ذاهب الحديث، ضعيف الحديث» (الجرح والتعديل

٤/٤٩٤)، وقال النسائي: «ليس بثقة» (الضعفاء المتروكون له ص ٦٠)، وذكره الدارقطني في (الضعفاء والمتروكون له ١٥٩/٢).

الثانية: غسان بن عبيد؛ قال ابن حنبل: «خرقت حديثه مذ حين» (العلل ومعرفة الرجال/رواية عبد الله ٥٥٠/٢)، وقال أبو داود: «بلغني عن يحيى فيه كلام» (سؤالات الأجرى لأبي داود ص ٢٧٤)، وتبعهما ابن عدي، وقال: «الضعف على حديثه بين» (الكامل ١١٥/٧).

وأخرجه بحسب مطولا في «تاريخ واسط» (ص ٢١١)، والدولابي مختصرا واللفظ له في «الكنى والأسماء» (٤٢٢/١) برقم (٧٦٠) من طريق أبي الجهم عبد الغفار بن عمر القرشي، عن عكرمة بن عمار، عن يحيى بن أبي كثير، عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كل من يدخل الجنة على صورة أبناء ثلاث وثلاثين سنة، بيض، مرد، مكحولون، وطوله ستون ذراعا».

قلت: هذا إسناد ضعيف، وفيه علتان، وربما أكثر:

الأولى: عكرمة، مدلس وقد عنعن، وصفه بالتدليس أحمد، وأبو حاتم الرازي، والدارقطني (المدلسين ص ٧٣، طبقات المدلسين ص ٤٢)، كما أنه ضعيف ومضطرب في روايته عن يحيى؛ قال ابن حنبل: «أحاديث عكرمة بن عمار، عن يحيى بن أبي كثير؛ ضعاف ليست بصحاح» (العلل ومعرفة الرجال-رواية عبد الله ٤٩٤/٢)، وقال يحيى القطان: «أحاديثه عن يحيى بن أبي كثير، ضعيفة» (ميزان الاعتدال ٩١/٣، المغني في الضعفاء ٤٣٨/٢)، وهذا الحديث منها.

الثانية: الانقطاع، فابن أبي كثير، مكثر من التدليس والإرسال (المدلسين ص ١٠٢، جامع التحصيل ص ٢٩٩)، ولم يسمع من أنس رضي الله عنه قال أبو حاتم الرازي: «روى عن أنس مرسلا، وقد رأى أنسا رؤية» (الجرح والتعديل ١٤١/٩).

ونصر بن الحجاج^(٢٥٢)، والوليد بن مسلم^(٢٥٣)، عن الأوزاعي،
عن هارون بن رثاب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ... به.
دون ذكر موضع الشاهد، وهو قوله: **(على لسان محمد صلى الله عليه وسلم)**،
فهي زيادة منكرة.



(٢٥٢) طريق نصر بن الحجاج:

أخرجه تمام الرازي في فوائده (٣٤٧/١) برقم (٧٩١)، ومن طريقه ابن عساكر في
«تاريخ دمشق» (٢٩/٦٢) قال: حدثنا أبو عبد الله جعفر بن محمد بن جعفر الكندي،
ثنا أبو بكر محمد بن عمرو بن نصر القرشي، حدثني أبي، عن أبيه نصر بن
الحجاج، حدثني الأوزاعي، حدثني هارون بن رثاب، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال: «يبعث أهل الجنة في صورة آدم، ميلاد ثلاثة وثلاثين، مردًا جردًا مكحلين».

(٢٥٣) طريق الوليد بن مسلم:

أخرجه البخاري معلقًا في «التاريخ الكبير» (٢١٩/٨) قال: قال هشام بن عمار، نا
الوليد بن مسلم، قال نا الأوزاعي، عن هارون بن رثاب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه يرويه
قال: «أهل الجنة شباب جرد مرد مكحولون، ينتهي بهم إلى شجر الجنة فيكسون
منها ثيابًا، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم».

ولعل هناك متابع خامس لعمر بن عبد الواحد، وهو مبشر بن إسماعيل الحلبي، فذكر
ابن ماكولا تعليقًا على طريق الوليد بن مسلم، قال: «وقال مبشر: عن الأوزاعي، عن
هارون، عن رجل، عن أنس» (الإكمال في رفع الارتباب ١/١١٨).

خامساً: حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه.

أخرجه البخاري معلقاً في «التاريخ الكبير» (٥/٨) أن النبي ﷺ خرج على أصحابه، وهم يقولون لسلمان: ما نسبك؟ فقال سلمان: ما نسبة رجل خلق من التراب، وإلى التراب يعود، إن ثقلت موازيني فما أكرم نسبي، وإن خفت موازيني فما أذل نسبي، ثم تلا الآية: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف: ٨] فقال رسول الله ﷺ: «وَيْحَكَ يَا سَلْمَانَ أَحَبِّ الْعَرَبِ لثَلَاثٍ، نَبِيِّكَ عَرَبِيٌّ، وَقِرْآنَكَ، وَلِسَانُكَ فِي الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ». هكذا ساقه البخاري بلا إسناد في ترجمة محجن بن عبد الرحمن الكوفي.

وروي عنه مسنداً من وجه آخر بدون ذكر موضع الشاهد؛ أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٤٨/٢) برقم (٦٩٣)، وأحمد (٤٤٠/٥)، والترمذي (٧٢٣/٥) برقم (٣٩٢٧)، والبزار (٤٨١/٦) برقم (٢٥١٣)، وأبو يعلى الموصلي في معجمه (ص ٧٥) برقم (٥٧)، والعقيلي في «الضعفاء» (١٨٤/٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٣٨/٦) برقم (٦٠٩٣)، والحاكم في «المستدرک» (٩٦/٤)، وأبو نعيم الأصبهاني في «تاريخ أصبهان» (٨٢/١، ١٣٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٥٨/٣) برقم (١٤٩٤) كلهم من طرق عن شجاع بن الوليد، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن سلمان رضي الله عنه قال: قال

رسول الله ﷺ: «يَا سَلْمَانَ لَا تُبْغِضْنِي فَتُفَارِقَ دِينَكَ» قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ أَبْغِضُكَ وَبِكَ هَدَانَا اللَّهُ؟ قَالَ: «تُبْغِضُ الْعَرَبَ فَتُبْغِضْنِي». قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي بدر شجاع بن الوليد، وسمعت محمد بن إسماعيل، يقول: أبو ظبيان لم يدرك سلمان، مات سلمان قبل علي».

قلت: وقوله (حسن غريب) غريب إن أراد بالحسن المعنى الاصطلاحي، فهو لا يصح، وكذلك قول الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

وقد تعقبه الذهبي، وقال: «قابوس بن أبي ظبيان؛ تكلم فيه»، وقال أبو نعيم الأصبهاني: «تفرد به شجاع عن قابوس».

وهو كما قالوا، والحديث أعله البخاري بالانقطاع، وحكم عليه أبو حاتم الرازي بالنكارة، وفيه ثلاث علل:

الأولى: شجاع بن الوليد؛ قال ابن أبي حاتم الرازي: «سألت أبي عن أبي بدر شجاع بن الوليد أحب إليك أو عبد الله بن بكر السهمي؟ فقال: عبد الله أحب إلي؛ لأن أبا بدر روى حديث قابوس في العرب، هو حديث منكر»^(٢٥٤).

(٢٥٤) الجرح والتعديل ٣٧٩/٤.

وهو هذا الحديث، وقال أبو حاتم أيضاً: «لين الحديث، شيخ ليس بالمتين، لا يحتج به، إلا أن عنده عن محمد بن عمرو بن علقمة أحاديث صحاح»^(٢٥٥).

قلت: والراجح أنه صدوق، ولكن له أوهام وأغاليط، وهذا الحديث منها، وأخرج له الشيخان ما ثبت من حديثه.

الثانية: قابوس بن أبي ظبيان؛ قال ابن سعد: «فيه ضعف، لا يحتج به»^(٢٥٦)، وقال ابن حنبل: «ليس هو بذلك، وسئل جرير عن شيء من أحاديث قابوس، فقال: نفق قابوس نفق»^(٢٥٧).

وضعه أبو حاتم الرازي^(٢٥٨)، والنسائي^(٢٥٩)، والدارقطني^(٢٦٠)، وابن معين في رواية^(٢٦١)، وقال ابن حبان: «كان رديء الحفظ، ينفرد عن

(٢٥٥) الجرح والتعديل ٤/٣٧٩.

(٢٥٦) الطبقات الكبرى ٦/٣٣٠.

(٢٥٧) العلل ومعرفة الرجال-رواية عبد الله ١/٣٨٩.

(٢٥٨) علل الحديث لابنه ٣/٣٧٢.

(٢٥٩) الضعفاء والمتروكون للنسائي ص ٨٨.

(٢٦٠) سؤالات البرقاني للدارقطني ص ٥٨.

(٢٦١) قال عبد الله بن أحمد: «سألت يحيى عن قابوس بن أبي ظبيان، فقال: ضعيف الحديث» (العلل ومعرفة الرجال-رواية عبد الله ٣/٢٩)، وفي رواية أخرى، قال: «ليس به بأس» (تاريخ ابن معين-رواية ابن طهمان ص ٧٠)، وهي محمولة على العدالة دون الضبط.

أبيه بما لا أصل له، ربما رفع المرسل، وأسند الموقوف، كان يحيى بن معين شديد الحمل عليه» (٢٦٢).

الثالثة: الانقطاع؛ حصين بن جندب أبو ظبيان والد قابوس، لم يسمع من سلمان عليه السلام قاله البخاري (٢٦٣)، وقال أبو حاتم الرازي: «لا أظنه سمع من سلمان حديث العرب ... ولا يثبت له سماع من علي عليه السلام» (٢٦٤).

وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء» (٢٧٠/٧) من طريق أحمد بن علي بن محمد العمي، ثنا خالد بن عبد الرحمن، ثنا مسعر، عن أبي هاشم الرماني، عن زاذان، عن سلمان عليه السلام قال: مر بي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أغرس الفسيل فأعانني، فلم يضع لي فسيلة إلا نبتت، وقال: «يَا سَلْمَانُ، إِيَّاكَ أَنْ تَبْغَضَنِي»، قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ أَبْغَضُكَ وَقَدْ خَرَجْتُ أَطْلُبُ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ تُبْعَثَ؟ قَالَ: «تَبْغِضُ الْعَرَبَ فَتَبْغِضَنِي». قال: «تفرد به العمي، عن خالد، عن مسعر».

(٢٦٢) المجروحين ٢/٢١٦.

(٢٦٣) سنن الترمذي ٥/٧٢٣.

(٢٦٤) المراسيل لابنه ص ٥٠.

قلت: هذا إسناد واه، آفته خالد بن عبد الرحمن^(٢٦٥)، وهو ابن خالد بن سلمة المخزومي المكي؛ قال البخاري: «ذاهب»^(٢٦٦). وقال أبو حاتم الرازي: «ذاهب الحديث، تركوا حديثه»^(٢٦٧)، ورماه عمرو بن علي الفلاس بالوضع^(٢٦٨)، وهو كما قالوا.



(٢٦٥) تاريخ بغداد ٦٠/٥.

(٢٦٦) الضعفاء الكبير للعقيلي ٢٠٦/٣.

(٢٦٧) الجرح والتعديل ٣٤٢/٣.

(٢٦٨) تهذيب التهذيب ١٠٤/٣، وعزا ابن حجر نقله عن البخاري في (التاريخ الأوسط)، ولم أقف عليه في المطبوع (دار الوعي - حلب، مكتبة دار التراث - القاهرة)، ولعله سقط منها، أو أن نسخة (الأوسط) التي اعتمد عليها ابن حجر فيها زيادات دون غيرها.

سادساً : حديث ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً.

أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (ص ١٦٢) قال:
حدثني هارون، حدثنا محمد بن عمر، أخبرنا سليمان بن داود
بن الحصين، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:
«لِسَانُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ».

قلت: هذا حديث منكر، وفيه علتان:

الأولى: جهالة سليمان بن داود بن الحصين؛ قال الهيثمي:
«لم أرَ مَنْ ذكره»^(٢٦٩).

قلت: ذكره ابن أبي حاتم^(٢٧٠)، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً،
فهو مجهول الحال، وإليه ذهب ابن حجر، فقال: «لا يُعرف
حاله»^(٢٧١).

الثانية: داود بن الحصين المدني؛ قال ابن المديني: «ما روى
عن عكرمة فمنكر الحديث»^(٢٧٢)، ووافقه أبو داود السجستاني،

(٢٦٩) مجمع الزوائد ١/١٣٥.

(٢٧٠) الجرح والتعديل ٤/١١١، قال: «روى عن أبيه داود بن الحصين، روى عنه عبد الله بن محمد بن عمارة المعروف بابن القداح، الذي روى عنه عمر بن شبة، سمعت أبي يقول ذلك».

(٢٧١) فتح الباري ٨/١٣٩.

(٢٧٢) الجرح والتعديل ٣/٤٠٩.

وقال: «أحاديثه عن عكرمة مناكير»^(٢٧٣)، وهو كما قالوا، وهذا الحديث منها.



(تتبيه):

ما رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (ص ١٦٢) عن الزهري؛ قال: حدثنا هارون بن سفيان، أنا محمد بن عمر، أنا عبد الرحمن بن عبد العزيز، قال: سألت الزهري عن لسان أهل الجنة، فقال: بلغني أنه عربي. لا يصح؛ لأنه من بلاغات الزهري، وهي شبه الريح، واهية.



(٢٧٣) تهذيب الكمال ٨/٣٨١، ميزان الاعتدال ٥/٢.

(مسألة):

أحاديث تفضيل العرب على غيرهم، وما تشتمل عليه من تمييز عنصري لبعض الأجناس، والألوان على بعض، مخالفة لصريح آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الثابتة عن النبي ﷺ من أنه لا فرق لعربي على عجمي إلا بالتقوى، والعمل الصالح.

وأن من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال تعالى: ﴿مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعَثْنَاكُمْ إِلَّا كَفَافٍ لِّأَنْفُسِكُمْ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨].

فامرأتي نوح ولوط ﷺ لم يغنيا عنهما النسب شيئاً؛ قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَحْفَ وَلَا تُحْرِزْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٣].

كذلك ولد نوح ﷺ قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ (٤٢) قَالَ سَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ

يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ
وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿هود: ٤٢، ٤٣﴾.

وقال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ
وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ
مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلَنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ
بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنُ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿هود: ٤٥ - ٤٧﴾.

كذلك أبو لهب عم النبي ﷺ قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١)
مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ
حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ [المسد: ١ - ٥].

وأبو طالب عمه أيضاً بالرغم من مناصرته، ودفاعه عن النبي ﷺ إلا
أنه ﷺ لم يستطع أن ينجيه من عذاب النار بسبب كفره، غاية ما
هنالك أنه كان سبباً في تخفيف العذاب عنه.

فعن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا
طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، هُوَ فِي

ضَخَّاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» (٢٧٤)،
أي في قعر جهنم.

وغير هؤلاء الكثير من أقارب الأنبياء، والرسول من العرب وغيرهم،
فالعبرة بالتقوى لا بغيرها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ
يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» (٢٧٥).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢٧٦) قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ
مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمَلِكُ لَكُمْ
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا سَأَلْتُمْ» (٢٧٧)، وغير ذلك من الأدلة
الدالة على بطلان تلك الدعوى.

(٢٧٤) أخرجه البخاري (٤٦/٨) كتاب الأدب، باب كنية المشرك، برقم (٦٢٠٨)، ومسلم
(١٩٤/١) كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، برقم
(٢٠٩/٣٥٧).

(٢٧٥) أخرجه مسلم (٢٠٧٤/٤) كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة
القرآن وعلى الذكر، برقم (٢٦٩٩/٣٨).

(٢٧٦) [الشعراء: ٢١٤].

(٢٧٧) أخرجه مسلم (١/١٩٢) كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ﴾، برقم (٢٠٥/٣٥٠).

كذلك العكس، ففي أواخر عصر الدولة الأموية، وبسبب محاولة بني أمية إحياء التعصب القبلي، والعودة إلى القبيلة والعرق، أدى ذلك إلى تعرض المسلمين من غير العرب كالفرس، والروم، والترك، وغيرهم (الموالي) إلى التمييز، والازدراء، مما أثار سلبياً عليهم، فانضموا إلى كل محاولات المعارضة، والاحتجاج على بني أمية، واستمر الأمر إلى أوائل عهد الدولة العباسية.

وإذا كان هناك من العرب من وضع أحاديثاً في فضل العربية والترغيب فيها، كان بعض الموالى أيضاً لا سيما من الفرس يضعون أحاديثاً، وينشرونها بين عوام المسلمين وغيرهم، في الثناء على لغاتهم، والطعن في العربية وأهلها، والانتقاص منهم، وهو ما عُرف في التاريخ الإسلامي بالشُّعوبية.

وكلا الأمرين خطأ، فمبادئ الإسلام تنهى عن التعصب للقومية، وعن الظلم والجور، وتدعو إلى العدل والمساواة بين كل الأعراق، وأنه لا مزية لأحد على أحد إلا بالإيمان والتقوى.



المبحث الحادي عشر

الترجيح والاختيار

يتضح لنا مما سبق أنه لا يثبت في الباب شيء من جهة النقل مرفوعًا أو موقوفًا، يمكن الاطمئنان إليه والاحتجاج به، على أن لغة أهل الجنة، وأهل الموقف بين يدي الله ﷻ يوم القيامة هي العربية، وليس معنى أن القرآن الكريم نزل بها، وخير البشر ﷺ بُعث في العرب، أن في ذلك دليلاً مرجحاً أنها لغة أهل الجنة، أو أصل اللغات كما زعم، ويتوهم البعض.

كذلك تعيين ماهية لغات الملائكة والشياطين، وبأجوج ومأجوج، وغير ذلك مما استأثر الله ﷻ بعلمه.

وما جاء في ذلك من آثار عن التابعين ومن تبعهم، فإنها لا تغني من الحق شيئاً؛ لأنها تفتقر إلى الدليل والبرهان، وهي أقوال يُحتج لها بالأدلة الشرعية لا بها على الأدلة.

أما ما ورد من تمثّل بعض الملائكة كجبريل، وملاك الموت، وغيرهما في صورة بشرية، وتحديثهم بالعربية، وبلغه إبراهيم، ولوط، وموسى ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَدْ لَبِثْتُ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ

حَنِيزٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿هود: ٦٩، ٧٠﴾.
 وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَنْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١].

وكما أخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ النَّيَابِ ... وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ... قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ ... ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» (٢٧٨).

كذلك ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى رضي الله عنه فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَعَيْنُهُ وَقَالَ:

(٢٧٨) تقدم تخريجه.

ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَنْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا عَطَّتْ بِهِ يَدَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةً، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ» (٢٧٩).

وأيضاً ما ثبت من تحدث أحد الشياطين بالعربية مع أبي هريرة ﷺ عندما جاءه في صورة إنسان، وأخذ من طعام الزكاة، وذلك كما رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: وَكَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمْضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ ... فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَأ حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ ... فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، قَالَ: لَا، قَالَ: «ذَلِكَ شَيْطَانٌ» (٢٨٠).

فإن ذلك كله يدل على ما منحهم الله ﷻ من القدرة على التحدث بالكثير من اللغات، فجبريل ﷺ موكل بالوحي، وجاء إلى الأنبياء وخاطبهم بلغاتهم.

(٢٧٩) تقدم تخريجه.

(٢٨٠) تقدم تخريجه.

وكذلك الشياطين توسوس إلى كل البشر مع اختلاف اللغات، ولكن لا يوجد دليل على ترجيح لغة دون أخرى أنها بعينها لغتهم، وإذا كان ذلك كذلك فلا نملك إلا الإذعان، وتفويض علم ذلك إلى الله ﷻ لا سيما وأن المسألة لا ينبنى عليها عمل، ولم يكلفنا الله ﷻ أو رسوله الكريم ﷺ الخوض فيها، ومن ثم فالبحث فيها يُعد من زغل العلم.

والذي دفعني إلى تحريرها وتحقيق ما ورد فيها، هو ذب الكذب عن الله ﷻ وعن رسوله ﷺ لأن كل من تكلم فيها من اللغويين والمفسرين وغيرهم يحتجون بأباطيل، وأحاديث واهية ينسبون لها للنبي ﷺ دون تثبت.

وقد نهانا ﷻ عن الكذب عليه، والتقول عليه ما لم يقل، فقال ﷻ: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبِ عَلَيَّ أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا؛ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٢٨١)، وقال ﷻ: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ»^(٢٨٢).

(٢٨١) أخرجه البخاري (٨٠/٢) كتاب الجنائز، باب: ما يكره من النياحة على الميت، برقم (١٢٩١)، ومسلم (١٠/١) المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ برقم (٤/٤) من حديث المغيرة بن شعبة ﷻ.

(٢٨٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (٨/١) باب وجوب الرواية عن الثقات، وترك الكاذبين، من حديث سُمرة بن جندب، والمغيرة بن شعبة ﷻ.

بل هناك من أبعد النجعة، وكذب على الله ﷻ وزعم أنه ﷻ أرسل ملائكة أخبرته بلغاتهم، وأنه عُرج به، وتحدث معهم في السماء.

وقد حذرنا الله ﷻ من الكذب عليه، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩، ٧٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦، ١١٧].

ونهانا ﷻ أن نقول عليه ما لا علم لنا به، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال ﷻ في شأن من زعم أن النبي ﷻ يفتري عليه كذبًا، وأن القرآن ليس من عنده ﷻ: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٣-٤٧].

وجاء في القرآن الكريم عن نفر من الجن أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرْسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا

تَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا
رَصَدًا ﴿[الجن: ٨، ٩].

وعندما استبطأ رسول الله ﷺ نزول جبريل ﷺ بالوحي، أنزل
الله ﷻ حكاية عن الملائكة ﷻ: ﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ
مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ
نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وَمِنْ ثَمَّ فَإِذَا كَانَ الْعُرُوجَ وَالنَّزُولَ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لَهُوَ أَوْ عَبْتًا أَوْ تَبَعًا
للّهوى، فكيف يدّعي بعد ذلك إدوارد كيللي Edward Kelly، ورفيقه
جون دي John Dee كذبًا أنهما كانا لهما اتصال بالملائكة؟!
فهذا لَعَمْرُ اللَّهِ لهو الضلال البعيد، نعوذ به ﷻ مِنَ الهوى، وَمِنْ
الكذب عليه ﷻ.



الفصل الثاني

أصل نشأة لغات البشر

وفيه تمهيد وثلاثة عشر مبحثاً:

المبحث الأول: نظرية الإلهام والتوقيف.

المبحث الثاني: نظرية الاصطلاح.

المبحث الثالث: نظرية المحاكاة الطبيعية والمناسبة أو بَاو- وَاو

.Bow.wow

المبحث الرابع: ذاتية العلاقة بين الألفاظ والمعاني.

المبحث الخامس: مبدأ اللغات اصطلاحية ثم توقيفية.

المبحث السادس: مبدأ اللغات توقيفية ثم اصطلاحية.

المبحث السابع: نظرية (بُو - بُو) Pooh-pooh.

المبحث الثامن: نظرية ding-dong.

المبحث التاسع: نظرية الغناء The theory of singing/sing-song.

المبحث العاشر: نظرية الاستجابة الصوتية للحركات العضلية

.yo.he.ho

المبحث الحادي عشر: نظرية Ta-Ta.

المبحث الثاني عشر: نظرية La-La.

المبحث الثالث عشر: الترجيح والاختيار.

تَهَيُّدُ

تعد اللغة من أهم ملكات العقل، الذي به يتميز الإنسان على سائر المخلوقات، فهي أصوات يعبر بها البشر عن أغراضهم، وحاجتهم المختلفة، ولكن هذه الأصوات لا تدل على المعاني مفردة، وإنما من خلال انتظام بعضها مع بعض لتكوين الكلمة، ثم الجملة للدلالة على المعنى المراد.

وفق قواعد منضبطة تحكم كل اللغات، مع الاختلاف في بعض الجزئيات من لغة إلى أخرى.

وذلك من خلال نظام صوتي يختص بالأصوات المفردة ك(أ-ب-ي) أو (A-B-Z)، وطريقة تركيبها في كلمة مفردة، ككلمة (جامعة) في العربية أو (אוניברסיטה) في العبرية، أو (UNIVERSITY) في الإنجليزية.

ونظام صرفي يهتم بضبط، وتصنيف المفردات، ونحو ذلك مما يتعلق بها، فمثلا في العربية تقسم الكلمة إلى اسم، وفعل،

وحرف، والاسم إلى مذكر ومؤنث، والفعل إلى ماضٍ، ومضارع، وأمر، وإلى معتل وصحيح ... إلخ.

بينما في الإنجليزية يقسم مثلا الفعل إلى الماضي، والمضارع، والمستقبل، وكل نوع منها يُصاغ على أربعة أشكال: البسيط، التام، المستمر، التام المستمر.

فيقال: Present simple tense زمن المضارع البسيط، وزمن المستقبل البسيط (Future simple tense) ونحو ذلك.

ونظام نحوي من خلال تكوين الكلمات للجمل وفق أصول وضوابط علمية من رفع للمرفوع، ونصب للمنصوب، مع الاهتمام بقوانين المطابقة في التذكير والتأنيث، والعدد، والتعريف والتكثير، مع تفصيل.

ونظام كتابي يحدد عدد الحروف، وطريقة رسمها وكتابتها على الأوراق، أو الجلود والجدران ... إلخ.

ونظام دلالي من خلال الاهتمام بالمعنى، حيث يُعد النظام الدلالي هو الغاية من كل هذه الأنظمة، باعتباره مهتمًا ببيان المعنى المراد من تلك الأصوات التي يصدرها الإنسان.

أي هو مهتم بدراسة اللغة من خلال دلالتها على المعنى، سواء أكان ذلك خاصًا بالكلمة المفردة أم بالتراكيب المختلفة للجمل.

وقد نقل اللغوي البريطاني فيرث (ت ١٩٦٠م) John Rupert Firth في كتابه (Papers in Linguistics) أن جميع فروع علم اللغة تهتم بالمعنى، حتى الصوتيات من خلال دراسة صوت الكلام؛ قال (٢٨٣):

all branches of linguistics are concerned with 'meaning', even phonetics. The study of the sound of speech, regarded as just another sort of noise in the world, is a branch of physics.

وهو كما قال، وهذا ما يُعرف بالدلالة الصوتية، وقد تنبه إلى ذلك علماء المسلمين منذ وقت مبكر، وسيأتي بيان ذلك في ثنايا الكلام عن المناسبة بين اللفظ والمعنى.

ولأهمية (المعنى) فقد اعتنى به علماء أصول الفقه، واهتموا به اهتماماً شديداً لما له من أثر في حسن فهم آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وما يترتب على ذلك من استنباط للأحكام الشرعية.

وقد أدى الاختلاف في معرفة الدلالات إلى تنوع المدارس في الأصول والفروع الفقهية.

ونظراً إلى أن استنباط الأصولي للأحكام الشرعية يعتمد على معرفة طرق الدلالة، فقد اهتم بدراسة دلالة الألفاظ على المعاني، من خلال

papers in Linguistics p255. (٢٨٣)

دراسة معنى الكلمة الدلالي منفردًا، وهو ما يُعرف بالدلالة المركزية أو الأصلية.

ومعرفة معقول أو مفهوم النص من خلال معنى الكلمة الدلالي ضمن السياق في الجملة، ويُعرف هذا بالدلالة الهامشية أو التبعية. فقد عنى الأصوليون باستقراء أساليب العبارة، وما يطرأ على الكلام من عمومٍ وخصوص، وإطلاق وتقييد، واستثناء وشرط، ونفي وإثبات، وهل الأمر للوجوب، أو النَّدْب أو الإباحة؟ وهل يراد به الفور، أو التَّراخي؟ وهل النهي يقتضي الفساد أو الصحة؟ والمطلق هل يحمل على المقيّد مطلقًا أو لا؟ ومعرفة أقل الجمع، وأثره في اختلاف الأحكام.

كذلك اهتموا بما يدل عليه سياق الكلام، من تنبيه وفحوى، وإيماء وإشارة، وأمثال ذلك، بحيث وضعوا في الأخير نظريتهم في شأن دلالات الألفاظ على الأحكام الشرعية، مع تفصيل مبسوط في كتابي (الفكر الدلالي عند الأصوليين) وهو موضوع رسالتي للماجستير، فليراجعه مَنْ شاء.

ولقد كان لدراسة اللغة بجانب صلتها بعلوم أُخر، كالفلسفة، والنفس، والاجتماع، والأنثروبوجيا أو علم الإنسان إلى غير ذلك، وسيلة لفهم الطبيعة البشرية.

ونظرًا لكونها وسيلة المعنى الأولى، فقد اهتم العلماء بها،
وتعددت النظريات والفرضيات بين الفلاسفة، واللغويين،
وغيرهم حول معرفة أصل نشأتها.

ومن أقدم مَنْ وقفت عليه نُسب إليه الكلام في هذه المسألة
الفيلسوف الباكي اليوناني هرقليطس Heraclitus، والفيلسوف
الضاحك ديموقريطوس.

حيث بدأ التفكير والبحث في قضايا اللغة عند اليونانيين
الأوائل من خلال الفلسفة، باعتبارها آنذاك علمًا يشمل الكثير
من العلوم، ومن ثم فلا عجب أن يكون كبار اللغويين عندهم
هم من الفلاسفة كسقراط، وأفلاطون، وأرسطو، ثم تتابعت
أقوال العلماء من بعدهم في تفسير هذه المسألة.



المبحث الأول نظرية الإلهام والنويف

يرى أصحاب هذه النظرية أن اللغة وحي وإلهام من عند الله ﷻ مَنْ بِهِ عَلَّمَ عَلَى الْإِنْسَانِ فَعَلِمَهُ النُّطْقَ، وَأَسْمَاءَ الْأَشْيَاءِ، فَالْأَسْمَاءُ قَدْ أُعْطِيَتْ مِنْ لَدُنْ قُوَّةِ الْهَيْبَةِ لِتَكُونَ أَسْمَاءَ لِمَسْمِيَّاتِهَا، وَقَدْ نُسِبَ هَذَا الْقَوْلُ إِلَى الْفِيلَسُوفِ Heraclitus^(٢٨٤).

وفي العصور الوسطى قال به البعض كأبي الحسن الأشعري^(٢٨٥)، وأبي القاسم البلخي المعتزلي^(٢٨٦)،

(٢٨٤) علم اللغة لعبد الواحد ص ٩٧، الوجيز في فقه اللغة ص ٥٦، قال د/علي عبد الواحد ﷻ: «ونسبة هذا الرأي له ليست يقينية» (نشأة اللغة عند الإنسان والطفل ص ٣٠)، ولم يذكر مصدره في هذا النقل، فلعل الله ﷻ يُحدث بعد ذلك أمرًا.
(٢٨٥) المحصول في علم الأصول ١/١٨١.
(٢٨٦) التذكرة في أحكام الجواهر ص ٣٩٦، وأوجب هو وغيره من البغداديين وجوب البيعة لتعريف اللغات (المصدر السابق).

والجصاص^(٢٨٧)، وابن فارس^(٢٨٨)، وابن قصار المالكي^(٢٨٩)، وابن حزم^(٢٩٠)، وغيرهم^(٢٩١)، وهو أحد قولي الأخفش الأوسط^(٢٩٢)، وأبي علي الفارسي^(٢٩٣).

ونقله علاء الدين السمرقندي^(٢٩٤) (ت ٥٣٩) عن عامة المتكلمين من أهل الحديث، وعامة أهل الحديث من الفقهاء وأهل التفسير.

وفي العصور الحديثة قال به طائفة من العلماء على رأسها الأب برنارد لامي Bernard Lami's (ت ١٧١٥م) في كتابه «فن الكلام» L'Art de Parler^(٢٩٥)

(٢٨٧) أحكام القرآن ١/٣٥.

(٢٨٨) الصاحبي في فقه اللغة ص ١٦.

(٢٨٩) المقدمة في الأصول ص ٤٥.

(٢٩٠) المحلى ٧/٢٣٢، الفصل في الملل والنحل ٣/١٠٧.

(٢٩١) المحصول ١/١٨١، الإشارة في أصول الفقه للباجي ص ٥٢، روضة الناظر ١/٤٨٧،

الإحكام في أصول الأحكام للأمدي ١/٧٥، شرح مختصر الروضة ١/٤٧٥.

(٢٩٢) الخصائص ١/٤٢.

(٢٩٣) المصدر السابق، وقال الحسن بن متويه (ت ٤٦٩): «وجوّز أبو علي أن يكون ابتداء

اللغات مواضعة، وجوّز أن يكون توقيفاً، وكلامه في التفسير هو على أنها توقيف» (التذكرة

في أحكام الجواهر ص ٣٩٦).

(٢٩٤) ميزان الأصول في نتائج العقول ص ٣٨٩.

L'Art de Parler p236. (٢٩٥)

والفيلسوف الفرنسي دي بونالد (ت ١٨٤٠م) De Bonald في كتابه «التشريع البدائي» *Législation primitive* حيث ذهب إلى أن اللغة ليست من خلق الإرادة البشرية، فالناس لم يتفقوا فيما بينهم على أن يكون ثمة لغة فكان هناك لغة.

فالإنسان لا يقدر على خلق شيء، فهو في أي لحظة نفترض أن تكون مدتها خلق فيها، قد استقبل الكلمة ولم يتمكن من اختراعها، كما يتلقاها اليوم ولا ي اخترعها؛ قال (٢٩٦):

L'homme, à quelque instant qu'on suppose de la durée, a donc reçu la parole, et n'a pu l'inventer, comme il la reçoit aujourd'hui, et ne l'invente pas.

وهو كما قال، ولكن في قوله: *comme il la reçoit aujourd'hui, et ne l'invente pas.*

نظر؛ لأن اللغة كلها ليست توقيفية، فهناك جزء منها اصطلاحى من اختراع وتواضع البشر كما سيأتي.

وذهب أيضًا إلى أنه من الطبيعي بالتأكيد أن نفكر أن الخالق الذي شكل الإنسان لم يترك وسائل إبقائه عشوائية من اختراعاته.

وتسائل وكيف كان الجنس البشري حتى الجيل الثاني، لو لم يكن لدى الأول جميع وسائل الحفظ اللازمة، ومن بينها فن الكلام الذي يعطي معرفة بالقاعدة، هو الأول؛ قال (٢٩٧):

et assurément il est naturel de penser que l'être qui a formé l'homme n'a pas laissé les moyens de le conserver au hasard de ses inventions. Et comment le genre humain eût-il été jusqu'à la seconde génération , si la première n'eût eu tous les moyens nécessaires de conservation , entre lesquels l'art de la parole, qui donne la connaissance de la règle, est le premier?

وُنسب هذا القول أيضًا إلى الفيلسوف الفرنسي De Maistre جوزيف دي مايستر (٢٩٨) (ت ١٨٢١م).

وذهب الدكتور/ علي عبد الواحد إلى أن ابن جني ممن قال بهذا القول؛ قال: «وقد مال إلى هذا الرأي كذلك ابن جني في كتابه (الخصائص)، وإن كان قد ردَّ في أول الفصل على ما يعتمد عليه القائلون به، ذاهبًا إلى أنه لا ينهض دليلًا لهم» (٢٩٩).

Législation primitive p220. (٢٩٧)

(٢٩٨) اللسانيات لجان بيرو ص ٩٦.

(٢٩٩) علم اللغة ص ٩٧.

وفيه نظر؛ لأن ابن جني توقف في المسألة، حيث قال بعد أن ذكر القول بالإلهام، والقول بالاصطلاح: «فأقف بين تين الخلتين حسيراً وأكاثرهما فأنكفى مكثوراً، وإن خطر خاطر فيما بعد يعلق الكف بإحدى الجهتين، ويكفها عن صاحبتهما؛ قلنا به، وبالله التوفيق»^(٣٠٠).

وتبعه بالوقف في المسألة - وعدم الجزم بقول من هذه الأقوال؛ لأنها كلها من وجهة نظره ممكنة، ولا يوجد دليل يقطع بواحد منها - الباقلائي^(٣٠١)، وأبو يعلى الفراء^(٣٠٢)، والجويني^(٣٠٣)، والغزالي^(٣٠٤)، وغيرهم^(٣٠٥)، ونقله فخر الدين الرازي عن جمهور المحققين^(٣٠٦).

واحتج القائلون بالإلهام والتوقيف بالمنقول والمعقول.

(٣٠٠) الخصائص ٤٨/١.

(٣٠١) التقريب والإرشاد الصغير ٣٢٠/١.

(٣٠٢) العدة ١٩١/١.

(٣٠٣) البرهان ٤٤/١.

(٣٠٤) المستصفى ص ١٨١، المنحول ص ١٣١.

(٣٠٥) الوصول إلى الأصول ١/١٢٣، المحصول لابن العربي ص ٢٩، منهاج الوصول ص ٩، نهاية السؤل ص ٨٠.

(٣٠٦) المحصول للرازي ١/١٨٢.

أما المنقول:

فاستدلوا بعموم قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:

٣١]، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه (ت ٦٨): «علم الله آدم الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة، وأرض، وسهل، وبحر، وجبل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها»^(٣٠٧).

وفي رواية أخرى: «علمه اسم كل شيء، حتى الهنة والهنيئة، والفسوة والضرطة»^(٣٠٨).

وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤): «ما خلق الله كله»^(٣٠٩)، وقال قتادة بن دعامة السدوسي^(٣١٠) (ت ١١٧): «علمه اسم كل شيء، هذا بحر، وهذا جبل، وهذا كذا، وهذا كذا، لكل شيء»^(٣١١).

وقال الأخفش الأوسط (ت ٢١٥): «الله سبحانه علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات: العربية، والفارسية،

(٣٠٧) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٨٢/١.

(٣٠٨) المصدر السابق ٤٨٤/١.

(٣٠٩) أخرجه مجاهد في تفسيره ص ١٩٩، والطبري ٤٨٣/١.

(٣١٠) بفتح السين، وضم الدال المهملتين، وسكون الواو، وفي آخرها سين أخرى، هذه النسبة إلى سدوس بن شيان، وسدوس التميمي (الأنساب للسمعاني ١٠٢/٧، اللباب في تهذيب الأسماء ١٠٩/٢، لب اللباب ص ١٣٤).

(٣١١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢٦٦/١، والطبري ٤٨٤/١.

والسريانية، والعبرية، والرومية، وغير ذلك من سائر اللغات»^(٣١٢).

ورأى أن آدم ﷺ وولده كانوا يتكلمون بهذه اللغات، ثم إن ولده تفرقوا في الدنيا، وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت عليه، واضمحل عنه ما سواها لبعدهم عهدهم بها.

وذهب الجصاص (ت ٣٧٠) استدلالاً بالآية إلى أن أصول اللغات كلها توقيف، وأنه ﷺ علم آدم ﷺ إياها بمعانيها إذ لا فضيلة في معرفة الأسماء دون المعاني؛ قال: «وهذه الآية تدل على أن أصول اللغات كلها توقيف من الله تعالى لآدم ﷺ عليها على اختلافها...»^(٣١٣).

واحتجوا أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ الْأَلْسِنَتَكُمْ وَاللُّغَاتِ﴾ [الروم: ٢٢]، والمراد اختلاف اللغات لا البنية التشريحية للسان.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [النجم: ٢٣].

(٣١٢) كما في الخصائص ٤٢/١.

(٣١٣) أحكام القرآن ٣٦/١.

قال ابن حزم (ت ٤٥٦): «فصح أن الأسماء كلها توقيف من الله تعالى، لا سيما أسماء أحكام الشريعة التي لا يجوز فيها الإحداث، ولا تُعلم إلا بالنصوص»^(٣١٤).

واستدل الغريون بما ورد في العهد القديم (التوراة) سفر التكوين: «والله خَلَق مِنَ الطين جميع حيوانات الحقول، وجميع طيور السماء، ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها، وليحمل كل منها الاسم الذي يضعه له الإنسان، فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول»^(٣١٥).

قلت: وما احتجوا به دليلاً عليهم لا لهم؛ لأن فيه أن آدم ﷺ هو مَنْ سَمَى الأسماء، وليس الأمر توقيفاً من الله ﷻ. وفي الفقرة السابقة لهذا النقل ما يؤكد ذلك، حيث جاء فيها: «وَجَبَلُ الرَّبِّ إِلَهُهُ مِنَ الْأَرْضِ كُلِّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّ، وَكُلِّ طَيْرِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا، وَكُلِّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتِ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهِيَ اسْمُهَا»^(٣١٦).

(٣١٤) المحلى ٧/٢٣٢.

(٣١٥) سفر التكوين/الإصحاح الثاني/ال فقرتين ١٩، ٢٠.

(٣١٦) سفر التكوين/الإصحاح الثاني/الفقرة ١٨.

واستدلوا أيضاً بما جاء في إنجيل (يوحنا): «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله»^(٣١٧).

أما المعقول:

فروا أن اللغات لو كانت اصطلاحية لاحتاج الإنسان في التخاطب بوضعها إلى اصطلاح آخر من لغة، ويلزم من ذلك إما الدور، أو التسلسل في الأوضاع، وهذا محال، ومن ثم فلا بد من الانتهاء إلى التوقيف.

وهو ما أشار إليه De Bonald بأن اللغة واجب وجود لمنشأ اللغة ذاتها^(٣١٨).

وسبقه إلى هذا الفهم فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦) في ثنايا كلامه عن أدلة القائلين بالتوقيف؛ قال: «وأما المعقول فمن وجهين:

أحدهما: أن الاصطلاح إنما يكون بأن يعرف كل واحد منهم صاحبه ما في ضميره، وذلك لا يعرف إلا بطريق كالألفاظ والكتابة، وكيفما كان فإن ذلك الطريق لا يفيد لذاته»^(٣١٩).

(٣١٧) إنجيل يوحنا/ الإصحاح الأول/ الفقرة ١.

(٣١٨) في فلسفة اللغة ص ٢٦.

(٣١٩) المحصول ١/ ١٨٦.

وذلك لأنه إما أن يكون باصطلاح واتفاق بين مجموعة من الناس، ومن ثم فيكون الكلام فيه كما في الأول، ويلزم التسلسل، أو بالإلهام والتوقيف من الله ﷻ وهو المطلوب. ثم أضاف الرازي وجهًا آخر، فقال: «وثانيها: أنها لو كانت بالمواضعة لارتفع الأمان عن الشرع؛ لأنها لعلها على خلاف ما اعتقدناها أحمَد؛ لأن اللغات قد تبدّلت...» (٣٢٠).



(٣٢٠) المحصول ١/١٨٧.

واعترض على أصحاب هذه النظرية بعدة أمور، منها:
أولاً: منطوق الآية لا يدل بظاهره على العموم والاستغراق؛
لأن فيه تنصيماً على الأسماء فقط، ومِن ثَم فلا يشمل
الأفعال والحروف^(٣٢١).

قلت: هذه القسمة بناء على اصطلاح النحويين بأن الاسم ما
دل على معنى في نفسه غير مقترن بزمن، وهو اصطلاح
متأخر حادث.

أما في اللغة فالاسم هو ما يُطلق على مسمّى سواء كان فعلاً
أو حرفاً؛ قال أبو العباس المبرد (ت ٢٨٦): «الاسم: ما دلَّ على
مسمّى تحته»^(٣٢٢)، وقال أبو العباس ثعلب (ت ٢٩١): «الاسم:
سمةٌ تُوضَع على الشيء يُعرف بها»^(٣٢٣).

ومن ثَم فهما داخلان ضمناً، فيثبت فيهما ما ثبت في الأسماء،
أي أن آدم ﷺ مع تعلمه الأسماء، تعلم الأفعال والحروف
أيضاً.

وفي «الصحيحين» في حديث الشفاعة عن أنس ﷺ عن النبي
ﷺ قال: «يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... فَيَأْتُونَ آدَمَ

(٣٢١) الخصائص ١/٤٢.

(٣٢٢) الإنصاف في مسائل الخلاف ١/٨.

(٣٢٣) المصدر السابق.

فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ
مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ» (٣٢٤).

حتى لو كان لفظ: (الأسماء) في الآية محمولا على
الاصطلاح النحوي، فلا حجة للمعترض فيه؛ لأن الكلام ينقسم
بالاستقراء إلى (اسم، وفعل، وحرف)، وتخصيص لفظ الاسم
بأحد الأقسام الثلاثة معلوم في عُرف اللغويين والنحويين.

كما أن هذا من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، كما في قوله
تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ [المجادلة: ٣]، فأطلق الجزء
وهو الرقبة، وأراد الكل وهو الذات.

وقوله تعالى: ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ
فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]، والمراد الوجه والبدن، فمن
غير المنطقي أن يكون الوجه شطر المسجد، والجسد عكسه.

وكما قال ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ
الظُّهْرِ، وَسَجْدَتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ، وَسَجْدَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ،
وَسَجْدَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَسَجْدَتَيْنِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ، فَأَمَّا الْمَغْرِبُ
وَالْعِشَاءُ فَفِي بَيْتِهِ» (٣٢٥).

(٣٢٤) تقدم تخريجه.

(٣٢٥) أخرجه البخاري (٥٧/٢) كتاب التهجد، باب التطوع بعد المكتوبة، برقم (١١٧٢)،

فأطلق الجزء وهو السجدتان، وأراد الكل وهما الركعتان، وخص
السجدة بالذكر؛ لأنها رُكن أساسي من الركعة.
وكقول الشاعر الجاهلي عنتره (ت ٢٢٢ق.م):

فَخَرَّ عَلَى صَعِيدِ الْأَرْضِ مُلْقَى عَفِيرَ الْخَدِّ مَخْضُوبَ الْبَنَانِ^(٣٢٦)

فأطلق الجزء (الخد)، وأراد الكل (الوجه كاملاً)، وأطلق
(البنان) جمع (بنانة)، وهو أطراف أصابع اليدين والرجلين؛
قال تعالى: ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢] أي كل
مفصل وطرف من أطراف أرجلهم وأيديهم.

قال أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨): «البنان: أطراف الأصابع،
ويقال: البنان الأصابع بعينها»^(٣٢٧)، وعلى كلا التقديرين فالمراد
به الكل، اليد والرجل.

والقرآن الكريم عبّر بأفضل الأقسام، وهو الاسم لاشتقاقه من
السمو، وهو ارتفاع منزلته عن الفعل والحرف، أو لاشتقاقه من

ومسلم (٥٠٤/١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل السنن الراجعة قبل الفرائض
وبعدهن، برقم (٧٢٩/١٠٤).

(٣٢٦) ديوان عنتره بن شداد ص ٩١، وقيل في تاريخ وفاته غير ذلك.

(٣٢٧) الزاهر في معاني كلمات الناس ١٤٩/٢.

الْوَسْم -على خلاف بين نحاة البصرة والكوفة- فهو علامة على مسماه، وكذلك الفعل والحرف، فهما أسماء أيضاً. ومن وجه آخر فإن في هذا إشارة إلى أن الأسماء هي الأصل في التعليم، فهي أول ما يتعلمه الطفل، ثم يبدأ بتعلم الأفعال، والربط بين الأسماء والأفعال عن طريق الحروف. وعلل ابن جني ذكر الأسماء دون غيرها، بقوله: «اعتمد ذلك من حيث كانت الأسماء أقوى القبل الثلاثة ... وقد تستغني الجملة المستقلة عن كل واحد من الحرف والفعل، فلما كانت الأسماء من القوة والأولية ... جاز أن يُكتفى بها مما هو تال لها، ومحمول في الحاجة إليه عليها»^(٣٢٨).

وهو كما قال، ولكن كلامه هذا على اعتبار أن المراد بالأسماء التي علمها الله ﷻ لآدم ﷺ^(٣٢٩) المقصود بها المعني الاصطلاحي النحوي، وهو قول مرجوح كما تقدم.

(٣٢٨) الخصائص ١/٤٢-٤٣.

(٣٢٩) (تنبيه):

قال أبو العباس أحمد البوني الجزائري (ت ٦٢٢): يُروى عن أبي نر الغفاري ﷺ أنه قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، كل نبي مرسل بم يرسل؟ قال: «بكتاب مُنزل». قلت: يا رسول الله، أي كتاب أنزل على آدم؟ قال: «أ ب ت ث ج» إلى آخره. قلت: يا رسول الله، كم حرف؟ قال: «تسع وعشرون». قلت: يا رسول الله، عددت ثمانية وعشرين، فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت عيناه، ثم قال: «يا أبا

وذهب فلاسفة إخوان الصفا إلى أنه ﷺ علمه كيفية وضع اللغة لا اللغة نفسها^(٣٣٠)، وهو راجع إلى التوقيف أيضاً كما سيأتي.

ثانياً: في استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَاخْتَلَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢] اعترض عليهم بأن اللسان اسم للجارحة المخصوصة، وهي غير مرادة بالإجماع فلا بد من المجاز، فليسوا بصرفه إلى اللغات أولى منا بصرفه إلى القدرة على اللغات، أو إلى مخارج اللغات^(٣٣١).

ذر، والذي بعثني بالحق نبياً! ما أنزل الله تعالى على آدم إلا تسعة وعشرين حرفاً». قلت: يا رسول الله، فيها ألف ولام. فقال ﷺ: «لام ألف حرف واحد، أنزله على آدم في صحيفة واحدة، ومعه سبعون ألف ملك، من خالف لام ألف فقد كفر بما أنزل على آدم، ومن لم يعدّ لام ألف فهو بريء مني وأنا بريء منه، ومن لا يؤمن بالحروف وهي تسعة وعشرون حرفاً لا يخرج من النار أبداً» (لطائف الإشارات في أسرار الحروف العلويّات ل ٤/أ).

كذا قال، وهو حديث موضوع قبح الله ﷻ من وضعه؛ قال ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢): «هذا الحديث لا أصل له في الأحاديث الصحيحة ولا الضعيفة، ولوائح الوضع عليه ظاهرة، ولا سيما في آخره، فهو كذب قطعاً» (الزيادات على الموضوعات للسيوطي ٧٩٩/٢، تنزيه الشريعة لابن عراق ٢٥٠/١)، وهو كما قال. (٣٣٠) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء ١٤٩/٣، ١٥٠. (٣٣١) المحصول للرازي ١٩١/١، نفائس الأصول ٤٥٥/١.

وأجيب بأنه لا يخفى أن الترجيح بحمل اللفظ على اختلاف اللغات دون حمله على الاقتدار على اللغات أقل في الإضمار، إذ هو يفتقر إلى إضمار اللغات لا غير، وما ذكره يفتقر إلى إضمار القدرة على اللغات فلا يُصار إليه^(٣٣٢).

ثالثاً: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [النجم: ٢٣]، أنهم إنما استحقوا الذم لإطلاقهم لفظ الإله على الصنم مع اعتقاد تحقق مسمى الإلهية فيها^(٣٣٣).

وأجيب بأن قولهم في آية الذم: (إنما ذمهم على اعتقادهم كون الأصنام آلهة) هو خلاف الظاهر من إضافة الذم إلى التسمية، ولا يُقبل من غير دليل^(٣٣٤)، وسيأتي مزيد بيان في الترجيح^(٣٣٥).

(٣٣٢) الإحكام للآمدي ١/٧٨.

(٣٣٣) المحصول ١/١٩١، نفائس الأصول ١/٤٥٥.

(٣٣٤) الإحكام ١/٧٧.

(٣٣٥) (تتبيه):

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وردت بعض الأحاديث المرفوعة التي لا تثبت عن النبي ﷺ من طريق عطية بن بسر المازني، وابن عباس، وأبي رافع رضي الله عنه بأسانيد لا تصح نسبتها إليهم.

أولاً: حديث عطية بن بسر المازني رضي الله عنه.

أخرجه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في «تاريخ نيسابور»، ومن طريقه معلقاً أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» كما في «زهر الفردوس» (٢/٥١/ب/مخطوط)؛ قال أبو منصور: قال الحاكم: حدثني أبو محمد بن زياد العدل، حدثنا عبد الله بن محمد بن المبارك الصوفي إملاء، حدثنا أبو علي الحسين بن محمد بن هارون، حدثنا مأمون بن أحمد بن علي السلمي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم، عن هشام بن الغاز، عن مكحول، عن عطية بن بسر المازني، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، قال: «علم الله آدم ألف حرفة من الحرف، وقال له: قل لولدك وذريتك، إن لم تصبروا فاطلبوا الدنيا بهذه الحرف، ولا تطلبوها بالدين، فإن الدين لي وحدي خالصاً، ويل لمن طلب الدنيا بالدين ويل له».

وأخرجه أبو منصور من وجه آخر عن ابن لال كما في «زهر الفردوس» (٢/٨٨/أ/مخطوط)؛ قال: أخبرنا عبدوس إننا، عن ابن لال كتابة، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن علي بن محمد النيسابوري، حدثنا المأمون بن أحمد السلمي، حدثنا هشام بن عمار الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، عن هشام بن الغاز، عن مكحول، عن عطية بن بسر رُفِعَهُ في قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾: «علمه في تلك الأسماء ألف حرفة من الحرف، فقال له: يا آدم، قل لولدك وذريتك: إن لم تصبروا فاطلبوا الدنيا بهذه الحرف ولا تطلبوها بديني، فإن الدين لي وحدي خالصاً، ويل لمن طلب الدنيا بديني، ثم ويل له».

وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/٥٧) من طريق الحسن بن محمد بن هارون، قال: نا مأمون بن أحمد بن علي السلمي، نا هشام بن عمار

الدمشقي، وعلي بن سهل الفلسطيني، قالوا: نا الوليد بن مسلم، عن هشام بن الغاز، عن مكحول، عن عطية بن بسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله صلى الله عليه وسلم: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا»، قال: «علمه منها أسامي ألف حرفة من الحرف، قال يا آدم قل لولدك إن لم تصبروا عن الدنيا فاطلبوها بهذه الحرف، ولا تطلبوها بالدين».

وأخرجه أيضاً عن عطية رضي الله عنه، وكيع في تاريخه كما في (الدر المنثور ١/١٢١). قلت: هذا حديث موضوع، أفته مأمون بن أحمد بن علي السلمي، فهو كذاب. قال ابن حبان البستي (ت ٣٥٤): «كان دجالاً من الدجاجلة، ظاهر أحواله مذهب الكرامية، وباطنها ما لا يوقف على حقيقته، يروي عن أهل الشام، ومصر، وشيوخ لم يرههم، خذله الله فما أجرأه على الله، وعلى رسوله» (تاريخ دمشق ٥/٥٧، ميزان الاعتدال ٣/٤٢٩، ديوان الضعفاء ص ٣٣٥، لسان الميزان ٤٤٧/٦).

وقال أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠): «خبث وضاع يروي عن الثقات مثل هشام بن عمار، ودحيم؛ الموضوعات... يستحق من الله تعالى، ومن الرسول، ومن المسلمين اللعنة» (المسند المستخرج على صحيح مسلم له ٨٣/١، تاريخ دمشق ٦/٥٧).

كما أن مكحولاً، وهو الشامي؛ كثير الإرسال (المراسيل لابن أبي حاتم ص ٢١١، جامع التحصيل ص ٢٨٥)، ووصفه ابن حبان بالتدليس (طبقات المداسين ص ٤٦)، وقد عنعن، ولا يُعرف له سماع من عطية رضي الله عنه.
ثانياً: حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

أخرجه أبو منصور الديلمي معلقًا في «مسند الفردوس» كما في «زهر الفردوس» لابن حجر (٢/٨٨/أ/مخطوط)؛ قال: وقال أبو نعيم: حدثنا ابن خلد، حدثنا الكديمي، حدثنا محمد بن الصلت، حدثنا محمد بن محمد بن عون أبو عبد الله الخراساني، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: في قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، قال: «بالقلم مسيرة خمسمائة عام، شق كما تشق الأقلام، فخرجت الأسماء من ذلك الشق بيد ملك، يقال له: قرموط حتى وصلت إليه، فحفظ الأسماء كلها».

قلت: هذا حديث موضوع، وفيه ثلاث علل:

الأولى: الكديمي، وهو محمد بن يونس بن موسى أبو العباس الكديمي البصري؛ اتهم بوضع الحديث وبسرقة، وادعى رؤية قوم لم يرههم، ورواية عن قوم لا يعرفون؛ قاله ابن عدي، وزاد: «وترك عامة مشايخنا الرواية عنه» (الكامل ٥٥٣/٧).

وقال سليمان الشاذكوني: «الكديمي، يعني يونس بن موسى، وأخو الكديمي، وابن الكديمي، بيت الكذب» (تاريخ بغداد ٦٨٨/٤).

وتبعهما الدارقطني، وقال: «كان يُنهم بوضع الحديث، وما أحسن فيه القول إلا من لم يختبر حاله» (سؤالات السلمى للدارقطني ص ٢٨٦).

الثانية: محمد بن عون الخراساني؛ متروك الحديث، قال ابن معين: «ليس بشيء» (تاريخ ابن معين/رواية الدوري ٣/٣٨٦)، وقال البخاري: «منكر الحديث» (التاريخ الكبير ١/١٩٧، الضعفاء الصغير ص ١٢٣)، وقال النسائي: «متروك الحديث» (الضعفاء والمتروكون له ص ٩٣).

الثالثة: الانقطاع، فالضحاك، وهو ابن مزاحم الخراساني لم يلق ابن عباس؛ قاله عبد الملك بن ميسرة، وأبو ساسان مشاش الواسطي، نقله عنهما شعبة بن الحجاج، وكان شعبة لا يُحدِّث عنه، ويُنكر أن يكون لقي ابن عباس قط(المراسيل لابن أبي حاتم ص ٩٥، الجرح والتعديل ١/١٣١، الضعفاء الكبير ٢/٢١٨).

وقال أبو بكر الأثرم: سمعت أبا عبد الله -أحمد بن حنبل- يُسأل: لقي الضحاك ابن عباس؟ قال: «ما عَلِمْتُ»(تحفة التحصيل ص ١٥٥).

ثالثاً: حديث أبي رافع رضي الله عنه.

أخرجه أبو منصور الديلمي كما في «زهر الفردوس»(٢/٣٥/أ/مخطوط)؛ قال: أخبرنا أبو الحسين بن النقور، أخبرنا أبو سعيد الإسماعيلي، حدثنا محمد بن علي بن دحيم، حدثنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة، حدثنا مخول بن إبراهيم، حدثنا عبد الرحمن بن الأسود، عن محمد بن عبيد الله، عن أبيه، عن جده أبي رافع، رفعه: «مُثِلت لي أمتي في الماء والطين، وعُلِّمت الأسماء كلها، كما عُلِّم آدم الأسماء كلها».

قلت: هذا إسناد ضعيف جداً؛ لضعف محمد بن عبيد الله، مع تفصيل مبسوط في كتابي: (سلسلة الأحاديث والآثار المشهورة) فليراجعه مَنْ شاء.

المبحث الثاني نظرية الاصطلاح

يرى أصحاب هذه النظرية أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح من قبل المجتمع البشري لا وحي، وأنها ابتُدعت واستُحدثت بالاتفاق، وقد ذهب إلى هذا الرأي في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني ديموكريت Democrite (٣٣٦) أو ديموقريطوس.

وهو ظاهر صنيع أرسطوطاليس (ت ٣٢٢ ق.م) في كتابيه: «فن الشعر»، و«الخطابة» وغيرهما من أن أصل اللغة ما هو إلا اجتهاد للإنسان، فهو من سمي المسميات وفقاً لانطباعه عنها، أو لوظيفتها، أو لاستخداماتها.

ونص عليه الفارابي (ت ٣٣٩) في شرحه لكتاب العبارة Barry Armagnes (باري أرمانياس) لأرسطو، بقوله: «ولو كانت الألفاظ طبيعية للإنسان لكانت واحدة بأعيانها لجميع الأمم ... فلما كانت الخطوط دلالتها على الألفاظ باصطلاح، كذلك

(٣٣٦) علم اللغة لعبد الواحد ص ٩٨.

دلالة الألفاظ على المعقولات التي في النفس باصطلاح
ووضع؛ شريعة»^(٣٣٧).

وصححه ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦) بقوله: «الصحيح أن
أصل اللغات مواضعة، وليس بتوقيف»^(٣٣٨).

وكذلك ابن رشد الحفيد (ت ٥٩٥) في تلخيصه للعبارة؛ قال:
«كما أن الحروف المكتوبة، أعني الخط، ليس هو واحدًا بعينه
لجميع الأمم، كذلك الألفاظ التي يُعبر بها عن المعاني ليست
هي واحدة بعينها عند جميع الأمم، ولذلك كانت دلالة هاتين
بتواطؤ، لا بالطبع»^(٣٣٩).

أما في العصور الوسطى فقد ذهب إليه أبو نصر الفارابي^(٣٤٠)،
والأخفش الأوسط، وأبو علي الفارسي^(٣٤١) في قولهما الثاني.

وزعم ابن برهان البغدادي (ت ٥١٨) أن المعتزلة ذهبت إلى أن
اللغات بأسرها تثبت اصطلاحًا^(٣٤٢).

(٣٣٧) شرح كتاب العبارة لأرسطو ص ٢٧.

(٣٣٨) سر الفصاحة ص ٤٨.

(٣٣٩) تلخيص كتاب أرسطو في العبارة ص ١٢.

(٣٤٠) الحروف ص ١٣٧.

(٣٤١) الخصائص ١/٤٢.

(٣٤٢) الوصول إلى الأصول ١/١٢١.

وفيه نظر، اللهم إلا إذا أراد بقوله: (المعتزلة) العموم الذي أريد به الخصوص، لا العموم الشمولي.

وذلك لأن بعضهم كأبي هاشم الجبائي^(٣٤٣)، وعبد الجبار المعتزلي، وابن متويه ذهبوا إلى أن بعضها بالاصطلاح، والآخر بالتوقيف.

ورأى أبو القاسم البلخي أنها توقيفية، وذهب عباد الصيمري إلى المناسبة الذاتية بين اللفظ والمعنى.

ولغيرهم كالأخفش وأبي علي -كما تقدم- قولان في المسألة، ومنهم من توقف، كما سيأتي بيانه.

وقال ابن جني: «أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح، لا وحي وتوقيف»^(٣٤٤).

وزعم الدكتور/إميل بديع أنه قول ابن جني؛ قال: «ومن أنصار هذه النظرية ابن جني، وكثيرون غيره»^(٣٤٥).

(٣٤٣) نُسب إليه القول بالاصطلاح مطلقاً؛ قال ابن تيمية: «ولم يدع أن اللغات كلها اصطلاحية بهذا الاعتبار إلا أبو هاشم الجبائي، وما علمت أحداً قال هذا القول قبله» (بيان تلبيس الجهمية ٨/٤٢٠)، وقال: «ولم يقل: إنها كلها اصطلاحية إلا طوائف من المعتزلة ومن اتبعهم، ورأس هذه المقالة أبو هاشم ابن الجبائي» (مجموع الفتاوى ١٢/٤٤٧)، وفيه نظر، كما سيأتي في المبحث الخامس.

(٣٤٤) الخصائص ١/٤١.

(٣٤٥) فقه اللغة العربية وخصائصها ص ١٥.

تقليدًا منه للدكتور/عبدہ الراجحي^(٣٤٦) الذي عرض لبعض النقولات عن ابن جني في كتابه «الخصائص» فهمّ منها ما ذهب إليه، والصواب ما تقدم، وهو أن مذهبه التوقف. ثم وجدتُ ابن الطيب الفاسي (ت ١١٧٠) أشار إلى ذلك، بقوله: «وعقد له -أي أصل اللغة- ابن جني في «الخصائص» بابًا مستقلًا أطل في الاستدلال، وأحكم النظر، وتحيرّ ماذا يتخير»^(٣٤٧). وهو ما جزم به السيوطي (ت ٩١١) بقوله: «المذهب الثالث: الوقف ... وهو الذي اختاره ابن جني أخيرًا»^(٣٤٨).



(٣٤٦) فقه اللغة في الكتب العربية ص ٨٣-٨٨.

(٣٤٧) فيض نشر الانشراح ص ٢٤٤.

(٣٤٨) الاقتراح في أصول النحو ص ٢٦.

وفي العصور الحديثة ذهب الفلاسفة الإنجليز آدم سميث Adem Smith، وريد Reid، ودجلد ستيوارت Dugald Stewart^(٣٤٩)، والفرنسي جان جاك روسو Jean-Jacques Rousseau (ت ١٧٧٨م) إلى أنها اصطلاحية، حيث قال روسو: «أول اختراع للكلام ليس ناتجًا عن الحاجات بل عن الأهواء ... ويدّعي بعضهم أن البشر إنما اخترعوا الكلام للتعبير عن حاجاتهم...»^(٣٥٠).

وإلى هذا ذهب مؤسس المدرسة البنوية في اللسانيات السويسري فرديناند دي سوسور Ferdinand de Saussure (ت ١٩١٣م) ولكنه عبّر عنه بالاعتباطية.

والرمز SYMBOL عنده يُعد الركيزة الأولى في دراسة اللغة، وقسمه إلى دال signifier وهو الصوت المنطوق أو الحرف المكتوب وغيره، ومدلول signified وهو الصورة الذهنية أو الفكرة عن الشيء.

ولا يوجد أية رابطة ضرورية أو تلازم ضروري في العلاقة الجامعة بين الدال والمدلول، فالأمر تم بصورة عفوية أو اعتباطية؛ قال: «العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية ... ففكرة الأخت sister لا

(٣٤٩) علم اللغة ص ٩٨.

(٣٥٠) محاولة في أصل اللغات له ص ٣٣.

ترتبط بأية علاقة داخلية بتعاقب الأصوات s-o-r التي تقوم بوظيفة الدال في اللغة الفرنسية»^(٣٥١).

وهي أصوات في كلمة (sœur) أخت في الفرنسية، وكذلك تعاقب الأصوات في الألمانية (SchWester)، والإيطالية (Sorella) لنفس المدلول.

ثم قال: «فهذه الفكرة يمكن التعبير عنها باستخدام أي تعاقب صوتي آخر، وخير دليل على ذلك اللغات المختلفة التي تستخدم إشارات مختلفة»^(٣٥٢).

وهو كما قال، وهذا خلاف ما ذهب إليه أصحاب المحاكاة الصوتية كما سيأتي.

ثم فسّر مراده بـ(الاعتباطية)، وأن أهم ما يميز العلاقة الاعتباطية بين دال ومدلول معين أنه بمجرد إقامة ربط بينهما، فإنها تكتسب قوة العُرف الاجتماعي، ولا يمكن تغييرها دون أن يتفق المجتمع اللغوي على هذا التغيير، فلا يستطيع مستقبل بمفرده، أو مرسل بمفرده، أو الاثنان معًا تغيير تلك العلاقة، أو حتى الإشارة التي تم الاستقرار عليها في المجتمع اللغوي؛ قال: «هذه الكلمة لا تعني أن أمر اختيار الدال

(٣٥١) علم اللغة العام له ص ٨٦-٨٧.

(٣٥٢) المصدر السابق.

متروك للمتكلم كلياً... بل أعني بالاعتباطية أنها لا ترتبط بدافع، أي أنها اعتباطية؛ لأنها ليس لها صلة طبيعية بالمدلول»^(٣٥٣).

وهو ما أشار إليه إيان كريپ Ian Crepe (ت ٢٠٠٢) بقوله: «ليس هناك من ارتباط ضروري بين اللون الأحمر على سبيل المثال، وأمر الوقوف بالنسبة للمرور»^(٣٥٤).

ثم ذكر أنه يمكن تغيير هذا اللون إلى أي لون آخر يتم الاتفاق عليه بين أفراد المجتمع اللغوي، وأنه لا يمكن لشخص أن يشذ عن هذا الاتفاق، وإلا كان خارجاً عن هذا المجتمع؛ قال: «فاللون يمكن أن يكون أزرق، أو برتقالياً، أو أرجوانياً، لكن حدث بالصدفة أن الناس اتفقوا على أن دلالة اللون الأحمر هو الوقوف أو الخطر، وهذا الاتفاق هو واقع خارجي فُرض على أفراد المجتمع»^(٣٥٥).

ثم قال: «ولو قرّرت أن الأحمر يعني لي سر، والأخضر قف، لما بقيت عضواً من أعضاء المجتمع مدة طويلة»^(٣٥٦).

(٣٥٣) علم اللغة العام له ص ٨٧-٨٨.

(٣٥٤) النظرية الاجتماعية له ص ١٨١.

(٣٥٥) المصدر السابق ص ١٨١-١٨٢.

(٣٥٦) المصدر السابق ص ١٨٢.

وممن قال بهذا القول من اللغويين العرب المُحدَثين
الدكتور/إبراهيم أنيس، والدكتور/تمام حسان رحمهما الله.
حيث رأى أنيس (ت ١٣٩٧) في ثنايا تعقيبه على القائمين
بالمحاكاة كما سيأتي، ضرورة التفرقة بين الصلة الطبيعية
والذاتية بين الألفاظ ومدلولاتها، والصلة المكتسبة؛ قال: «ففي
كثير من ألفاظ كل لغة نلاحظ تلك الصلة بينها وبين دلالاتها،
ولكن هذه الصلة لم تنشأ مع تلك الألفاظ، أو تولد بمولدها،
وإنما اكتسبتها اكتساباً بمرور الأيام، وكثرة التداول
والاستعمال»^(٣٥٧).

فهو يرى أن اللغة اصطلاحية، وأن الإنسان اصطنع الألفاظ
للتعبير عن حاجاته، ورغباته، وما يخطر في ذهنه، وأن هذه
الألفاظ اكتسبت مع الزمن ميزة، وصفة ليست في غيرها من
الرموز الاصطلاحية.

ثم قال: «ومن المجازفة أن يُنظر إلى تلك الألفاظ الآن على
أنها مجرد رموز، فقد ارتبطت بالفكر الإنساني ارتباطاً وثيقاً،
وأصبح من الصعب أن نتصور أي نوع من التفكير بغير هذه
الألفاظ»^(٣٥٨).

(٣٥٧) دلالة الألفاظ ص ٧١.

(٣٥٨) المصدر السابق ص ٧٢.

وما ذكره ﷺ في عجز كلامه من أن النظام اللغوي ليس قائمًا على سلوك آلي، وإنما ارتبط بالفكر الإنساني ارتباطًا وثيقًا؛ سبقه إليه قطب الدين الرازي (ت ٧٦٦) حيث ذهب إلى أن بين اللفظ والمعنى علاقة غير طبيعية، لكنها لكثرة تداولها صارت راسخة؛ قال: «حتى إنَّ تعقل المعاني قلما ينفك عن تخيل الألفاظ، بل يكاد الإنسان يناجي ذهنه بألفاظ متخيلة، فلهذا يختلف أحوال المعاني بحسب اختلاف الألفاظ»^(٣٥٩).

وقال الدكتور/تمام: «العلاقة بين الاسم والمسمى غير طبيعية ولا منطقية، ولكنها عرفية، ونتيجة من نتائج الوضع»^(٣٦٠).

ومن المعلوم أن العرف يختلف باختلاف المجتمعات، وباختلافه تختلف اللغات من شعب لآخر، وعلل تمام سبب عدم طبيعية العلاقة بين اللفظ والمعنى، بقوله: «ولو كانت العلاقة بين الاسم والمسمى طبيعية، أو منطقية لكان الكلب كلبًا، والحصان حصانًا في كل لغات البشر، ولكن اختلاف العرف من مجتمع لمجتمع آخر، جعل أولها (كلبًا) في اللغة العربية، و (Dog) في اللغة الانكليزية، وهلم جرا»^(٣٦١).

(٣٥٩) شرح شرح الطوسي للإشارات والتبهيئات ٢١/١.

(٣٦٠) اللغة بين المعيارية والوصفية ص ١١١.

(٣٦١) المصدر السابق.

قلت: فأصحاب هذا النظرية رأوا بأنه لا يمتنع عقلاً أن يمنح الله ﷻ البشر القدرة على فهم بعضهم بعضاً، ثم يتواضعوا ويتفقهوا فيما بينهم على صيغ وإشارات تدل على مرادهم، ولا يلزم من ذلك وجود أي علاقة بين تلك الألفاظ والمعاني، ولكن عند الاتفاق على تلك الصيغ، والمسميات لا يمكن لفرد الخروج عليها.

ولكن الراجح أن بداية نشأة اللغة كانت بتوقيف من الله ﷻ وذلك لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا نُفِخَ فِي آدَمَ، فَبَلَغَ الرُّوحَ رَأْسَهُ عَطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَرْحَمُكَ اللَّهُ»^(٣٦٢)، وغير ذلك من الأدلة كما سيأتي.

(٣٦٢) صحيح:

أخرجه ابن حبان واللفظ له في صحيحه (٣٧/١٤) برقم (٦١٦٥)، ومن طريقه أبو الحسن الطيوري في «الطيوريات» (٧٩٦/٣) برقم (٧٠٤) قال: أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا هدية بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال ... الحديث.

قلت: هذا إسناد صحيح مداره على حماد بن سلمة، وقد اختلف عنه فيه، فرواه هدية بن خالد، عنه، عن ثابت، عن أنس مرفوعاً.

وخالفه موسى بن إسماعيل، فرواه عن حماد، عن ثابت، عن أنس موقوفاً.

وذلك كما رواه الحاكم في «المستدرک» (٢٩٢/٤) قال: حدثنا علي بن حمشاذ العدل، ثنا محمد بن غالب الضبي، وهشام بن علي السدوسي، قالوا: ثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه قال: «لَمَّا نُفِخَ فِي آدَمَ الرُّوحِ فَبَلَغَ الْخَيْاشِيمَ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَرْحَمُكَ اللَّهُ».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم، وإن كان موقوفاً فإن إسناده صحيح بمرّة».

قلت: وهو كما قال، وحماد مع تغير حفظه بآخره لما كبر، إلا أنه أثبت الناس في ثابت بن أسلم البناني؛ قال أحمد «أثبتهم في ثابت حماد بن سلمة» (تهذيب التهذيب ١٥/٣)، وقال ابن معين: «مَنْ خَالَفَ حَمَادَ بْنَ سَلْمَةَ فِي ثَابِتٍ فَالْقَوْلُ قَوْلُ حَمَادٍ ... وَحَمَادٌ أَعْلَمُ النَّاسَ بِثَابِتٍ» (تاريخ ابن معين/رواية الدوري ٢٦٥/٤).

ولكن في قول الحاكم: (على شرط مسلم) نظر؛ لأن مَنْ تَحْتَ مُوسَى لَمْ يَخْرُجْ لَهَا مُسْلِمٌ شَيْئاً وَكَانَا مُعَاصِرِينَ لَهُ، فَالضَّبِّيُّ وَوَلَدٌ فِي سَنَةِ (١٩٣هـ) وَمَاتَ سَنَةَ (٢٨٣هـ)، وَالسُّدُوسِيُّ السِّيْرَافِيُّ نَزِيلُ الْبَصْرَةِ مَاتَ فِي سَنَةِ (٢٨٤هـ)، أَمَا عَلِيُّ بْنُ حَمْشَادٍ (٢٥٨هـ-٣٣٨هـ) فَعِنْدَمَا مَاتَ مُسْلِمٌ كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ مِنْ عَمْرِهِ.

ومع ذلك فإن الراجح رواية هدية المرفوعة؛ لأنه أئقن لحديث حماد بن سلمة وأعلم به، فكان حديثه عنده على وجهين، أحدهما على الشيخوخ، والآخر على التصنيف؛ قال ابن عدي: «سمعت أبا يعلى يقول وسئل عن هدية وشيبان أيهما أفضل؟ فقال: هدية أفضلهما، وأوثقهما، وأكثرهما حديثاً، كان حديث حماد

بن سَلَمَة عنده نسختين: واحدة على الشيخ، وواحدة على التصنيف» (الكامل ٤٥٧/٨).

وفي الباب من حديث ابن عباس، وأبي هريرة رضي الله عنهما.
أولاً: حديث ابن عباس رضي الله عنهما:

اختُلف فيه على خصيف بن عبد الرحمن، فرواه عنه محمد بن مسلمة، عن عكرمة، عن ابن عباس موقوفاً.

وذلك كما أخرجه الفريابي واللفظ له في «القدر» (ص ٢٣) برقم (٦)، والحاكم في «المستدرک» (٢٨٧/٢) قال: حدثني إسماعيل بن أبي كريمة الحراني، حدثنا محمد بن سلمة، عن خُصَيْف، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ فَجَرَى فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ».

وخالفه عتاب بن بشير، فرواه عنه، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً؛ قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقد أسنده عتاب، عن خصيف، وليس من شرط هذا الكتاب».

قلت: كلا بل إسناد ضعيف؛ فخصيف مع عدالته، إلا أنه ضعيف عند جمهور نقاد المحدثين؛ لسوء حفظه، فقد كان كثير الخطأ، ويضطرب، ويخلط في أحاديثه.

والحمل عليه في هذا الحديث، ورواية ابن مسلمة عنه أرجح من رواية عتاب بن بشير؛ لأنه أنقى وأقل رواية لحديثه؛ قال الإمام أحمد «أحاديث عتاب عن خصيف منكرة» (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١٣/٧)، وقال أبو طالب: «سئل

أحمد بن حنبل عن عتاب بن بشير، فقال ... روى بأخرة أحاديث منكراً، وما أرى أنها إلا من قبل خصيف» (المصدر السابق).

وفي سؤالات البرذعي لأبي زرعة الرازي، قال: «قلت: أحاديث عتاب، عن خصيف منكرات؟ قال: (منها شيء). قلت: فهو أحب إليك، أو محمد بن سلمة، عن خصيف؟ فقال: (محمد أنقى وأقل، محمد عنده مقدار ثلثمائة، وعتاب عنده ألف حديث، عن خصيف)» (سؤالات البرذعي ص ٤٨).

وقد روي من وجه آخر موقوفاً، ولكن لا يجبر به الضعف:

أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣١/١) من طريق هشام بن محمد، عن أبيه، عن أبي صالح باذام، عن ابن عباس قال: «لَمَّا نُفِخَ فِي آدَمَ الرُّوحِ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ اللَّهُ لَهُ: يَرْحَمُكَ رَبُّكَ»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ».

وهذا إسناد ضعيف جداً، آفته هشام بن محمد بن السائب الكلبي؛ قال أحمد: «مَنْ يَحْدِثُ عَنْهُ إِنَّمَا هُوَ صَاحِبُ سَمْرٍ وَنَسَبٍ، مَا ظَنَنْتُ أَنْ أَحَدًا يَحْدِثُ عَنْهُ» (العلل ومعرفة الرجال/رواية عبد الله ٣١/٢).

وهو مشهور برواية المناكير والأباطيل؛ قال ابن حبان: «يروى عن أبيه ... العجائب والأخبار التي لا أصول لها ... أخباره في الأغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفها» (المجروحين ٩١/٣).

وقال الذهبي: «قال الدارقطني وغيره: متروك، وقال ابن عساكر: رافضي، ليس بثقة» (الميزان ٣٠٤/٤).

وكذلك أبوه متهم بالكذب لا يجوز الاحتجاج به؛ قال البخاري: «تركه يحيى بن سعيد، وابن مهدي» (التاريخ الكبير ١٠١/١)، وقال الجوزجاني: «كذاب

ساقط» (أحوال الرجال ص ٦٦)، ونقل أبو حاتم الرازي الإجماع على تركه، فقال: «الناس مجتمعون على ترك حديثه لا يشتغل به هو ذاهب الحديث» (الجرح والتعديل ٢٧١/٧).

ثانياً: حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

وهو مروى عنه مطولاً ومختصراً، وقد ورد موضع الشاهد عنه من عدة طرق:
الأول:

أخرجه الترمذي واللفظ له (٤٥٣/٥) برقم (٣٣٦٨)، والبزار في «البحر الزخار» (١٥٠/١٥) برقم (٨٤٧٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٢/٩) برقم (٩٩٧٥)، و«عمل اليوم والليل» (ص ٢٣٧) برقم (٢١٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/١٦٠)، وابن حبان في صحيحه (٤٠/١٤) برقم (٦١٦٧)، والجصاص في «أحكام القرآن» (٥/١٦٥)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (٥/١٥٦٦)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص ٢٣)، والحاكم في «المستدرک» (١/١٣٢، ٤/٢٩٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/٢٤٧)، و«الأسماء والصفات» (٢/١٤٠) برقم (٧٠٨)، وابن عساکر في «تاريخ دمشق» (٧/٣٩٣) كلهم من طرق عن صفوان بن عيسى، قال: حدثنا الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهُ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا آدَمُ، اذْهَبْ إِلَى أَوْلِيكَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَى مَلَأٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ، فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَيْتِكَ، بَيْنَهُمْ...».

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وقال ابن منده: «صحيح».

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم فقد احتج بالحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب، وقد رواه عنه غير صفوان، وإنما خرجته من حديث صفوان لأنني علوت فيه وله شاهد صحيح».

وقال في موضع آخر: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

وقال الذهبي: «إسناده صالح» (المهذب في اختصار السنن الكبير ٤١٥٠/٨).
قلت: هذا الحديث من هذا الوجه مداره على سعيد المقبري، عن أبي هريرة، واختلف عنه، فروي مرفوعاً وموقوفاً.

فرواه موقوفاً: أبو معشر، عنه، عن أبي هريرة كما في «العلل» للدارقطني (١٤٧/٨).

وأبو معشر اسمه نجيح بن عبد الرحمن السندي، وهو ضعيف؛ قال أحمد: «لا يقيم الإسناد، ليس بذاك» (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤٩٤/٨)، وقال البخاري: «منكر الحديث» (التاريخ الكبير ٩٢/٩).

ورواه مرفوعاً: إسماعيل بن رافع، وذلك كما أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٤٥٣/١١) برقم (٦٥٨٠) قال: حدثنا عقبة بن مكرم، حدثنا عمرو بن محمد، عن إسماعيل بن رافع، عن المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ جَعَلَهُ طِينًا، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ حَمًا مَسْنُونًا، خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ صَلْصَالًا كَالْفَخَّارِ ... ثُمَّ نَفَخَ اللَّهُ فِيهِ رُوحَهُ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ جَرَى فِيهِ الرُّوحُ بَصْرُهُ وَخَيَاشِيمُهُ، فَعَطَسَ فَلَقَاهُ اللَّهُ حَمْدَ رَبِّهِ، فَقَالَ الرَّبُّ: يَرْحَمُكَ رَبُّكَ».

قلت: وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف ابن رافع، وضعفه أحمد، وابن معين، وأبو حاتم الرازي وغيرهم، وتركه النسائي، والدارقطني، وغيرهما (تهذيب التهذيب ٥٤٧).

ورواه مرفوعاً أيضاً ابن أبي ذباب، واختلف عنه فيه: فرواه صفوان، عنه، عن المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وتابع صفوان على روايته أنس بن عياض، وأبو خالد سليمان بن حيان الأحمر، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي.

وذلك كما رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢٦٥/١) برقم (٥٦٩) قال: ثنا يعقوب بن حميد، ثنا أنس بن عياض، عن الحارث بن عبد الرحمن، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ عَطَسَ».

ورواه أبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (١٥٦٦/٥) من طريق محمد بن آدم المصيبي، حدثنا أبو خالد، عن الحارث بن أبي ذباب ... به.

ورواه قوام السنة الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٣٨٥/١) برقم (١٩٤) من طريق يحيى بن صالح، نا عبد العزيز بن محمد، نا الحارث بن عبد الرحمن، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ عَطَسَ، فَأَذِنَ اللَّهُ بِحَمْدِهِ، فَحَمِدَ اللَّهُ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: رَحِمَكَ رَبُّكَ».

وذكر الدارقطني أن أنس بن عياض قد خالف صفوان ومن وافقه، فرواه عن (الحارث، عن يزيد بن هرمز، عن أبي هريرة) (العلل له ١٤٧/٨).

ولعله وهم منه، أو أنها رواية أخرى لابن عياض لم نقف عليها، ثم قال: «ولعل كلاهما قد أصاب؛ لأن أبا خالد الأحمر رواه عن الحارث، عن المقبري، ويزيد بن هرمز جمع بينهما» (المصدر السابق).

وهو كما قال، وطريق أبي خالد الأحمر في الجمع بينهما قد رواه النسائي وضعفه، وابن جرير الطبري، وابن منده، وابن عساكر كما سيأتي.

والحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب لا بأس به؛ قال ابن معين: «مشهور»، وقال أبو زرعة الرازي: «ليس به بأس»، وضعفه ابن حزم، وقال أبو حاتم الرازي: «يروى عنه الدراوردي أحاديث منكرة، ليس بالقوي»، ووثقه أحمد بن صالح، وابن حبان، وابن خلفون، والذهبي (إكمال تهذيب الكمال ٣/٣٠٢ رقم ١٠٨٢، ميزان الاعتدال ١/٤٣٧ رقم ١٦٢٩، نيل ديوان الضعفاء ص ٢٨).

قلت: ولم ينفرد عبد العزيز الدراوري عنه بهذا الحديث، فقد تُوبع على ذلك كما تقدم، وقد روى مسلم لابن أبي ذباب في صحيحه، ولكنه لم يُخرج له شيئاً من روايته عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، ومن ثم فقول الحاكم في أحد قوليه: (على شرط مسلم) لا يصح.

وقد خالف محمد بن عجلان الحارث بن عبد الرحمن، فرواه عن سعيد، عن أبيه، عن عبد الله بن سلام موقوفاً.

وإليه أشار الإمام أحمد كما في (العلل ومعرفة الرجال - رواية عبد الله ٣/٣٧٢). والحديث رواه النسائي واللفظ له في «السنن الكبرى» (٩٢/٩) برقم (٩٩٧٦)، وفي «عمل اليوم والليلة» (ص ٢٣٨) برقم (٢١٩)، والأجري في «الشریعة» (٨٥٦/٢) برقم (٤٣٤)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٤٨٨/٤) برقم (١٥٩١)، قال: أخبرنا قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا الليث، عن ابن عجلان،

عن سعيد، عن أبيه، عن عبد الله بن سلام قال: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، فَلَمَّا تَبَاغَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: قُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَالَ اللهُ: رَحِمَكَ رَبُّكَ...»
ورجحه النسائي، فقال: «وهذا هو الصواب، والآخر خطأ».

قلت: الأشبه بالصواب ما تقدم، وهو ما رواه الحارث بن عبد الرحمن، وإسماعيل بن رافع كلاهما منفردًا عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة مرفوعًا. وذلك لأن ابن عجلان لم يكن متقنًا لأحاديث المقبري، حيث اختلطت عليه، ولم يميز سماعه من سعيد فقط، من سماعه عن سعيد عن أبيه.

وقدّم علي ابن المديني غيره عليه في حديث المقبري؛ قال ابن المديني: «ليس أحد أثبت في سعيد بن أبي سعيد المقبري من ابن أبي ذئب ... ابن عجلان كان يخطيء فيها» (معرفة الرجال عن ابن معين وغيره-رواية ابن محرز ٢٠٧/٢).

وهو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب احتج به الشيخان، وقال أحمد في ابن عجلان: «اضطرب عليه حديث المقبري، كان عن رجل، جعل يصيره عن أبي هريرة» (العلل ومعرفة الرجال- رواية المروزي ١٦٢).

وقد نُقل عن ابن عجلان اعترافه باختلاط أحاديث سعيد المقبري عليه؛ قال يحيى بن سعيد القطان: «لا أعلم إلا أني سمعت ابن عجلان يقول: كان سعيد المقبري يحدث، عن أبيه، عن أبي هريرة، وعن رجل، عن أبي هريرة، فاختلطت علي فجعلتهما عن أبي هريرة» (التاريخ الكبير للبخاري ١٩٦/١، التاريخ الأوسط ٧٥/٢)، وتبعهم في هذا النقد يحيى بن معين (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥٠/٨)، وكل هذا يدل على رجحان رواية الرفع.

الثاني:

أخرجه البزار في «البحر الزخار» (١٧/١٥) برقم (٨١٩٣، ٨١٩٤)، وابن حبان في صحيحه واللفظ له (٣٦/١٤) برقم (٦١٦٤)، وابن أبي عاصم بدون موضع الشاهد، في «السنة» (٩٠/١) برقم (٢٠٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٦/١١) برقم (٨٨٨٠) من طريق حبان بن هلال، حدثنا مبارك بن فضالة، عن عبيد الله بن عمر، عن خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَطَسَ فَأَلْهَمَهُ رَبُّهُ أَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلِذَلِكَ سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ».

قال البزار: «وهذا الحديث لا نعلم رواه عن عبيد الله إلا مبارك بن فضالة». قلت: وهذا إسناد ضعيف، مبارك بن فضالة، يدلس بتدليس تسوية؛ قال ابن حجر: «صدوق يدلس ويسوي» (تقريب التهذيب ص ٥١٩ برقم ٦٤٦٤). وهو وإن كان قد صرَّح بالتحديث في بعض طرق الحديث كما عند ابن أبي عاصم، حيث قال: «ثنا عبيد الله بن عمر، عن خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم...» إلا أنه لا بد أن يصرَّح بالتحديث ونحوه في كل طبقات السند.

ولكن ينبغي التنبيه على أن منطوق وصفه بتدليس التسوية لم أقف عليه إلا لابن حجر، ولعل قوله هذا نتيجة لفهمه ذلك من وصف بعض أهل العلم له بالتدليس الشديد، أو نتيجة لاستقرائه ذلك من مروياته.

وذلك لأن المنقول عن أهل العلم هو كالاتي: قال أحمد: «كان المبارك يدلس» (ميزان الاعتدال ٤٣٢/٣)، وقال يحيى بن سعيد: «ولم أقبل منه شيئاً إلا

شيئاً يقول فيه حدثنا» (تاريخ بغداد ٢١٤/١٣)، وقال ابن معين: «ربما دلس» (المصدر السابق ٢١٥/١٣).

بينما قال أبو زرعة: «يدلس كثيراً» (جامع التحصيل للعلائي ص ١٠٨)، وتبعه أبو داود، فقال: «شديد التدليس» (المصدر السابق)، وقال ابن حجر في موضع آخر: «مشهور بالتدليس وصفه به الدارقطني وغيره» (طبقات المدلسين ص ٤٣).

والحاصل فإن حديث عطس آدم ﷺ فور نفخ الروح فيه، وقوله (الحمد لله) صحيح وثابت عن النبي ﷺ ولمزيد من التفصيل، انظر: كتابي (سلسلة الأحاديث والآثار المشهورة).

المبحث الثالث

نظرية المحاكاة الطبيعية والمناسبة أو باو- واو Bow.wow

تقوم هذه النظرية على أن أصل اللغات كلها إنما هو من محاكاة أصوات مظاهر الطبيعة المسموعة: كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وحفيف الشجر، ونباح الكلاب، وشحيج البغال، ونهيق الحمار، ونعيق الغراب، ومواء الهر، وصهيل الفرس.

كذلك من الأصوات التي تحدثها الأفعال عند وقوعها، كصوت الضرب والكسر، ونحو ذلك.

فهي تقوم على المحاكاة بين طبيعة الاسم، وطبيعة المسمّى، فكل لفظة دالة، ينبغي أن تكون محاكية للمعنى المدلول عليه، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد.

وأول من وقف عليه تكلم عنها الفيلسوف اليوناني أفلاطون (ت ٣٤٧ ق.م) في محاورته للفيلسوف كراتيلوس Cratylus، هذه المحاورة التي كان موضوعها الرئيس فلسفة اللغة وأصل الأسماء.

حيث رأى أفلاطون^(٣٦٣) أن المشرّعين الأوائل من حكماء البشر قد أطلقوا الأسماء وفقاً للمحاكاة الطبيعية، واعتبر هذه النظرية رأياً علمياً، وأنها أفضل النظريات التي نبني عليها حقيقة الأسماء الأولى، وبرر رفضه للقول بالتوقيف الإلهي بأنه رأي غير علمي.

وقد أشار دينين^(٣٦٤) Francis P. Dinneen في كتابه عن علم اللغة العام An introduction to general linguistics إلى إحدى هذه المحاورات.

والتي كانت تدور بين شخصين أحدهما يُدعى (كراتيلاس أو كراتيليوس) والآخر يدعى (هرموجنيس أو هيرموجينز) وهو من أتباع الفيلسوف بارمنيدس.

حيث يقول الأول بطبيعية العلاقة بين الألفاظ والمعاني، وأن الأسماء جزء لا يتجزأ من جوهر المسمى، وأنها ليست رمزاً للأشياء، أي لم يضعها البشر.

بينما يرى (هرموجنيس) خلاف ذلك، وأن العلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها عرفية واصطلاحية.

(٣٦٣) (محاورة كراتيليوس في فلسفة اللغة) لأفلاطون ص ٤٣، ١٧٨-١٧٩.

(٣٦٤) An introduction to general linguistics p74.

وفي العصور الوسطى نجد قدوة المفسرين والمحدثين قَتادة بن دِعَامَةَ في تفسيره لقراءة الحسن البصري (ت ١١٠): (فَقَبَّضْتُ قَبْضَةً بِالصَادِ، بدلا من القراءة المتواترة: ﴿فَقَبَّضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾ [طه: ٩٦].

بقوله: «بالصاد بمعنى: أخذت بأصابعي من تراب أثر فرس الرسول، والقبضة عند العرب: الأخذ بالكف كلها، والقبضة: الأخذ بأطراف الأصابع» (٣٦٥).

قد راعى الدلالة الصوتية بين الحروف ومحاكاتها للمعنى، فـ(الصاد) بما فيها من رخاوة تعني الأخذ برفق ولين، فناسب ذلك الأخذ بطرف الأصابع، بينما الضاد فيها شدة في النطق وقوة، فناسب ذلك الأخذ بالكف كله.

كذلك الخليل بن أحمد، قال: «صَرََّ الجندب صريراً، وصرصر الأخطب صرصرَةً، فكأنهم تَوَهَّمُوا في صوت الجندب مَدًّا، وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعاً» (٣٦٦).

وذكر سيبويه بعض المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني؛ قال: «قولك: النزوان، والنقزان، وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع ... ومثل

(٣٦٥) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٦٣/١٨).

(٣٦٦) العين ٥٦/١.

هذا: الغليان؛ لأنه زعزعة وتحرك، ومثله الغثيان؛ لأنه تجيش نفسه وتثور، ومثله الخطران واللمعان؛ لأن هذا اضطراب وتحرك»^(٣٦٧).

ثم جاء ابن جني وقال بعد أن ذكر هذا المذهب: «وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل»^(٣٦٨).

وأورد بعد ذلك عدة أبواب في هذا المعنى، منها باباً سماه (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)، وذكر أنه غور من العربية لا ينتصف منه، ولا يكاد يحاط به، وأكثر كلام العرب عليه، وإن كان غفلاً مسهواً عنه، ثم استدل بقوله تعالى: ﴿الْم تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣]، وقال: «أي: تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزاً، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين»^(٣٦٩).

ثم قال: «وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز؛ لأنك قد تهز ما لا بال له كالجدع، وساق الشجرة، ونحو ذلك»^(٣٧٠).

(٣٦٧) الكتاب ٤/١٤.

(٣٦٨) الخصائص ١/٤٨.

(٣٦٩) المصدر السابق ٢/١٤٨.

(٣٧٠) المصدر السابق.

ثم ألحق به بابًا آخر سماه (إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، وذلك تبعًا منه للخليل وسيبويه، وأشار إلى أنه موضع شريف لطيف، قد تلقته الأمة بالقبول له، والاعتراف بصحته.

وإلى هذا ذهب ابن القيم (ت ٧٥١) فرأى أن المناسبة الحقيقية معتبرة بين اللفظ والمعنى طولًا وقصرًا؛ قال: «فإن كان المعنى مفردًا أفردوا لفظه، وإن كان مركبًا ركبوا اللفظ، وإن كان طويلًا طولوه كالقطنط، والعشلق للطويل، فانظر إلى طول هذا اللفظ لطول معناه»^(٣٧١).

ورأى أن في الألفاظ كالحديد، والحجر، والشدة والقوة ونحوها ما يناسب مسمياتها.

وقد أشار ابن فارس (ت ٣٩٥) إلى تلك المناسبة بين اللفظ والمعنى، بل تجاوز الأمر، وأثبت للحروف دلالات معينة، كقوله: «الصَّادُ وَالْعَيْنُ وَاللَّامُ أُصَيْلٌ يَدُلُّ عَلَى صِغَرٍ وَأَنْجِرَادٍ، مِنْ ذَلِكَ الصَّعْلُ، وَهُوَ الصَّغِيرُ الرَّأْسِ مِنَ الرَّجَالِ وَالنَّعَامِ، وَيُقَالُ حِمَارٌ صَعْلٌ: ذَاهِبُ الْوَيْرِ»^(٣٧٢).

(٣٧١) بدائع الفوائد ١/١٠٨.

(٣٧٢) مقاييس اللغة ٣/٢٨٥.

ثم قال: «الصَّادُ وَالْعَيْنُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى صَافَةٍ
وَشِدَّةِ صَوْتٍ. مِنْ ذَلِكَ الصَّعْقُ، وَهُوَ الصَّوْتُ الشَّدِيدُ. يُقَالُ:
حِمَارٌ صَعِقُ الصَّوْتِ، إِذَا كَانَ شَدِيدَهُ»^(٣٧٣).

وهكذا سائر اللغة، والظاهر من عمله في الكتاب أنه لا يخلو
من تكلف.

وسبقه في محاولة تلمس المناسبة بين اللفظ ومدلوله؛ ابن دريد
(ت ٣٢١) فحاول تعليل تسمية الأشخاص، والأماكن وغيرهما
من خلال الاشتقاق، كقوله: «ماويّة بنت كعب ... من
قُضاعة. والماويّة زعموا المرآة. ويمكن أن يكون اشتقاقها من
أويت له، أي رحمته ورفقت له، أو تكون منسوبة إلى الماء،
وهو الوجه إن شاء الله. ويمكن أن يكون من قولهم: أوي إلى
موضع كذا وكذا»^(٣٧٤).

ثم قال: «والوجه عندي أن تكون من المرآة، وأحسبني قد
سمعتُه من بعض علمائنا هكذا، فأما المأوى، فهو الموضعُ
الذي تأوي إليه، وهو مهموزٌ»^(٣٧٥).

(٣٧٣) مقاييس اللغة ٣/٢٨٥.

(٣٧٤) الاشتقاق ص ٤٠، ٤١.

(٣٧٥) المصدر السابق ص ٤١.

وسار على دربهما أحمد فارس الشدياق (ت ١٨٨٨م) ورأى أن الحرف يوحي بدلالة الكلمة، كقوله: «ومن خصائص حرف الدال، اللين والنعومة والغضاضة، نحو: البرخداة ... والخود، والردة، والرهادة ... ومن خصائص حرف الميم القطع والاستئصال والكسر، نحو: إرم، وترم، وجزم»^(٣٧٦).

وتبعه عبد الله العلايلي اللبناني (ت ١٩٦٦م) بل وغالى في ذلك، فرأى في كتابه (مقدمة لدرس لغة العرب) أن لكل حرف من حروف العربية معنى.

وذلك كما ذهب غيره كابن الحاجب^(٣٧٧) (ت ٦٤٦)، والسيوطي (ت ٩١١) في قول^(٣٧٨)، إلى أن لكل حرف مخرجاً^(٣٧٩) خاصاً به.

وسبقه في هذا بطرس جبرائيل اللبناني (ت ١٩٤٧م) المعروف بالأب (أنستاس ماري الكرملّي) قال: «فالكلم وضعت في أول أمرها على حرف واحد متحرك وساكن، محاكاة لأصوات

(٣٧٦) منتهى العجب في خصائص لغة العرب له ص ١١٢.

(٣٧٧) الشافية في علم التصريف ص ٨١، الإيضاح في شرح المفصل ص ٤٨٠.

(٣٧٨) همع الهوامع ٣/٤٩٠.

(٣٧٩) كما هو مبسوط في كتابي: (الاختلاف في عدد مدارج الأصوات بين اللغويين وعلماء التجويد) فليراجعه هناك من شاء.

الطبيعة، ثم فُئِمَت -أي زيد فيها حرف أو أكثر في الصدر، أو القلب، أو الطرف- فتصرف فيها المتكلمون تصرفاً يختلف باختلاف البلاد، والقبائل، والبيئات، والأهوية(٣٨٠)»(٣٨١).

أي أن أصل كل الألفاظ حرفان محاكاة لأصوات الطبيعة لهما معنى معين، ثم يُزاد حرف في وسط الكلمة، أو أولها، أو آخرها من أجل تنويع هذا المعنى، تبعاً لاختلاف البلدان، والظروف.



(٣٨٠) نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها له ص ٦.

(٣٨١) ما ذكره الكرملّي يُعرف عند اللغويين المُحدّثين بـ(النظرية الثنائية المعجمية)، ومن الواضح صلتها الوثيقة بنظرية المناسبة الطبيعية ومحاكاة أصوات الطبيعة، وهي خلاف (الثنائية اللغوية) والتي تعني وجود لغتين كالفرنسية والعربية مثلاً، أو الإنجليزية والألمانية ... إلخ، عند فرد أو جماعة في آن واحد.

ويُعد أحمد الشدياق من أوائل من قال بالنظرية الثنائية في العصر الحديث في كتابه: (سر الليال في القلب والإبدال) واتخذها منهجاً له فيه.

أما من قال بالثنائية من القدماء؛ فالراغب الأصبّهاني (ت ٥٠٢) حيث رأى الكرملّي أن الراغب بنى معجمه على اعتبار أن المضاعف هجاء واحداً، ولم يبال تكرار حرفه الأخير (نشوء اللغة له ص ٧)، وذلك مع تفصيل له موضع آخر.

كذلك في العصر الحديث ذهب إلى القول بهذه النظرية -والتي كانت تُعرف في أوربا باسم نظرية (Bow.wow) theory^(٣٨٢)- بعض اللغويين المحدثين، وعلى رأسهم الألماني يوهان هرذر (ت ١٨٠٣) Johann Harder في كتابه حول أصل اللغة^(٣٨٣):
(Abhandlungen über den Ursprung der Sprache) الذي نشره عام ١٧٧٢م، وتحدث فيه عن محاكاة أصوات الطبيعة، وبدأ حديثه بسؤال، وهو: هل ترك الناس لأنفسهم قدراتهم الطبيعية لاختراع اللغة؟

Haben die Menschen, ihren Naturfähigkeiten überlassen, sich selbst Sprache erfinden können?
ورأى أن صوت الطبيعة حرف مطبوع، مسحور، القليل من هذا أصوات الكلام بالطبع، فقال^(٣٨٤):

«Die Stimme der Natur ist gemalter, verwillkürter Buchstabe – Wenig sind dieser Sprachtöne freilich».

Language: its nature, development and origin P 413. (٣٨٢)
(٣٨٣) ترجمه إلى الإنجليزية، وألحق به آراء (جان جاك روسو) الفرنسي حول أصل اللغة، كل من:

(Alexander gode -john moran) وطُبع باسم:
(on the origin of language) «حول نشأة اللغة»، في مطبعة جامعة شيكاغو University of Chicago Press، سنة ١٩٨٦م.

Abhandlungen über den Ursprung der Sprache P 5. (٣٨٤)

ثم زاد الأمر وضوحًا، بأن أصوات الطبيعة بما أنها تهدف إلى التعبير عن الشغف، فهذا هو الحال بالطبع أنها تصبح أيضًا عناصر كل العاطفة! قال (٣٨٥):

«Da unsre Töne der Natur zum Ausdrucke der Leidenschaft bestimmt sind, so ist natürlich, daß sie auch die Elemente aller Rührung werden!».

كذلك الألماني همبولت (ت ١٨٣٥) Humboldt كما نقله عنه Jespersen رأى أن اللغة بوجه عام تؤثر التعبير عن الأشياء بوساطة ألفاظ أثرها في الأذان يُشبه أثر تلك الأشياء في الأذهان، أي أنه كان ممن يقول بالمناسبة، حيث قال (٣٨٦):

«Language chooses to designate objects by sounds which partly in themselves, partly in comparison with others, produce on the ear an impression resembling the effect of the object on mind».

وأيضًا الأمريكي ويليام وتني (ت ١٨٩٤) William Whitney (٣٨٧)، في ثنايا كلامه عن Nature and origin of language طبيعة

Abhandlungen über den Ursprung der Sprache P 7. (٣٨٥)
Language: Its nature, development and origin P 396. (٣٨٦)
The life and growth of language p 299, 295. (٣٨٧)

اللغة وأصلها في كتابه: The life and growth of language

An Outline of Linguistic Science الذي نشره عام ١٨٧٥م. وبالرغم من ذلك فإن هذه النظرية لم تكن محل إجماع عند الغربيين، فهناك من عارضها وسخر منها، كاللغوي الألماني ماكس مولر (ت ١٩٠٠) Max Müller الذي يُعد زعيم المعارضين لها، والساخرين منها^(٣٨٨)، إلا أنه ذُكر في كتابه «محاضرات في علم اللغة» (Lectures on the Science of Language) أنها كانت تحظى بشعبية كبيرة بين فلاسفة القرن الثامن عشر، كما أنه لا يزال يحتفظ بها العديد من العلماء والفلاسفة البارزين؛ قال^(٣٨٩):

«I shall call the Bow-wow theory ... was very popular among the philosophers of the eighteenth century, and, as it is still held by many distinguished scholars and philosophers».

وذهب إلى أنه على الرغم من وجود أسماء في كل لغة تتكون من مجرد تقليد ومحاكاة للصوت، إلا أن هذه الأسماء تُشكل نسبة صغيرة جدًا في القاموس لدينا، كما أن هيردر Harder نفسه بعد أن دافع بشدة عن هذه النظرية، والتي كان يُطلق

(٣٨٨) Gerard Manley Hopkins on the origin of P338. المصدر السابق،
Lectures on The Science ، Language:Its nature P 414 ، language P113
of Language p302

Lectures on The Science of Language P 300. (٣٨٩)

عليها Onomatopoeia (المحاكاة الصوتية)، وبعد أن حصلت على جائزة أكاديمية برلين لأفضل مقال عن أصل اللغة، إلا أنه تخلى عنها صراحة في السنوات الأخيرة من حياته؛ قال (٣٩٠):

«though there are names in every language formed by mere imitation of sound, yet these constitute a very small proportion of our dictionary ... Herder himself, after having most strenuously defended this theory of Onomatopoeia, as it is called, and having gained a prize which the Berlin Academy had offered for the best essay on the origin of language, renounced it openly towards the latter years of his life».

وفي خاتمة كلامه (٣٩١) رأى أنه مع اقتناعنا أن اللغة قد تكون مصنوعة من أصوات الطبيعة كالهدير، والهسهسة، والتصدع، وغيرهم، إلا أن هذه النظرية قد لاقت احتجاجاً من العديد من العلماء والفلاسفة؛ لأن من شأنها أن تضع الإنسان حتى تحت الحيوان.

Lectures on The Science of Language P 300. (٣٩٠)

(٣٩١) المصدر السابق P 306.

وكذلك الفرنسي إرنست رينان (ت ١٨٩٢) Ernest Renan كان يتهكم عليها أيضاً؛ قائلاً: «ليس من المعقول أو المفهوم أن الإنسان وهو أرقى المخلوقات يقلد أصوات مخلوقات أدنى منه وأحط؛ ليستتبط من تلك الأصوات المبهمة الغامضة كلمات لغته الراقية السامية»^(٣٩٢).

بل إنه أشار إلى أن فرضيات القرن الثامن عشر حول أصل اللغة بعيدة كل البعد عن التطابق مع بعضها البعض؛ قال^(٣٩٣):

hypothèses du xviii siècle soient loin d'être identiques entre elles.

قلت: وهو كما قال، ولكن في تهكمه على نظرية (Bow.wow) نظر؛ لأن هذا ليس على إطلاقه.

فهذه النظرية مقبولة في بعض جزئياتها من حيث اعتبار وجود بعض الألفاظ محاكية لأصوات الطبيعة، أو جاءت مناسبة لمعانيها، أو مرتبطة بدلالاتها النفسية.

إلا أن هذا لا يمكن أبداً استصحابه على كل مفردات اللغة، فمثلاً: ما هي العلاقة الصوتية بين كلمة (كتاب) في العربية،

(٣٩٢) دلالة الألفاظ لأنيص ص ٢٢.

De l'origine du Langage p76 . (٣٩٣)

و (kitabi) في التركية، و (book) في الإنجليزية، و (Livre) في الفرنسية، و (Libro) في الإيطالية، و (Buch) في الألمانية؟

وما وجه دلالة كل كلمة أو حرف منها على المعنى؟ وكيف يمكن الربط بين هذه الألفاظ والمعنى المراد؟ وغير ذلك من تساؤلات، فهي نظرية جزئية وليست كلية.

وهذا ما دعا الدنماركي مدفيج (ت ١٨٨٦) Johan Nicolai Madvig إلى معارضة Humboldt فأورد عليه كلمات من اللغة الدنماركية، لا تتضح فيها هذه الصلة؛ كـ (blase سَيِّم أو مل، vind رياح، sky سحابة)^(٣٩٤).

إلا أن ابن موطنه أوتو جسبرسن (ت ١٩٤٣) Otto Jespersen في كتابه عن طبيعة اللغة وتطورها وأصلها، Language: Its nature, development and origin في ثنايا كلامه عن sound symbolism (رمزية الأصوات) ردَّ عليه.

وأوضح أن Humboldt يفترض بنفسه صراحة أن الكثير من رمزية الصوت البدائية ربما تكون قد اختفت بمرور الوقت، ويحذرنا من جعل هذا النوع من التفسير مبدأً أساسياً، حيث كانت الصلة بين

Language: Its nature, development P 396-397. (٣٩٤)

الأصوات والدلالات واضحة، ثم حدث تطورٌ في الأصوات أو
الدَّلالات، فأصبحت هذه الصلة غامضة علينا؛ قال Jespersen (٣٩٥):
«Humboldt himself expressly assumes that much of
primitive sound symbolism may have disappeared in
course of time and warns us against making this kind
of explanation a constitutive Principle ...».
والظاهر من صنع جسرسن في كتابه أنه لا يثبت نظرية
المناسبة مطلقاً ولا ينفىها مطلقاً، بل وقف موقفاً وسطاً بينهما،
وهو وجود ألفاظ بينها وبين معانيها صلة، وأخرى لا، وهذا
الأشبه بالصواب كما سيأتي.



المبحث الرابع ذاتية العلاقة بين الألفاظ والمعاني

ذهب عباد بن سليمان الصيمري المعتزلي (ت ٢٥٠) إلى القول بالمناسبة الذاتية بين الألفاظ والمعاني، حيث رأى أن بين اللفظ والمعنى مناسبة طبيعية موجبة لدلالته عليه فلا يحتاج إلى الوضع، يدرك ذلك من خصه الله ﷻ به (٣٩٦).

أي هو كالقائف الذي يلحق الفروع بالأصول، بالعلامات والشبه، ويعرفه غيره منه.

ففي «الصحيحين» عن عروة بن الزبير، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ عَلَيَّ قَائِفٌ، وَالنَّبِيُّ ﷺ شَاهِدٌ، وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَرَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مُضْطَجِعَانِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْأَقْدَامَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ. قَالَ: «فَسُرَّ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَعْجَبَهُ، فَأَخْبَرَ بِهِ عَائِشَةَ» (٣٩٧).

(٣٩٦) المحصول ١/١٨٢، التقرير والتحبير ١/٧٤، غاية الوصول في شرح لب الأصول ص ٣٢، وقيل في تاريخ وفاته غير ذلك.

(٣٩٧) أخرجه البخاري (٢٣/٥) كتاب أصحاب النبي ﷺ باب مناقب زيد بن حارثة رضي الله عنه برقم

وحكى شهاب الدين القرافي (ت ٦٨٤هـ) (٣٩٨) أن بعض من يقول
بالمحاكاة والمناسبة كان يدعي أنه يعلم المسميات من الأسماء
مع الجهل بالوضع، فقيل له: ما تقول في قولنا: أذغاغ -
بالبربرية- هو اسم أي شيء؟ فقال: أجد فيه ببسًا شديدًا وأراه
اسم الحجر، وهو كذلك عند البربر.

وذهب الرازي (٣٩٩) إلى أن الصيمري احتج بأنه لو لم يكن بين
الأسماء والمسميات مناسبة بوجه ما؛ لكان تخصيص الاسم
المعين بالمسمى المعين ترجيحًا لأحد طرفي الجائز على
الآخر من غير مرجح، وهو محال، وإن حصلت بينهما مناسبة
فذلك هو المطلوب.

واختلف النقل عنه في مراده ب(المناسبة):

(٣٧٣١)، ومسلم (١٠٨٢/٢) كتاب الرضاع، باب العمل بإلحاق القائف الولد، برقم
(١٤٥٩/٤٠).

(٣٩٨) نفائس الأصول ١/٤٥٩، التقرير والتحبير ١/٧٤، البدر الطالع في حل جمع الجوامع
١/٢١٦، غاية الوصول ص ٣٢.

(٣٩٩) المحصول ١/١٨٣.

فذهب الرازي إلى أن الصيمري أراد بها أنها كافية في دلالة اللفظ على المعنى من غير وضع، أي أن اللفظ مفيد للمعنى بذاته^(٤٠٠)، وهو ما صححه الأصفهاني^(٤٠١).

ورأى الآمدي أنه أراد: المناسبة حاملة للوضع^(٤٠٢)، وذهب المرادوي (ت ٨٨٥) إلى أن هذا هو الأشبه بالصواب، وهو ما حكاه الشيخ تقي الدين^(٤٠٣) عن المحققين.

وأجيب على كلام الصيمري بأنه ترجح بإرادة الواضع، ولو كانت ذاتية لما اختلفت باختلاف النواحي، ولاهتدى كل أحد إلى معرفة كل اللغة، وكان الوضع للضدين، إذا قلنا: يجوز الاشتراك؛ محالاً، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم، وهذا على نقل الرازي.

أما على نقل الآمدي: يكون المرجح ليس الباعث العقلي، وإلا لما اختلف العرب والعجم فيه، لكن إرادة الواضع، أو إلهام الله تعالى إياه؛ إن قلنا: الواضع البشر، أو حضوره ببالهم^(٤٠٤).

(٤٠٠) المحصول ١/١٨١.

(٤٠١) الكاشف عن المحصول (ل ٢٩/أ)، التحبير شرح التحرير ٢/٦٩٤.

(٤٠٢) الإحكام ١/٧٣.

(٤٠٣) التحبير شرح التحرير ٢/٦٩٤.

(٤٠٤) المحصول ١/١٨٣، التحبير شرح التحرير ٢/٦٩٤، ٦٩٥.

والفرق بين ما نُقل عن الخليل وغيره من علماء العربية -في هذه المسألة- وبين الصيمري.

أنهم يقولون بثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني، بينما الصيمري يراها ذاتية موجبة، وهذا كقول المعتزلة^(٤٠٥) بوجوب فعل الأصلح على الله للعبد افتراءً عليه ﷺ وهو خلاف رأي أهل السنة والجماعة فهم يروا أن فعل الأصلح فضلاً منه لا وجوباً، كما أنه لا غاية لما يقدر عليه ﷺ من الصلاح، فما من صالح وأصلح إلا وفوقه أصلح.

فإن الله ﷻ لا يجب عليه شيء إلا ما أوجبه على نفسه ﷻ فعن معاذ بن جبل ﷺ قَالَ: كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَكَلَّمُوا»^(٤٠٦).

(٤٠٥) التبصير في الدين للإسفرابيني ص ٨٢، الاقتصاد في الاعتقاد ص ٨٩، الملل والنحل ٦٥/١، الانتصار في الرد على المعتزلة ٤٥٧/٢.

(٤٠٦) أخرجه البخاري (٢٩/٤) كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، برقم

والحاصل أن دلالة اللفظ على معناه ليست لمناسبة ذاتية
بينهما، بل لأنه جُعل علامة عليه.



(٢٨٥٦)، ومسلم (٥٨/١) كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شك فيه،
برقم (٣٠/٤٨).

المبحث الخامس

مبدأ اللغات اصطلاحية ثم توقيفية

ذهب أبو هاشم الجبائي المعتزلي (ت ٣٢١) إلى أن ابتداء اللغات لا يكون إلا بالمواضعة، ثم يحصل التوقيف من بعد، وهذا ما نقله عنه الحسن بن متويه المعتزلي (ت ٤٦٩) واختاره^(٤٠٧)، وهو خلاف ما نقله عنه فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦) وتبعه عليه من جاء بعده من الأصوليين وغيرهم^(٤٠٨) من أنه يقول بالاصطلاح مطلقاً، وهو ذهول.

وتبع القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥) الجبائي، ورأى أنه لا بد من لغة يتواضع عليها المخاطب أولاً ليصح أن يفهم عن

(٤٠٧) التنكرة في أحكام الجواهر والأعراض ص ٣٩٦.

(٤٠٨) المحصول ١/١٨٢، الإحكام للآمدي ١/٧٤، شرح مختصر الروضة للطوفي ١/٤٧٢، بيان تلبيس الجهمية ٨/٤٢٠، مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧/٩١، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب للأصفاني ١/٢٧٩، أصول الفقه لابن مفلح ١/١٤٤، نهاية السؤل للأسنوي ص ٨١، التقرير والتحبير لابن أمير الحاج ١/٧٠، التحبير شرح التحرير للمرداوي ٢/٦٩٨.

الله ﷻ ما يخاطبه به، فاللغة الأولى لا بد فيها من مواضعة، وما بعدها من لغات يجوز أن يكون توقيفياً... (٤٠٩).

واحتج مَنْ قال بالاصطلاح -سواء مطلقاً أو مقيداً- مِنْ علماء المسلمين بالمنقول والمعقول:

أما المنقول:

فبقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، وهذا يقتضي تقدم اللغة على بعثة الرسول، والتوقيف يدل على سبق الإرسال لها، فلو كانت توقيفية، والتوقيف لا يحصل إلا بالبعثة؛ لزم الدور وهو محال (٤١٠).

وأما المعقول:

فذهب ابن متويه إلى أن الخطاب الصادر عن الله تعالى يكون الغرض به معرفة مراده بخطابه، فإذا لم يتقدم للمخاطب مواضعة على تلك اللغة مع غيره، ولم يكن في حكم المواضع مع نفسه على اللغة؛ لم يفهم بالخطاب منها شيئاً، فيجب تقدم المواضعة لتصح معرفة مراد الله بخطابه، ثم يقع التوقيف من بعد؛ لأنه فرع على ذلك، فإذا لم تتقدم منهم المواضعة لم يمكنهم أن يعرفوا بالتوقيف شيئاً؛ لأن ذلك أيضاً يكون بكلام.

(٤٠٩) المغني في أبواب التوحيد والعدل ١٥٢/٥.

(٤١٠) المحصول ١٨٧/١، الإحكام ٧٤/١، نفائس الأصول ٤٥٢/١، إرشاد الفحول ٤٣/١.

وأنه لا يمكن أن يقال إنه يقع لنا اضطرار إلى قصده تعالى بالخطاب؛ لأن ذلك ينافي التكليف ... ومن ثم فقد صح أن ابتداء اللغات مواضعة ثم يطرأ التوقيف عليها من بعد^(٤١١).

واعترض عليهم بأنه إذا كان آدم ﷺ هو الذي علمها، اندفع الدور؛ لأنه حينئذ يجوز أن يعلمه الله تعالى اللغات بالوحي ثم علم آدم غيره، فتكون اللغات متأخرة عن بعثة آدم ﷺ وبعثة جميع الرسل الذين لهم قوم متأخرة عن اللغات، فلا يلزم الدور.

أي أن الحجة إنما تتم لو لم يحصل التوقيف إلا ببعثة الرسل، وليس كذلك؛ لأنه جاز أن يكون أصل التوقيف معلومًا إما بالوحي من غير واسطة، وإما بخلق اللغات، وخلق العلم الضروري للسامعين بأن واضعًا وضعها لتلك المعاني على ما سبق^(٤١٢).

وعن الثاني: أنه تعالى خلق فيهم علمًا ضروريًا بأن واضعًا وضع هذه الألفاظ بإزاء تلك المعاني، وإن كان لا يخلق فيهم العلم بأن ذلك الواضع هو الله تعالى، سلمنا أنه تعالى يخلق

(٤١١) التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض ص ٣٩٦، ٣٩٧.

(٤١٢) المحصول ١/١٩٢، الإحكام ١/٧٨، مختصر ابن الحاجب/منتهى السؤل والأمل ص ٢٠، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب ١/٢٨٤، أصول الفقه لابن مفلح ١/١٤٦.

فيهم العلم بأن ذلك الواضع هو الله تعالى، فلم قلت إنه باطل؟!!

قوله: (لأنه ينافي التكليف)، قلنا إنه ينافي التكليف بمعرفة الله تعالى ولا ينافي التكليف بسائر الأشياء، سلمنا أنه لا يخلقه في العاقل، فلم لا يخلقه في غير العاقل، ولم لا يجوز في المجنون أن يعلم بالعلم الضروري بعض الأحكام الدقيقة^(٤١٣).

كما أن القول بالاصطلاح يلزم عنه تقدم العديد من المواضع سواء في الكلام أو الكتابة، وإلا فممتنع.

فإن قيل: لا نسلم امتناعه، بل يصح فيمن عرف صفة الحروف، وأمكنه فعلها بلسانه أن يأتي بها ويضم إليها الإشارة، وهو ما قاله ابن متويه^(٤١٤).

قلت: ومن أين له معرفة صفة هذه الحروف، ومن أمكنه على فعلها بلسانه؟!!



(٤١٣) المحصول ١/١٩٢.

(٤١٤) التنكرة ص ٣٩٨.

المبحث السادس

مبدأ اللغات توقيفي ثم اصطلاحي

ذهب أبو إسحاق الإسفراييني (ت ٤١٨) في طائفة من العلماء إلى أن القدر الذي يدعو الإنسان به غيره إلى التواضع ثبت توقيفًا، وما عدا ذلك يجوز أن يثبت بكل واحد من الطريقين^(٤١٥)، وهذا النقل هو الصحيح عنه، وهو الموجود في كتابه، كما ذكره بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤) قال: «فقد رأيت في كتاب (أصول الفقه) للأستاذ أبي إسحاق، ونقله عن بعض المحققين من أصحابنا، ثم قال: إنه الصحيح الذي لا يجوز غيره، وعبارته: (لا بد من أن يعلمهم أو يخلق لهم علمًا بمقدار ما يفهم بعضهم من بعض لمعنى الاصطلاح والوقوف على التسمية، فإذا عرفوه جاز أن يكون باقيه توقيفًا منه لهم

(٤١٥) الوصول إلى الأصول ١/١٢١، البرهان ١/٤٤، الإحكام ١/٧٤، ٧٥، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب ١/٢٧٩.

عليه، وجاز أن يكون اصطلاحاً فيهم، ولا طريق بعده إلى معرفة ما كان منه فيه إلا بخبر نبي عنه). هذا لفظه»^(٤١٦). واحتج الأستاذ أبو إسحاق على قوله بأن الاصطلاح لا يصح إلا بأن يعرف كل واحد منهم صاحبه ما في ضميره، فإن عرفه بأمر آخر اصطلاحى لزم التسلسل، فثبت أنه لا بد في أول الأمر من التوقيف، ثم بعد ذلك لا يمتنع أن تحدث لغات كثيرة بسبب الاصطلاح، بل ذلك معلوم بالضرورة ألا ترى أن الناس يُحدثون في كل زمان ألفاظاً ما كانوا يستعملونها قبل ذلك^(٤١٧).

أي أن اللغات لو كانت بالاصطلاح، فإن الاصطلاح متوقف على ما يدعو به الإنسان غيره إلى الاصطلاح على ذلك الأمر، ومن ثم لزم التسلسل، وهو ممتنع، فلم يبق غير التوقيف.

(٤١٦) البحر المحيط ٢/٢٤١، ونقل عن أبي إسحاق أبو نصر القشيري، والرازي وغيرهما أنه قال: «القدر الضروري الذي يقع به الاصطلاحى؛ توقيفى، والباقي اصطلاحى» (المحصول ١/١٨٢، نفائس الأصول ١/٤٤٩، شرح مختصر الروضة ١/٤٧٢، الإبهاج شرح المنهاج ١/١٩٦).

(٤١٧) (المحصول ١/١٨٩، الإحكام ١/٧٤-٧٥).

واعترض عليه الرازي بأن هذا باطل بتعلم الولد اللغة من والديه فإن ذلك ليس مسبقاً بالتوقيف، سلمنا أنه بعد لا بد - قبل الاصطلاح- من لغة أخرى ليصطلحوا بها على تلك اللغة الثانية، فلم لا يجوز أن تكون هذه اللغات التي نتكلم بها - الآن- توقيفية؟ لاحتمال أن يقال كان قبل هذه اللغات لغة أخرى، وأنها كانت توقيفية، ثم إن الناس -بتلك اللغة- اصطلحوا على وضع هذه اللغات (٤١٨).

كذا قال، وسيأتي مزيد بيان في الترجيح. وكما اختلف المتقدمون حول أصل اللغة، كذلك اختلف المحدثون من الغربيين، فظهرت عدة نظريات تحاول تأصيل تلك العلاقة، كما سيأتي.



(٤١٨) المحصول ١/١٩١-١٩٢.

المبحث السابع

نظرية (بُو-بُو) Pooh-pooh

سماها الألماني Max Müller (ت ١٩٠٠) The Interjectional أو Theory Pooh-pooh^(٤١٩) وهي تقوم على الطبيعة اللا إرادية لكلام البشر، من خلال الاستجابة العاطفية للغرائز، والتعبير عن الانفعالات من فرح، أو حزن وألم، أو تعجب أو غضب، ونحو ذلك. فاللغة والكلام قد تطورا بالترادف مع التفاعل البشري، وردود الفعل العاطفية البدائية، فمثلا هذه الأصوات: (wa wa wa) والتي تُستخدم عادةً للدلالة على البكاء، أو (ha ha ha ha) التي تستخدم للدلالة على السعادة أو الضحك، فإنها على التوالي ستتحول إلى سلسلة من الأصوات الفريدة، والمحددة لحالة الأحرف، إلى جانب العواطف والتفاعلات الأخرى.

وهي تختلف عن نظرية المحاكاة (Bow.wow) بأنها جعلت أصل نشأة اللغة من قبل الإنسان، لا تقليدًا ومحاكاة منه للطبيعة وأصوات الحيوانات، ولا للمناسبة بين الألفاظ والمعاني.

وذهب الدنماركي جسبرسن^(٤٢٠) (ت ١٩٤٣) Otto Jespersen إلى أن هذه النظرية تنظر إلى اللغة على اعتبار أنها مشتقة من القذف الغريزي الذي يُطلق عليه الألم، أو غيره من الأحاسيس أو المشاعر الشديدة.

وهو ما ذهب إليه الفرنسي جوزيف فنديريس (ت ١٩٦٠) Joseph Vendryes في كتابه «اللغة: مقدمة لغوية للتاريخ»

(Le Langage : Introduction Linguistique à l'Histoire)

حيث ذهب^(٤٢١) إلى أن الإنسان البدائي في السلف البعيد لم يكن مخه وعقله صالحًا للاستدلال والتفكير، وأن اللغة بدأت بصفة انفعالية محضة، فهي في الأصل كانت مجرد صيحة كصيحة الحيوان للتعبير عن الألم أو الفرح، مما يدل على الخوف أو الشهية للطعام، ثم بعد ذلك فإن الصرخة وهبت قيمة رمزية، واعتبرت كأنها إشارة قابلة لأن يكررها آخرون، ثم

Language: Its nature, development P 414.415 (٤٢٠)

(٤٢١) هذا هو الافتراض الثاني له حول فلسفة اللغة، أما افتراضه الأول سيأتي الكلام عليه في نظرية الغناء.

رأى أن اللغة قبل أن تكون وسيلة للتفكير، لا بد وأنها كانت في الواقع وسيلة للفعل، وواحدة من أنجع وأفضل الوسائل التي مكن منها للإنسان^(٤٢٢).

ولكن Jespersen ذهب إلى أن أتباع هذه النظرية عمومًا يؤمنون بأن هذه التدخلات أمرٌ مسلمٌ به، دون أن يسألوا عن الطريقة التي ظهرت بها هذه الوجوه، أي الشهقات والتأوهات، والصرخات، وأصوات الضحك والتعجب ... إلخ.

وأن البريطاني تشارلز داروين (ت ١٨٨٢) Charles Darwin في التعبير عن المشاعر يُعطي أسبابًا فسيولوجية بحتة لبعض الانقطاعات كما هو الحال عندما يكون الإحساس بالازدراء أو الاشمئزاز، مصحوبًا بميل إلى النفخ من الفم أو الخياشيم، وهذا ينتج مرة أخرى أصواتًا مثل: (pooh) أو (pish)، أو (أف) في العربية، ونجد هناك ميل فوري، ألا وهو الاستعداد لمجهود طويل؛ لفتح الفم على نطاق أوسع من أجل رسم إلهام عميق.

ثم يقول Jespersen إن هذه النظرية التي طرحها Max Müller تم التخلي عنها بحكمة، وأنه إنما ذكرها في كتابه Language: Its nature لفضول المسألة فقط.

قلت: وهو الصواب، كما أن دارون بنى رأيه في الفلسفة اللغوية بناء على ما ذكره في كتابيه: (Origin of species) «أصل الأنواع»^(٤٢٣)، و«التعبير عن الانفعالات في الإنسان والحيوان» Expressing emotions in man and animals فبعد أن أقرّ التطور الجسماني للإنسان، شرع في بيان التطور الفكري والنطقي. وحاول الربط بين نشأة اللغة وبين تلك الأصوات اللاإرادية التي يصدرها عند الألم والتعجب والدهشة ... إلخ، وجعل تلك الأصوات هي الأساس في نشأة اللغة، بل قام بتفسيرها تفسيراً فسيولوجياً، فربطها بأعضاء النطق؛ كقوله -بعد أن ذكر أن الحيوانات عندما تعاني من نوبة شديدة من الألم، فإن ما يستخدم الأصوات منها يقوم بإصدار صرخات أو أنات، ويتم حث جميع عضلات الجسم تقريباً على التصرف بعنف-^(٤٢٤):

(٤٢٣) لم يكن دارون أول من تكلم عن نظرية النشوء والارتقاء، فقد كان لها إرهاصات عند فلاسفة اليونان في القرن السادس قبل الميلاد، وكذلك عند علماء العرب الأوائل. ينظر: كتاب من الإغريق إلى دارون «From the Greeks to Darwin» للمؤلف: osborn، بل إن دارون في بداية كتابه (أصل الأنواع) الذي نشره سنة ١٨٥٩م أرخ للكلام في هذه المسألة، وذكر أنه إذا ضربنا صفحاً عن ما كتبه القدماء، فإن أول من تكلم في تلك المسألة بأسلوب علمي في العصر الحديث الفرنسي جورج دي بوفون Buffon (ت١٧٨٨م).

Expressing emotions in man and animals p 69.70 (٤٢٤)

«When animals suffer from an agony of pain ...
With man the mouth may be closely compressed, or
more commonly the lips are retracted, with the
teeth clenched or ground together».

أي وبالنسبة للإنسان فقد يتم ضغط الفم عن كثب، أو عادة ما
يتم سحب الشفتين إلى الخلف مع الإطباق المحكم للأسنان،
أو تثبيت الأسنان وجرشها مع بعضها.

وذهب Jespersen إلى أنه اعترض على هذه النظرية، بأن
الأصوات pish، pooh وغيرهما، ما هي إلا تعبيرات مفاجئة
للأحاسيس والمشاعر، تأتي بصورة لا إرادية، بخلاف الكلام
الذي يكون عن إرادة ورغبة من المتكلم، فبين هذه الأصوات
والكلمات بون شاسع، كما أنها تختلف من لغة إلى أخرى.

وقد كتب (كيبينج) kipling في واحدة من قصصه يصف إحدى
الشخصيات، فقال: لا أظن أن هذا الرجل من الأفغان؛ لأن الناس
هناك سيكون بالصوت أي أي Ai Ai، كذلك لا أظن أنه هندستاني؛
لأنهم سيكون بالصوت oh oh، إن الرجل يبكي كما يبكي الرجل
الأوربي فيقول Ow-Ow قال (٤٢٥):

«Kipling writes in one of his stories : That man is no
Afghan, for they weep ' Ai ! Ai ! ' Nor is he of

Language: Its nature, development P 415. (٤٢٥)

Hindustan, for they weep ' Oh ! Ho ! ' He weeps after the fashion of the white men, who say, ' Ow ! Ow ! '».

قلت: هو كما قال، فهذه الأصوات تختلف من لغة إلى أخرى، ومن شعب لآخر، فمثلا صوت الصراخ عند الإنجليزي (ahi)، وعند الألماني(ous).

وصوت الدهشة عند الإنجليزي (oh)، وعند العربي (ah)، فكل شعب ومجتمع الأصوات الخاصة به، التي يستخدمها للتعبير عن انفعالاته وغرائزه.

مع العلم أن تلك الاستجابات العاطفية المفاجئة التي يمكن أن يرتبط بها الإنسان مع عبارات (pooh-pooh)، تعتمد في الواقع على اللغة بدلاً من كونها أساساً يمكن من خلاله إنشاء اللغة.

كما أنها ليست قاعدة كلية مطردة، يمكن من خلالها أن نبني عليها تصوراً علمياً ذا أساس متين لنشأة اللغة، فهي لا تُفسر لنا كيف تم تحول الصيحات، والاستجابات العاطفية المفاجئة إلى حروف ورموز داخل النظام اللغوي.



المبحث الثامن

نظرية ding-dong

تعد هذه النظرية كما عبّر عنها Jespersen وثيقة الصلة بالتي قبلها، وتُسمى بنظرية النسبية الملقبة بـ (ding-dong) وهي تقوم على التناغم الصوتي بين الصوت والشعور، وأن اللغة نتيجة لغريزة، وهي هيئة مميزة للإنسان في حالته البدائية^(٤٢٦).

أي أن الإنسان اختص منذ بدء الخليقة بقدرته عند رؤية الأشياء أو الأحداث وتأثره بها، أن يتبع هذا التأثر بصورة آلية نطقًا للأصوات، أي أن الألفاظ ما هي إلا صدى لتلك المؤثرات الخارجية، وهي تختلف من مؤثر لآخر.

فالأمر شبيهه بالأصوات المختلفة التي تحدث عند الطرق على المعادن كالحديد، أو الفضة، أو النحاس وغيرهم، فكل شيء منها رنينًا خاصًا بها؛ قال أنيس: «كذلك الآثار الخارجية التي يتأثر بها الإنسان يحدث كل منها رنينًا خاصًا، فيتعدد الرنين

Language: Its nature, development P 415. (٤٢٦)

بتعدد الأصوات الخارجية، ولذا تعددت الألفاظ، وتعددت الأصوات المشتملة عليها»^(٤٢٧).

وذهب الفرنسي Jan peru إلى أنها نظرية ذات صبغة صوفية، تتعلق بالانسجام بين الأصوات والأحاسيس، وأنها دُعمت لفترة من قبل Max Müller^(٤٢٨)، وهي ترى أن الإنسان البدائي كان يطابق بين عبارة محددة، وكل انطباع يستقبله من الخارج.

قلت: والراجح أن هذه الفرضية كغيرها جزئية وليست كلية، فهي محدودة، فالكلمات التي يمكن أن تُفسَّر على أن جرس الكلمة يدل على معناها قليلة جدًا، فلا يوجد أصوات للأمور والأفكار المعنوية كالحب، والكراهية، والعدالة، والشجاعة، كذلك لم توضح آلية تسمية الأشياء الجامدة من صخور، وأشجار، وجبال، ونباتات، فهي بالنسبة لنا ليست لها أصوات، إلى غير ذلك من أمور.

فقد بُنيت على أساس غامض وغير مطرد، ويختلف من لغة إلى أخرى.



(٤٢٧) دلالة الألفاظ ص ٢٥.

(٤٢٨) اللسانيات لجان ص ٩٧.

المبحث التاسع

نظرية الغناء. The theory of singing/sing-song

يُعد الألماني كارل بوشر (ت ١٩٣٠) Karl Bücher من أوائل مَنْ أشار إليها في كتابه «العمل والإيقاع» (Arbeit und Rhythmus) الذي نشره سنة ١٨٩٩م.

وذلك في ثنايا كلامه عن الأغاني والموسيقى والإيقاعات، حيث ذكر أنه في محاضرة عن الأغاني للدكتور/ Buch ذهب إلى أنه في تقارير votiaks الشعبية للجمعية الإستونية على دوريات ١٨٨٣ وُجد بعض المناطق عندها الأغاني بدون كلمات، يغنون: (Ai dai ai mai ... etc)، أي (أي داي أي ماي ... إلخ).

وما ذكره Buch شبيه بتلك الأصوات المنغمة التي يُطلقها الإنسان أثناء العلاقة العاطفية.

ثم علق بوشر قائلاً⁽⁴²⁹⁾:

Arbeit und Rhythmus p 405. (٤٢٩)

«besteht also nur aus emotiven ausrufen reflexlauten aus denen ja auch die menschliche sprache hervorgegangen ist».

أي وبالتالي فهي تتكون فقط من التعابير العاطفية التي ظهرت منها اللغة البشرية.

ثم جاء الفرنسي Vendryes^(٤٣٠) (ت ١٩٦٠) واستفاد منه، ورأى أثناء كلامه حول فلسفة اللغة، أن السلف البعيد لم يكن عقلهم صالحاً للاستدلال، وأن اللغة في الأصل كانت مجرد غناء فطري، ينظم بوزنه حركة المشي أو العمل اليدوي، وهذا الغناء هو الأصل في الكلمات التي أصبحت لغة في نهاية الأمر، حيث أعطيت الأغنية قيمة رمزية احتفظ بها كل فرد لاستخدامه الشخصي، وتدرجياً بسبب التبادل الاجتماعي المتزايد؛ صارت لغة.

ومن الملاحظ أنها فرضية محدودة كسابقها، ولهذا رُدَّت.



المبحث العاش

نظرية الاستجابة الصوتية للحركات العضلية yo.he.ho

تقوم على أن اللغة بدأت من مجموعة من المقاطع الصوتية التي يطلقها مجموعة من الأشخاص أثناء ممارستهم، وقيامهم بمجهود عضلي شاق، من جري أو رفع أثقال، أو عملهم بحرفة كحداد أو صناع، وغيرهما من الأعمال التي تستلزم عادة من الإنسان أن يبذل مجهودًا عضليًا.

وهذا أمر مشاهد اليوم من خلال ما يقوم به بعض العمال من الغناء أثناء عملهم الشاق، دون سأم أو ملل دفعًا لمشقة العمل الذي يقومون به، ثم تطورت هذه الأصوات غير مقصودة عبر الزمن لتصبح لغة، أي أنها نشأت من مخالطة الإنسان لأخيه الإنسان، ولم تنشأ عن فرد وهو منعزل عن المجتمع.

وكان أول من قال بهذه النظرية الفرنسي Noiré (ت ١٨٨٩) أو Noire Ludwig نوار لودفيج في كتابه «أصل اللغة» (Der Ursprung der Sprache) الذي نُشر سنة ١٨٧٧م.

ونقله عنه Jespersen (٤٣١) وقال:

«Noiré started a fourth theory, nicknamed the yo-he-ho : under any strong muscular effort it is a relief to the system to let breath come out strongly and repeatedly, and by that process to let the vocal chords vibrate in different ways ; when primitive acts were performed in common, they would, therefore, naturally be accompanied with some sounds which would come to be associated with the idea of the act performed and stand as a name for it ...».

أي بدأ Noiré نظرية رابعة، وهي الملقبة بـ (yo-he-ho) - وذلك بعد أن ذكر Jespersen ثلاث نظريات:

(ding-dong/bow-wow/pooh-pooh) - ورأى أن أي جهد عضلي قوي يقوم به الإنسان ما هو إلا تخفيف عن النظام الداخلي للإنسان، للسماح للنفس بالخروج بقوة وبشكل متكرر، وبهذه العملية يحدث اهتزازٌ للحبال الصوتية بطرق مختلفة.

ولمَّا كان من الطبيعي أن يتم أداء الأفعال البدائية بشكل مشترك، كان من الطبيعي أيضًا أن تكون تلك الأفعال

مصحوبة ببعض الأصوات التي ترتبط بفكرة الفعل المبذول،
وتصبح علمًا على ذلك الفعل، تتكرر بتكرره.
وهذه الأصوات والعبارات الجماعية هي التي بدأ بها الكلام،
وكانت النواة الأولى لنشأة اللغة، حيث تطورت بعد ذلك
لتصير إلى ما هي عليه الآن.

ومن النظريات التي وضعت على أساس اجتماعي أيضًا نظرية
وضعها عالم اللغويات السوفيتي Nikolai Marr نيكولاي مار
(ت ١٩٣٤) يرى من خلالها أنه حلت مكان اللغة الخطية بواسطة
الإشارات^(٤٣٢) لغة منطوقة استعملت في البداية من طرف سحرة
يرغبون في استرقاق رجال قبائلهم، وقد استعمل سحرة مختلف القبائل
بعض المقاطع كعلامات للانضواء، وكان لضم الطوائف الدينية
للقبائل المتزايدة شيئًا فشيئًا أثر في جمع معقد شيئًا فشيئًا للمقاطع
البدائية.

قلت: كذا قالوا، وهذه النظريات وإن كانت تختلف عن بعض
النظريات الأخرى، من حيث جعلها سبب نشأة اللغة جماعي،
من خلال الاحتكاك بين أفراد المجتمع البشري، وليس من
خلال فرد بعينه.

(٤٣٢) اللسانيات لجان بيرو ص ٩٧.

وكون إحداهما قدمت تفسيرًا علميًا لنشأة الصوامت (الحروف)،
والصوائت (الحركات) باعتبار أن المقاطع الصوتية،
والصيحات التي يُطلقها الأشخاص أثناء قيامهم بمجهود
عضلي شاق، من جري أو رفع أثقال ما هي إلا مزيج منهما؛
إلا أنهما لا يفسرا إلا جانبًا واحدًا من اللغة، من جوانب كثيرة
أكثر أهمية.



المبحث الحادي عشر

نظرية Ta-Ta

أشار إليها Charles Darwin تشارلز دارون (ت ١٨٨٢)، ورأى أن اللغة وتطور الصوت قد ولدا لدعم حركات اليد وحركات الفرد، وكان الإنسان في البداية يحرك لسانه وفكيه لا شعورياً، ثم تطورت هذه التعبيرات، فكف يده عن الحركة، وحل اللسان والشفتان مكان اليدين في وظيفتهما، فكانت إيماءات اللسان والفم محاكاة وتقليداً للإيماءات اليدوية، فمثلاً: قول Ta-Ta يشبه التلويح باللسان.

ومن أجل إظهار المعنى الكامن وراء الإيماءات بشكل أفضل، فإن هذه الأصوات تتطور إلى المزيد، والمزيد من الكلمات المميزة، أو مجموعات من الأصوات التي تؤدي حتماً إلى أنماط الكلام.

وتبعه المعاصر النيوزيلندي Michael C. Corballis مايكل كورباليس في كتابه: الأول حول أصول اللغة من اليد إلى الفم
From Hand to Mouth: The Origins of Language

الثاني: حول حقيقة اللغة، ما هي، ومن أين أتت؟

The truth about
language: what it is and where it came from

وذهب إلى أن اللغة نشأت نتيجة عملية تطور طويلة، حدثت تدريجياً
للتطور الدارويني انطلاقاً من الإيماءات والإشارات.

وانتقد معاصره الأمريكي نعوم تشومسكي Noam Chomsky
في قوله إن اللغة ظهرت فجأة، أي معجزة مفاجئة، أو حادث محظوظ
للتطور.

وذهب^(٤٣٣) إلى أنها لم تنشأ فجأة، أو حتى تقليدياً، وتعديلاً
للنداءات الحيوانية؛ لأن التحكم في الصوت ظاهرة حديثة إلى
حد ما، حيث لا يستطيع مثلاً حيوان الشمبانزي ممارسة سوى
سيطرة محدودة للغاية على أصواتهم.

ومن ثم فهو يرى أنها في بدايتها كانت إشارية من الدرجة
الأولى على الرغم من أن الأصوات أخذت تتخللها بصورة
متزايدة، وأن إصدار هذه الأصوات قد خدم بشكل أو بآخر في
نشأة اللغة، لكونه إضافة إلى إشارات اليدين، والوجه، والفم،
وساهم في جعل الإشارات غير المنظورة مسموعة.

، From Hand to Mouth: The Origins of Language p82 (٤٣٣)

The truth about
language: what it is and where it came from p16.18.

وذكر^(٤٣٤) Michael أن جيرولامو دي كاردانو في عام ١٥٧٦م لاحظ أن الصم يمكنهم التعبير عن الأفكار المجردة في الإشارات، وأنه في عام ١٦١٦م أعلن جيوفاني بونيفانتشيو أن التوقيع لغة عالمية، وأنه بالرغم مع ذلك فإن الفرضية القائلة بأن اللغة نفسها نشأت في الإيماءات، تم اقتراحها لأول مرة في منتصف الثامن عشر.

ورأى^(٤٣٥) أن الإنسان لو حاول أن يتخيل أنه يقوم بتعليم طفل التحدث دون استخدام يديه أو أي وسيلة أخرى للإشارة أو الإيماء، فإنه سيجد المهمة مستحيلة بالتأكيد.

وذلك لأن الإيماءات اليدوية وإيماءات الوجه تلعب دورًا في مساعدة الأطفال تعلم اللغة المنطوقة، وكذلك لغة الإشارة في السنوات الأولى على الأقل.

وقد اعترض على هذه النظرية^(٤٣٦) بأن معظم الأشياء التي نتحدث عنها ليس لها إيماءات مميزة مرتبطة بها، ناهيك عن الإيماءات التي يمكنك تقليدها باللسان والضم.

From Hand to Mouth: The Origins of Language p102. (٤٣٤)

The truth about ، p184 المصدر السابق (٤٣٥)

language: what it is and where it came from p21.

From the desk of Western Washington University professor (٤٣٦)

Edward Vadja: “Linguistics 201: The Origin of Language”.

كما أن الإيماءات ليست مطردة، ففي بعض الأماكن الإيماء يعني (نعم)، وفي البعض الآخر الإيماء يعني العكس، وهذه الاختلافات الثقافية المتباينة تعني أنها ليست فرضية مطردة سليمة.



المبحث الثاني عشر

نظرية La-La

اقترح الدنماركي **Jespersen** (ت ١٩٤٣) أن اللغة قد تكون تطورت من أصوات مرتبطة باللعب، والحب، والأغنية خاصة، وقد وضع تصورًا حول نشأة اللغة، له ثلاثة أركان:

الأول: دراسة مراحل نمو اللغة عند الطفل.

الثاني: دراسة اللغة في الأمم البدائية.

الثالث: دراسة تاريخية للتطور اللغوي ... (٤٣٧).

وكان مما ذهب إليه أنه يجب أن نتخيل لغة بدائية كما تتكون (بشكل رئيس على الأقل) من كلمات طويلة جدًا، مليئة بالأصوات الصعبة، وتُغنى بدلًا من أن يُتحدث بها؛ قال (٤٣٨):

«we must imagine primitive language as consisting chiefly at least of very long words, full of difficult sounds, and sung rather than spoken».

Language: Its nature, development P416-418. (٤٣٧)

(٤٣٨) المصدر السابق p421.

واعترضَ عليه البريطاني المعاصر ديفيد كريستال David Crystal في كتابه (How Language Works) بأن هذه النظرية لا تزال تفشل في تفسير الفجوة بين الجوانب العاطفية، والعقلانية للتعبير عن الكلام^(٤٣٩).

وهو كما قال، ونظرًا إلى أن هذه النظريات لم تصل إلى نتائج قطعية حول نشأة اللغة، وكانت أفكارها ونتائجها أقرب إلى الحدس والتخمين، وهو ما أشار إليه الإيطالي Mario Bai ماريو باي (ت ١٩٧٠) بقوله: «ففيما يختص بنشأة اللغة وطبيعتها لدينا مصادر تعتمد على الأساطير، والحديث المنقول، والمناقشات الفلسفية، ولكن تتقنا الحقائق العلمية في هذا الصدد»^(٤٤٠).

فإن ذلك دعا من قِبَل الجمعية اللغوية في باريس عام ١٨٧٨م منع تقديم أي أوراق أو أبحاث حول هذا الموضوع في دوراتها، وذلك كما نقله Fedor Berezin في كتابه «محاضرات في اللغويات» (Lectures on Linguistics)، و Michael Sprinker في مقاله

How Language Works p351. (٤٣٩)

(٤٤٠) لغات البشر له ص ١٧.

Gerard Manley Hopkins on the Origin of ^(٤٤١)الصحفي
:Berezin ^(٤٤٢)قال Language
«La société Linguistique de paris prohibited in 1878
the submission of any papers on this subject at its
sessions».



Gerard Manley Hopkins P 113. (٤٤١)

Lectures on Linguistics P 15. (٤٤٢)

المبحث الثالث عشر

الترجيح والاختيار

يبدو من خلال النظريات والفرضيات السابقة حول أصل نشأة اللغة، أنه يصعب الوصول إلى الصواب في المسألة، ولكن دعونا نناقش الأمر من وجه آخر.

فقد كان الله ﷻ ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، ثم خلق القلم، وكتب مقادير الخلق كلهم إلى قيام الساعة، وخلق الأرض، ثم استوى إلى السماء وهي دخان، وقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا أتينا طائعين، وذلك كما قال تعالى: ﴿قُلْ أُنْتُكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ٩ - ١١].

وأخبرنا الله ﷻ أنه فتقهما بعدما كانتا رتقا، وخلق سبع سموات
 ومن الأرض مثلهن في ستة أيام، فقال تعالى: ﴿أَو لَمْ يَرَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا
 مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقال
 تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ
 يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
 فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]، وقال
 تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ
 عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

وكذلك كما أخرجه البخاري من حديث عمران بن حصين ﷺ
 أن رسول الله ﷺ قال: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ
 عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» (٤٤٣).

وأخرجه أبو داود من حديث عبادة بن الصّامت ﷺ أن النبي
 ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ:

(٤٤٣) أخرجه البخاري (١٠٥/٤) كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ
 الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، رقم (٣١٩١).

رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اَكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ
السَّاعَةُ» (٤٤٤).

كذلك ما رواه الشيخان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كُنَّا
مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فِي جَنَازَةٍ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مَنْ
أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ»، فَقَالُوا:
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فِكُلِّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ
لَهُ» (٤٤٥).

فعلم الله صلى الله عليه وسلم أزلي قديم، أول بلا ابتداء، وآخر بلا انتهاء، ولا
يتجدد له علم بشيء لم يكن عالمًا به أزلاً، فهو صفة ذاتية له
صلى الله عليه وسلم يتجدد بتجدد وجود المعلومات، كما قال تعالى: ﴿وَمَا
جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ
يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقال تعالى:

(٤٤٤) أخرجه أبو داود (٢٢٥/٤) كتاب: السنة، باب في القدر، رقم (٤٧٠٠)، والترمذي
(٤٢٤/٥) أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة ن، رقم (٣٣١٩)، وقال الترمذي: (هذا
حديث حسن صحيح غريب).

(٤٤٥) أخرجه البخاري (١٧٠/٦) كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى
وَأَنْقَى﴾، برقم (٤٩٤٥)، ومسلم (٢٠٤٠/٤) كتاب القدر، باب كيفية خلق الأدمي في بطن
أمه، برقم (٢٦٤٧/٧).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُتْلَوْنَ كُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصِّدِّ تَتَّأَلُهُ أَيَّدِيكُمْ
وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤]، وقال
تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ
وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ﴾ [التوبة:
١٦]، وغير ذلك من الأدلة.

وأفعاله ﷺ أصلها قديم، ولكن أفرادها وأنواعها تحدث شيئاً بعد
شيء، فهو الخلاق والفعال لما يريد.

فخلق الملائكة من نور، والجان من نار، وذلك كما أخرجه
مسلم من حديث أم المؤمنين عائشة ؓ أن النبي ﷺ قال:
«خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ،
وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»^(٤٤٦).

وأودع فيهم ﷺ الكثير من القوى والنعم، وكان مما أنعم به
عليهم اللغة التي يتخاطبون بها، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا
مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ
قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

(٤٤٦) أخرجه مسلم (٢٢٩٤/٤) كتاب: الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، رقم
(٢٩٩٦/٦٠).

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ
بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ
خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧٥، ٧٦].

فكان هناك كما تقدم لغة قبل خلق آدم ﷺ يتخاطب بها
الملائكة والجن، علمهم الله ﷻ إياها وليس اصطلاحًا منهم،
فهم لا علم لهم إلا ما علمهم الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿قَالُوا
سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

وقولهم هذا ليس من باب الأدب مع الله ﷻ فقط، بل هو
على الحقيقة أيضًا.

ثم مضى ما شاء الله ﷻ من الزمن، فخلق ﷻ آدم ﷻ بعد أن
كان عَدَمًا؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا
مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨، ٢٩].

فلما خلقه ﷻ علمه الأسماء كلها، وذلك لعموم قوله تعالى:
﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

وسواء كانت هذه الأسماء، هي: أسماء الملائكة فقط، أو
أسماء ذريته فقط، أو أسماء مخلوقات خلقها الله ﷻ ثم
عرضها عليه وعلمه ﷻ أسمائها، أو أن الله ﷻ علمه أسماء

جميع الأشياء، كما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ... إلخ، إلا أن في ذلك قدرًا مشتركًا، وهو أن بداية التعلم كانت توقيفية من الله عز وجل.

وحتى لو قلنا إن الله عز وجل أوجد فيه الإلهام والحاجة إلى وضع اللغة، أو القدرة على وضعها، وإدراك حقيقة الأمور وماهيتها. أو أنه صلى الله عليه وسلم علمه كيفية وضع اللغة لا اللغة نفسها، وذلك كما ذهب إليه فلاسفة إخوان الصفا، فإن الأمر يرجع إلى التوقيف أيضًا، اللهم إلا بضرب من التكلف والتعسف.

وقد ثبت من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَمَّا نُفِخَ فِي آدَمَ، فَبَلَغَ الرُّوحَ رَأْسَهُ عَطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَرْحَمُكَ اللَّهُ»^(٤٤٧).

وهذا يدل على أن آدم عليه السلام بدأ بالكلام قبل أن تسري الروح في بقية جسده، حيث قال: (الحمد لله) بمجرد أن عطس، بعد أن دخلت الروح من أنفه، وهذا يدل بما لا مرية فيه، أن أصل اللغة توقيفي من الله عز وجل.

(٤٤٧) تقدم تخريجه.

ثم حصل اصطلاح واتفاق بعد ذلك بين البشر، وتتوعت مصادر اللغة من محاكاة لأصوات الطبيعة، أو مناسبة بين الألفاظ والمعاني إلى غير ذلك. فالتطور اللغوي لم يحدث دفعة واحدة في عصر واحد، وإنما كان عبر مراحل مختلفة على مر العصور.



الخاتمة

خاض الكثير من العلماء على مر السنين في قضية لغات الملائكة، والشياطين، وأهل الجنة والنار، وغيرهم، واستندوا إلى أدلة واهية وباطلة، فأتوا بما لا طائل تحته من أقوال وآراء لا تستند إلى الحقائق والبراهين العلمية بل إلى الهوى والتعصب.

والراجع في المسألة أنه لا يثبت في الباب شيء من جهة النقل، يدل على ترجيح لغة دون أخرى، ومن ثم فيجب الإذعان وتفويض علم ذلك إلى الله ﷻ.

كذلك اختلفوا في أصل نشأة اللغة الأولى التي تكلم بها آدم ﷺ فتعددت الأقوال والفرضيات، وظهر العديد من النظريات تحاول تلمس ومعرفة الصواب في أصل هذه النشأة، وخلاصة ما ورد فيها الآتي:

- أقدم من نُسب إليه الكلام فيها الفيلسوف الباكي اليوناني هرقليطس (Heraclitus) (ت ٤٧٥ ق.م)، والفيلسوف الضاحك ديموقريطوس (ت ٣٧٠ ق.م).

- أهم هذه النظريات والفرضيات؛ نظرية (الإلهام والتوقيف)، ورأى أصحابها أن أصل اللغة إنما هو إلهام وتوقيف من الله ﷻ وذهب آخرون إلى أن أصلها تواضع واصطلاحي،

بينما ذهب البعض إلى أنه إنما هو من محاكاة أصوات
مظاهر الطبيعة المسموعة.

- ذهب عباد بن سليمان المعتزلي إلى المناسبة الذاتية بين
الألفاظ والمعاني، وهو خلاف ما نُقل عن الخليل وغيره من
علماء العربية في المسألة.

- رأى أبو هاشم الجبائي أن ابتداء اللغات لا يكون إلا
بالمواضعة، ثم يحصل التوقيف من بعد، بينما ذهب أبو
إسحاق الإسفراييني في طائفة من العلماء إلى أن القدر
الذي يدعو الإنسان به غيره إلى التواضع ثبت توقيفًا، وما
عدا ذلك يجوز أن يثبت بكل واحد من الطريقتين.

- ظهر عند الغرب العديد من النظريات تحاول تفسير وفهم هذه
العلاقة، كنظرية بُو- بُو (Pooh- pooh) وهي تقوم على
الطبيعة اللاإرادية لكلام البشر، من خلال الاستجابة العاطفية
للغرائز، والتعبير عن الانفعالات، وقريب منها نظرية النسبية
الملقبة بـ (ding-dong) والتي تقوم على التناغم الصوتي بين
الصوت والشعور.

- ذهب أصحاب نظرية الاستجابة الصوتية للحركات
العضلية (yo.he.ho) إلى أن اللغة بدأت من مجموعة
من المقاطع الصوتية التي يطلقها مجموعة من الأشخاص

أثناء ممارستهم، وقيامهم بمجهود عضلي شاق ... إلى غير ذلك من النظريات والفرضيات.

- الراجح في المسألة أن أصل نشأة اللغة إنما كان بتوقيف وإلهام من الله ﷻ ثم حصل اصطلاح واتفاق بعد ذلك بين البشر، وتنوعت مصادر اللغة من محاكاة لأصوات الطبيعة، أو مناسبة بين الألفاظ والمعاني إلى غير ذلك.

- التطور اللغوي والانتقال من طور إلى آخر، لم يحدث دفعة واحدة في عصر واحد، وإنما كان عبر مراحل مختلفة على مر العصور.

هذا آخر ما تم تحريره، سبحانه اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وصلّى اللهم على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم، والحمد لله رب العالمين.



Abstract

All Praise is due to Allah Who has not taken a wife or a son, Who has no partner in His Dominion, and Who is Knowing of all things. He created mankind as males and females, made them peoples and tribes so that they may know one another. Indeed, the most noble of them in the sight of Allah is the most righteous of them. Among His signs is the creation of the heavens and the earth and the diversity of your languages and your colors. Glory be to Him, I bear witness that there is no God but Allah alone, Who has no partners. A witness which I devoutly prepare for the day in which I will meet Him, and a valuable asset upon which I rely on the Day of Resurrection. I bear witness that Muhammad is His Servant and Messenger, peace and blessings be upon him, his Household, and his Companions.

The issue of Contemplating the creation of Heavens and Earth, and trying to understand the mechanism of the origin of the universe is one of the most important issues which human beings try to understand and explain throughout times.

They even navigated in the nature and origins of the languages they speak and use to contact each other: When and how did they originate? How did they develop or change to reach their current forms?

They put many questions and hypothesis trying to reach a conclusion regarding the first Language that Adam, Eve, and their early offspring talked.

Was this language an origination of Adam? Was it a revelation from Allah, the Almighty, which He bestowed upon Adam and instructed him the names of All things? Or was it something other than that? Was there a language before the creation of Adam by which the Angles and the Jinn used to speak, or not?

All these questions resulted in the emergence of many theories and hypothesis, such as (Pooh Pooh), (Ta Ta), (Bow Wow), (Ding Dong), etc. that try to understand and explain the origin of language.

The importance of this issue necessitates shedding light on these views and discussing them in a unique research, clarifying the most preponderant among them.

The title of the research is **“Language Philosophy and Origins in the Light of Modern Theories”**

Discussing the theories and hypothesis of language philosophy shows that reaching the sound conclusion is nearly impossible. However, let us discuss the issue from another point of view.

First of all, there was nothing but Allah, and (then He created His Throne). His throne was over the water. Then, He created the Pen, and wrote the fates of all

creatures until the Day of Resurrection. This is stated in the hadith of `Imrân Ibn Huṣayn (may Allah be pleased with him) who narrated that Allah's Messenger (peace and blessings of Allah be upon him) said:

“First of all, there was nothing but Allah, and (then He created His Throne). His throne was over the water, and He wrote everything in the Book (in the Heaven) and created the Heavens and the Earth.”

[Related by Al-Bukhârî: 3191].

Also, `Ubâdah Ibnuṣ-Sâmit (may Allah be pleased with him) narrated that the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) said:

“The first thing Allah created was the pen. He said to it, “Write.” It asked, “What should I write, my Lord?” He said: Write what was

decreed about everything until the Last Hour comes.”

[Related by Abû Dawûd: 4700].

Allah’s knowledge is eternal, and His Acts are eternal in essence. However, His single acts, and their types occur one after another, as He is the Creator, and the Effector of what He intends. He created the Angles from Light, and the Jinn from fire. This is stated in the hadith of `Â’ishah, the mother of the believers (may Allah be pleased with her), that the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) said:

“The Angels were created of light, and the Jinn were created of spark of fire, and Adam was created of what has been described (in the Qur'an) for you (i.e. clay).”

[Related by Muslim: 60/2996].

Allah, the Almighty, has put a lot of strength and bounties in His creatures. Among these bounties is language by which they contact each other. This is clear in Allah's Saying,

{“And [mention, O Muhammad], when your Lord said to the angels. “Indeed, I will make upon the earth a successive authority.” They said, “Will You place upon it one who causes corruption therein and sheds blood, while we declare Your praise and sanctify You?” He [Allah] said, “Indeed, I know that which you do not know.”}

[Al-Baqarah (the Cow): 30]

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

Also, Allah, the Almighty, says:

{“[Allah] said, "O Iblîs, what prevented you from prostrating to that which I created with My hands? Were you arrogant [then], or were you [already] among the haughty? He said, “I am better than him. You created me from fire and created him from clay.”}

[Sâd: 75-76]

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِيْنَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦)﴾ [ص: ٧٥-٧٦].

This means that there was a language before the creation of Adam by which the Angels and the Jinn used to speak. Allah, exalted be He, taught them this language and it was not an invention of them, as they have no knowledge but that which Allah bestow upon them. This is mentioned in Allah’s saying narrating the Angles statement:

{“They said, "Exalted are You; we have no knowledge except what You have taught us. Indeed, it is You who is the Knowing, the Wise.”}

[Al-Baqarah (the Cow): 32]

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (۳۲)﴾

[البقرة: ۳۲]

This statement of Angels does not only reflect their politeness with Allah, the Almighty, but it also states the reality of having now knowledge but that which Allah bestowed upon them. Then, what Allah willed of time has passed, and Allah created Adam (peace be upon him). In this regard, Allah, the Exalted, says:

{“And [mention, O Muhammad], when your Lord said to the angels, "I will create a human being out of clay from an altered black mud. And when I have proportioned him and

*breathed into him of My [created] soul, then
fall down to him in prostration.”}*

[Al-Hijr (Thamûd's Habitation): 28-29]

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ
(٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:
٢٨-٢٩].

After Allah, the Almighty, created Adam, He taught him all the names. Whether these names were the names of Angels, the names of his offspring, or the names of other creatures which Allah created and then offered to Adam and taught him their names, or whether Allah, Exalted be He, taught Adam all the names of everything, as maintained by Ibn `Abbâs (may Allah be pleased with them both) and others, there still be a common part represented in the fact that Adam was first taught by Allah.

Let us presume that Allah, the Exalted, has ignited Adam's inspiration and need to create a language or

gave him the ability to create it and realize the essence and reality of matters, or that Allah, the Almighty, taught him how to create a language, but not the language itself, as maintained by the philosophers of Ikhwânus-Safâ (i.e. Brethren of Purity), then we will undoubtedly conclude that language origination is also attributed to Allah, as long as there is no exaggeration and affectation.

After that, a human consensus to create languages was set. Accordingly, the sources of languages varied between mimicking sounds of nature or harmonizing between words and their meanings, and so on.

Language development did not occur at once; rather, it happened gradually throughout various times and stages.

As for the nature of the controversy regarding this

Glory be to You, O Allah! and with Your due Praise. I testify that there is no God worthy of worship but You. I seek Your Forgiveness and I return (in repentance) to you. Peace and blessings of Allah be upon our Prophet Muhammad (peace be upon him), his Household, and his Companions. All praise is due to Allah, Lord of the worlds.



Le sommaire français

Louange à Allah qui ne S'est donné ni compagne, ni enfant!, qui n'a point d'associé en la royauté et Il est Omniscient. Il a créé les humains, d'un mâle et d'une femelle, et Il fait d'eux des nations et des tribus, pour que vous vous entre-connaissiez. Le plus noble d'entre vous, auprès d'Allah, est le plus pieux. Parmi la variété de vos idiomes et de vos Ses signes: couleurs.

Louange à Lui, je témoigne qu'il n'y a d'autre divinité qu'Allah, l'Unique, il n'a pas d'associé, et je témoigne que Mohammed est Son serviteur et Son Messager (la bénédiction et le salut d'Allah soient sur Lui), sa .famille et ses compagnons

Le fait de méditer sur la création des cieux et de la terre, et l'essai de comprendre le mécanisme de l'univers sont considérés parmi les procès les plus importants que l'homme a essayé, depuis longtemps, les expliquer et les comprendre.

Mais il cherche dans la nature et l'origine de la langue par laquelle il se parle, quand et comment a-t-elle

apparu? Comment s'est-elle développée ou a-t-elle changé? Et Comment a-t-elle atteint sur l'état actuel?

Il pose plusieurs questions et hypothèses en essayant connaître la naissance de la première langue par Eva (la paix soit sur eux) et ses laquelle Adam et descendants après lui.

Est-elle de la création d'Adam ? Or est-elle une révélation d'Allah, le Très Haut, à Adam et Il lui apprend tous les noms (de toutes choses), ou une autre chose ?

Et y avait-t-il une langue, avant la création d'Adam, par laquelle les anges et les djinns se parlaient Or non ? Ajoutant à autres questions par lesquelles ils se produisent, à l'époque contemporaine, l'apparition de plusieurs hypothèses et théories comme (Pooh Pooh), (Ta Ta), (Bow wow), (ding dong) et autres, qui essaient comprendre et interpréter l'origine de la naissance de la langue.

En vue de l'importance de cette question, il fallait montrer ses opinions et les discuter dans une recherche spéciale en démontrant l'opinion prépondérante.

Le titre de ma recherche est «**Philosophie du langage et sa naissance à la lumière des théories modernes**».

Il nous semble qu'à travers la discussion des théories et des hypothèses concernant de la Philosophie du langage et il semble qu'il est presque impossible d'atteindre le bon choix concernant elle. Cependant, discutons de la question d'un autre point de vue.

était en 'était, et aucune chose n Allah, le Très-Haut, était sur l'eau, Ensuite, il dehors de Lui, Son Trône créa la plume et écrivit le destin de toutes les créatures jusqu'au Jour de la Résurrection. Et comme Al-Bukharî, l'a rapporté du hadith `Imrân Ibn Husayn (qu'Allah l'agrée), que le Messager d'Allah (Bénédictioin et salut d'Allah soient sur Lui) dit :

était en dehors de '((Allah, était, et aucune chose n écrivit sur le rappel était sur l'eau, Il Lui, Son Trône toute chose et Il créa les cieux et la terre.))

[Rapporté par Al-Bukhârî: 3191]

Et comme Abû Dâwûd l'a rapporté du hadith de `Ubâdah Ibnus-Sâmit (qu'Allah l'agrée), que le Prophète (Bénédictioin et salut d'Allah soient sur Lui) dit :

((La première créature fut la Plume. Allah lui dit; écris !- Seigneur ! Lui dit-elle, que dois-je écrire? Il

(le seigneur) dit : Ecris les destinées de toute chose jusqu'au Jour de la Résurrection.))

[Rapporté par Abû Dâwûd: 4700]

La connaissance d'Allah, le Très-Haut, est éternelle et Ses actes, l'Exalté soit-il, sont par essence éternels. Cependant, ses actes uniques et leurs types se produisent l'un après l'autre, car il est le Créateur et Il réalise parfaitement tout ce qu'Il veut. Il a créé les anges de la lumière et les djinns du feu.

Comme Muslim a rapporté du hadith de `Â'ishah, la mère des croyants, (qu'Allah l'agrée), que le Prophète (Bénédiction et salut d'Allah soient sur Lui) dit :

((Les anges sont créés de lumière, les djinns de la flamme d'un feu sans fumée, et Adam de ce qui vous décrit [d'argile].)) été a

[Rapporté par Muslim : 60/2996]

Allah, le Tout-Puissant, a mis beaucoup de force et de générosité dans ses créatures. Parmi ces bienfaits, il y a la langue avec laquelle ils se contactent. C'est clair dans les propos d'Allah, le Très-Haut:

{“ Lorsque Ton Seigneur confia aux Anges: «Je vais établir sur la terre un vicaire «Khalifa». Ils dirent:

«Vas-Tu y désigner un qui y mettra le désordre et répandra le sang, quand nous sommes là à Te sanctifier et à Te glorifier?» - Il dit: «En vérité, Je sais ce que vous ne savez pas!». ” }

[Al-Baqarah (la vache): 30]

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[البقرة: ٣٠]

Et Allah, le Très-Haut, dit aussi :

{“(Allah) lui dit: «Ô Iblîs, qui t’a empêché de te prosterner devant ce que J’ai créé de Mes mains? T’enfles-tu d’orgueil ou te considères-tu parmi les hauts placés?», «Je suis meilleur que lui, dit [Iblîs,] Tu m’as créé de feu et tu l’as créé d’argile». ” }

[Sâd: 75-76]

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦)﴾ [ص: ٧٥-٧٦].

Cela signifie qu'il existait avant la création d'Adam un langage dans lequel les anges et les djinns parlaient. Allah, l'Exalté soit-Il, leur a enseigné cette langue et ce n'était pas une invention, car ils n'ont pas de savoir que celle qu'Allah nous a appris. Ceci est mentionné dans les propos d'Allah en racontant la déclaration d'Anges:

{“Ils dirent: «Gloire à Toi! Nous n'avons de savoir que ce que Tu nous a appris. Certes c'est Toi l'Omniscient, le Sage». ” }

[Al-Baqarah (la vache): 32]

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾
[البقرة: ٣٢].

Cette déclaration des Anges ne reflète pas seulement leur politesse avec Allah, le Tout-Puissant, mais elle indique également la réalité qu'Allah a le savoir et qu'il, seul, le leur a appris. Alors, après un certain temps passé, Allah a créé Adam (la paix soit sur lui).

À cet égard, Allah, l'Exalté soit-il, dit:

{“{Et lorsque ton Seigneur dit aux Anges: «Je vais créer un homme d'argile crissante, extraite d'une boue malléable, et dès que Je l'aurai harmonieusement formé et lui aurai insufflé Mon

souffle de vie, jetez-vous alors, prosternés devant
lui».” } }

[AL-HIJR (Pays du Prophète Sâlih) : 28-29]

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ
(٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:
٢٨-٢٩].

Après qu'Allah, le Tout-Puissant, a créé Adam, il lui a appris tous les noms. Et soit que ces noms étaient : Les noms des Anges seulement, de ses descendants seulement ou les noms d'autres créatures qu'Allah a créées et ensuite offertes à Adam et Il, l'Exalte soit-Il, lui ont appris leurs noms, ou si Allah, Exalté soit-Il, a enseigné à Adam tous les noms de toutes les choses et cette dernière opinion était celle d'Ibn `Abbâs (qu'Allah les agrée) et d'autres....etc. Cependant, il y a une partie commune représentée dans le fait qu'Adam a été enseigné pour la première fois par Allah

Supposons qu'Allah, l'Exalté soit-Il, ait inspiré Adam et le besoin de créer une langue ou lui a donné la capacité de la mettre ses principes et de comprendre son essence et ce qu'elle est, ou qu'Allah, le Tout-Puissant, lui ait appris à créer une langue, mais pas la

langue elle-même, c'était l'opinion des philosophes d'Ikhwânus-Safâ (c.-à-d. les Frères en Pureté). Enfin, on peut dire que l'origine de la langue est également revient à l'inspiration, sauf en cas de l'incompréhension.

Après cela, un consensus humain a été lieu pour créer des langues, de même, les sources des langues se variaient entre imiter des sons de la nature ou harmoniser les mots avec leurs significations, etc.

Le développement linguistique ne s'est pas produit à la fois. Mais, cela s'est passé durant des étapes différentes à travers les âges.

C'est la dernière de ce qui a été écrit dans cette recherché.

Gloire à Toi, Seigneur et louange à Toi. Je témoigne qu'il être adorée] en dehors de '[digne d n'y a point de divinité Toi, qu'Allah à Toi, j'implore Ton pardon et me repens accorde la paix sur notre Prophète Mohammed (la bénédiction et le salut soient sur Lui), sur sa famille et sur ses compagnons. Et Louange à Allah, Seigneur de l'univers.



المصادر والمراجع

- الإبهاج في شرح منهاج الوصول إلي علم الأصول للبيضاوي/المؤلف: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي، وولده تاج الدين/الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت/عام النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، وطبعة الناشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث/الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.
- أحكام القرآن/المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت٣٧٠)/المحقق: عبد السلام شاهين/الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان/الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، وطبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت/تاريخ الطبع: ١٤٠٥هـ.
- الإحكام في أصول الأحكام/المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي الثعلبي الأمدى (ت٦٣١هـ)/المحقق: عبد الرزاق عيفي/الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان.
- الإحكام في أصول الأحكام/المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت٤٥٦هـ)/المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر/قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس/الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول/المؤلف: محمد بن علي الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠)/المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية،/الناشر: دار الكتاب العربي/الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- الاستذكار/المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)/تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي/الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠م.
- إسفار الفصيح/المؤلف: محمد بن علي أبو سهل الهروي (ت٤٣٣)/المحقق: أحمد بن سعيد/الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية/الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

- الإشارة في أصول الفقه/المؤلف: أبو الوليد سليمان بن خلف التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت ٤٧٤هـ)/المحقق: محمد حسن/الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان/الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- الاشتقاق/المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)/تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون/الناشر: دار الجيل، بيروت - لبنان/الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- أصول الفقه/المؤلف: محمد بن مفلح أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (ت ٧٦٣هـ)/حقيقه: الدكتور فهد بن محمد السدحان/الناشر: مكتبة العبيكان/الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الأعلام/المؤلف: خير الدين بن محمود الزركلي دمشقي (ت ١٣٩٦هـ)/الناشر: دار العلم للملايين/الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م.
- الاقتراح في أصول النحو/المؤلف: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)/المحقق: عبد الحكيم عطية/الناشر: دار البيروتي - دمشق/الطبعة ٢ ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- إجماع العوام عن علم الكلام/المؤلف: أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)/مخطوط بإدارة المخطوطات بوزارة الأوقاف الكويتية.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة/المؤلف: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ)/الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين/المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأتباري (ت ٥٧٧هـ)/الناشر: المكتبة العنصرية/الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- البحر المحيط في أصول الفقه/المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)/الناشر: دار الكتبي/الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- البداية والنهاية/المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم
الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)/الناشر: دار الفكر، بيروت/عام النشر: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
وطبعة دار هجر، مصر/الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- بدائع الفوائد/المؤلف: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)/المحقق: علي العمران/الناشر:
دار عالم الفوائد، مكة المكرمة/الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ. وطبعة دار الكتاب
العربي - بيروت.
- البدر الطالع في حل جمع الجوامع/المؤلف: أبو عبد الله جلال الدين محمد بن
أحمد المحلي/الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون - سوريا/الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ،
٢٠٠٥م.
- البرهان في أصول الفقه/المؤلف: عبد الملك بن عبد الله الجويني، أبو المعالي،
ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت ٤٧٨هـ)/المحقق: صلاح بن محمد بن
عويضة/الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان/الطبعة: الأولى
١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
- بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب/المؤلف: أبو القاسم محمود بن عبد
الرحمن أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني (ت ٧٤٩هـ)/المحقق: محمد مظهر
بقا/الناشر: دار المدني، السعودية/الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- بيان تلبيس الجهمية/المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية
الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)/الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف
الشريف/الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.
- البيان والتبيين/المؤلف: عمرو بن بحر الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير
بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)/الناشر: دار الهلال، بيروت/عام النشر: ١٤٢٣هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس/المؤلف: محمد بن محمد الحسيني، أبو الفيض،
الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)/المحقق: مجموعة من المحققين/الناشر: دار
الهداية/سنة النشر: بدون.

- تاريخ ابن أبي خيثمة/المؤلف: أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة (ت ٢٧٩)/المحقق: صلاح بن فتحي هلال/الناشر: الفاروق الحديثة - القاهرة/الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- تاريخ ابن الوردي/المؤلف: عمر بن مظفر ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (ت: ٧٤٩هـ)/الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- تاريخ ابن خلدون/المؤلف: عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨)/المحقق: خليل شحادة/الناشر: دار الفكر، بيروت/الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- تاريخ ابن معين (رواية ابن محرز)/المؤلف: أبو زكريا يحيى بن معين بن عون البغدادي (ت ٢٣٣)/المحقق: محمد كامل القصار وآخرون/الناشر: مجمع اللغة العربية - دمشق/الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- تاريخ ابن معين (رواية الدوري)/المؤلف: أبو زكريا يحيى بن معين بن عون، البغدادي (ت ٢٣٣)/المحقق: د. أحمد محمد نور سيف/الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة/الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ - ١٩٧٩م.
- تاريخ ابن معين (رواية طهمان)/المؤلف: أبو زكريا يحيى بن معين بن عون البغدادي (ت ٢٣٣)/المحقق: د. أحمد محمد نور سيف/الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق.
- تاريخ ابن معين (رواية عثمان الدارمي)/المؤلف: أبو زكريا يحيى بن معين بن عون البغدادي (ت ٢٣٣)/المحقق: د. أحمد محمد نور سيف/الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق.
- تاريخ أسماء الضعفاء والكذابين/المؤلف: أبو حفص عمر بن أحمد البغدادي المعروف بـ ابن شاهين (ت ٣٨٥)/المحقق: عبد الرحيم القشقرى/الناشر: بدون/الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- التاريخ الأوسط /المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري، أبو عبد الله (ت ٢٥٦)/المحقق: محمود زايد/الناشر: دار الوعي ، مكتبة دار التراث - حلب ، القاهرة/الطبعة: الأولى، ١٣٩٧ - ١٩٧٧م.
- التاريخ الكبير/المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري، أبو عبد الله (ت ٢٥٦)/الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن.
- تاريخ بغداد/المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣)/المحقق: الدكتور بشار عواد/الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م. وطبعة دار الكتب العلمية - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.
- تاريخ دمشق/المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١)/المحقق: عمرو بن غرامة العمروي/الناشر: دار الفكر، بيروت/عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم/المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد، أبو عبد الله المقدمي (ت ٣٠١)/المحقق: محمد اللحيان/الناشر: دار الكتاب والسنة/الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- التحرير شرح التحرير في أصول الفقه/المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (ت ٨٨٥)/المحقق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراج/الناشر: مكتبة الرشد - السعودية / الرياض/الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- تحرير القواعد المنطقية شرح الرسالة الشمسية/المؤلف: قطب الدين محمود بن محمد الرازي (ت ٧٦٦)/الناشر: مكتبة الحلبي - مصر/ الطبعة الثانية: ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.
- تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول/المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (ت ٨٨٥)/تقريظ: عبد الله بن عبد

- العزیز/تحقیق: عبد الله هاشم، د. هشام العربي/الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر/الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب/المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أنير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)/المحقق: سمير المجذوب/الناشر: المكتب الإسلامي/الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه/المؤلف: شمس الدين علي بن إسماعيل الأبياري (ت ٦١٦)/المحقق: د. علي الجزائري/الناشر: دار الضياء - الكويت (طبعة خاصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر)/الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض / المؤلف: أبو محمد الحسن بن أحمد بن متويه النجراني المعتزلي/المحقق: سامي نصر لطف، وفيصل بدير عون/الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر - مصر/سنة النشر: ١٩٧٥م.
- التذهيب في شرح التهذيب في المنطق/المؤلف: فخر الدين عبيد الله بن فضل الله الخبيصي (ت ١٠٥٠)/مخطوط نسخة مصورة بمكتبة جامعة الملك سعود.
- تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي/المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (ت ٧٩٤هـ)/دراسة وتحقيق: د سيد عبد العزيز - د عبد الله ربيع/الناشر: مكتبة قرطبة - توزيع المكتبة المكية/الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- التعريفات/المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦)/الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان/الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم/المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)/المحقق: أسعد محمد الطيب/الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية/الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

- تفسير مجاهد/المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠٤هـ)/المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل/الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر/الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- التقريب والإرشاد (الصغير)/المؤلف: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت ٤٠٣هـ)/المحقق: د. عبد الحميد بن علي أبو زنيد/الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت/الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- التقرير والتحبير/المؤلف: أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي (ت ٨٧٩هـ)/الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- تلخيص كتاب أرسطو طاليس في العبارة/المؤلف: ابن رشد الحفيد/المحقق: د. محمد سليم سالم/الناشر: مطبعة دار الكتب - مصر/ سنة النشر: ١٩٧٨م.
- التمهيد في أصول الفقه/المؤلف: محفوظ بن أحمد بن الحسن أبو الخطاب الكلؤداني الحنبلي (ت: ٥١٠هـ)/المحقق: مفيد محمد أبو عمشة (الجزء ١ - ٢) ومحمد بن علي بن إبراهيم (الجزء ٣ - ٤)/الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى (٣٧)/الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- م.
- التمهيد في تخريج الفروع على الأصول/المؤلف: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (ت ٧٧٢هـ)/المحقق: د. محمد حسن هيتو/الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ.
- التنبيه والإشراف/المؤلف: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت: ٣٤٦هـ)/تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي/الناشر: دار الصاوي - القاهرة.
- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعية/المؤلف: نور الدين، علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن ابن عراق الكناني (ت ٩٦٣هـ)/المحقق: عبد

- الوهاب عبد اللطيف، عبد الله الغماري/الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ.
- تهذيب اللغة/المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠)/المحقق: محمد عوض مرعب/الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت/الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- جامع البيان في تأويل القرآن/المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)/المحقق: أحمد محمد شاكر/الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت/الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- الجرح والتعديل/المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧)/الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند/دار إحياء التراث العربي - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٢٧١هـ، ١٩٥٢م.
- جمهرة اللغة/المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١)/المحقق: رمزي منير بعلبكي/الناشر: دار العلم للملايين - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
- حاشية البيجوري على مختصر السنوسي في المنطق/المؤلف: إبراهيم البيجوري/الناشر: مكتبة السيد الطوي وأخيه - مصر، سنة النشر: ١٣٢١هـ.
- حاشية على تحرير القواعد المنطقية شرح الشمسية/المؤلف: علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦)/مخطوط بالمكتبة الظاهرية، ويوجد منه نسخة مطبوعة بحاشية تحرير القواعد/طبعة الحلبي - مصر/الطبعة الثانية: ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.
- حاشية على شرح البناني على السلم/المؤلف: علي قصارة الحميري (ت ١٢٥٩)/الناشر: المطبعة الأميرية - بولاق - مصر/الطبعة الأولى ١٣١٨هـ.
- الحاصل من المحصول/المؤلف: تاج الدين محمد بن الحسين الأرموي (ت ٦٥٣)/تحقيق: د. عبد السلام محمود/الناشر: جامعة قات يونس - بنغازي/سنة النشر: ١٩٩٤م.
- الحروف/المؤلف: أبو نصر الفارابي/المحقق: محسن مهدي/الناشر: دار المشرق - لبنان/الطبعة ٢ ١٩٩٠م.

- الخصائص/المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢)/الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر/الطبعة: الرابعة.
- الخطابة/المؤلف: أرسطو طاليس/المحقق: د. عبد الرحمن بدوي/الناشر: دار القلم - لبنان، وكالة المطبوعات - الكويت/ سنة النشر: ١٩٧٩م.
- داعي الفلاح لمخبئات الاقتراح في النحو/المؤلف: ابن علان الصديقي المكي/الناشر: جامعة البعث - سوريا/سنة النشر: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- الدر المنثور/المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١)/الناشر: دار الفكر - بيروت.
- الدر اللوامع في تحرير شرح جمع الجوامع/المؤلف: ابن أبي شريف المقدسي (ت ٩٠٦)/مخطوط.
- دلالة الألفاظ/المؤلف: د. إبراهيم أنيس/الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة/الطبعة الثالثة ١٩٧٦م.
- ديوان الإسلام/المؤلف: شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (ت: ١١٦٧هـ)/المحقق: سيد كسروي حسن/الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان/الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- ديوان الضعفاء والمتروكين/المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨)/المحقق: حماد بن محمد الأنصاري/الناشر: مكتبة النهضة الحديثة - مكة/الطبعة: الثانية، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- ديوان الهذليين/المؤلف: الشعراء الهذليون/ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي/الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة - جمهورية مصر العربية/عام النشر: ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م.
- ديوان عنتره/المؤلف: عنتره بن شداد الجاهلي/الناشر: مطبعة الآداب لخليل الخوري - بيروت/سنة النشر: ١٨٩٣م.

- الرسالة الشمسية في القواعد المنطقية/المؤلف: نجم الدين عمر بن علي القزويني المعروف بالكاتبي (ت ٦٧٥)/مخطوط مصور معهد دراسات الثقافة الشرقية - جامعة طوكيو .
- رسالة الغفران/المؤلف: أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان، أبو العلاء المعري، التنوخي (ت ٤٤٩)/الناشر: مطبعة أمين هندية - مصر/صحها: إبراهيم اليازجي/الطبعة: الأولى، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م .
- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء/مجموعة من الفلاسفة المسلمين في الفترة ما بين القرن الرابع والخامس الهجري على المشهور/مطبعة نخبة الأخبار - بومباي ١٣٠٥هـ .
- رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب/المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١)/المحقق: علي محمد معوض وآخرون/الناشر: عالم الكتب - لبنان/الطبعة: الأولى ١٩٩٩م، ١٤١٩هـ .
- رفع النقاب عن تنقيح الشهاب/المؤلف: أبو عبد الله الحسين بن علي الرجزاقي ثم الشوشاوي السملالي (المتوفى: ٨٩٩هـ)/المحقق: د. أحمد بن محمد السراح، د. عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين/أصل هذا الكتاب: رسالتي ماجستير/الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض/الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه/المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)/الناشر: مؤسسة الريان ، مصر/الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .
- الزاهر في معاني كلمات الناس/المؤلف: محمد بن القاسم أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨)/المحقق: د. حاتم صالح الضامن/الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- زهر الفردوس (الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس/المؤلف: ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)/مخطوط .

- الزيادات على الموضوعات/المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١)/المحقق: رامز خالد/الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض/الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد/المؤلف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢)/تحقيق: علي محمد معوض وآخرون/الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان/الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- سلاسل الذهب/المؤلف: بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)/تحقيق ودراسة: محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي/الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- سلم الوصول إلى طبقات الفحول/المؤلف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بـ (حاجي خليفة) (ت ١٠٦٧)/المحقق: محمود عبد القادر الأرنؤوط وآخرون/الناشر: مكتبة إرسیکا، إستانبول - تركيا/عام النشر: ٢٠١٠م.
- سنن أبي داود/المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥)/المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد/الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- سنن الترمذي/المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩)/تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون/الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر/الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- سؤالات ابن الجنيد لأبي زكريا يحيى بن معين/المؤلف: أبو زكريا يحيى بن معين بن عون البغدادي (ت ٢٣٣)/المحقق: أحمد محمد نور سيف/دار النشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة/الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- سؤالات ابن هانئ الأثرم لأحمد بن حنبل/المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١)/المحقق: د. عامر حسن صبري/الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- سؤالات أبي داود للإمام أحمد بن حنبل/المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١)/المحقق: د. زياد محمد منصور/الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة/الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.
- سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني/المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥)/المحقق: محمد علي قاسم العمري/الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة/الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- سؤالات البرقاني للدارقطني/المؤلف: أحمد بن محمد أبو بكر المعروف بالبرقاني (ت ٤٢٥)/المحقق: عبد الرحيم القشقرى/الناشر: كتب خانة جميلي - لاهور، باكستان/الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.
- سؤالات الحاكم النيسابوري للدارقطني/المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر البغدادي الدارقطني (ت ٣٨٥)/المحقق: د. موفق بن عبد الله/الناشر: مكتبة المعارف - الرياض/الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤م.
- سؤالات السلمي للدارقطني/المؤلف: محمد بن الحسين النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢)/تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد الحميد، و د/ خالد الجريسي/الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ.
- سؤالات حمزة السهمي للدارقطني وغيره/المؤلف: أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي الجرجاني (ت ٤٢٧)/المحقق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر/الناشر: مكتبة المعارف - الرياض/الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤م.
- سؤالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي ابن المديني/المؤلف: علي بن عبد الله بن جعفر السعدي بالولاء المديني، البصري (ت ٢٣٤)/المحقق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر/الناشر: مكتبة المعارف - الرياض/الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.
- سؤالات مسعود بن علي السجزي لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري/المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع

- (ت ٤٠٥) //المحقق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر/دار النشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- الشافية في علم التصريف/المؤلف: عثمان بن عمر بن أبي بكر، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت ٦٤٦) //المحقق: حسن أحمد العثمان/الناشر: المكتبة المكية، مكة/الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
- شرح البناني على السلم في المنطق/ المؤلف: محمد بن الحسن البناني (ت ١١٩٤)، وبذيله حاشية للشيخ علي قسارة الحميري (ت ١٢٥٩) //الناشر: المطبعة الأميرية - بولاق - مصر/الطبعة الأولى ١٣١٨هـ.
- شرح الكوكب المنير/المؤلف: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح المعروف بابن النجار الحنبلي (ت ٩٧٢هـ) //المحقق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد/الناشر: مكتبة العبيكان/الطبعة: الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- شرح إيساغوجي البقاعي/المؤلف: محمد بن يوسف السنوسي (ت ٨٩٥) //مخطوط.
- شرح تنقيح الفصول/المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت ٦٨٤هـ) //المحقق: طه عبد الرؤوف سعد/الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة/الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- شرح شرح الطوسي للإشارات والتنبيهات لابن سينا/المؤلف: قطب الدين الرازي/الناشر: نشر البلاغة - قم/الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.
- شرح كتاب العبارة لأرسطو/المؤلف: أبو نصر الفارابي/الناشر: المطبعة الكاثوليكية - بيروت/سنة النشر: ١٩٦٠م.
- شرح مختصر الروضة/المؤلف: سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (ت ٧١٦هـ) //المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي/الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

- شرح مختصر السنوسي في المنطق/المؤلف: محمد بن يوسف السنوسي (ت٨٩٥)/المحقق:د. أسعيد علوان/الناشر: دار الكتاب الثقافي - الأردن/سنة النشر: ٢٠٠٩م.
- الشعر والشعراء/المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦)/الناشر: دار الحديث، القاهرة/عام النشر: ١٤٢٣هـ.
- الشفاء (المنطق ج١)/المؤلف: الشيخ الرئيس ابن سينا (ت٤٢٨)/المحقق: محمود الخضيرى، فؤاد الأهواني/مراجعة: د. إبراهيم مذكور، الناشر: مكتبة المرعشي النجفي - قم - إيران/الطبعة الثانية: ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.
- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية/المؤلف: أحمد بن مصطفى بن خليل، أبو الخير، عصام الدين طاشكُبري زَادَه (ت٩٦٨)/الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.
- الصاحبى في فقه اللغة العربية/المؤلف: أحمد بن فارس القزوينى الرازى، أبو الحسين (ت٣٩٥)/الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابى (ت٣٩٣)/تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار/الناشر: دار العلم للملايين - بيروت/الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- صحيح ابن حبان/المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، التميمى، أبو حاتم، الدارمى، البُستي (ت٣٥٤)/تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون/الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- صحيح البخاري/المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت٢٥٦)/المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر/الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن الطبعة السلطانية/الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ).

- صحيح مسلم/المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)/المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي/الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الصواعق المرسلّة في الرد على الجهمية والمعطلة/المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)/المحقق: علي بن محمد الدخيل الله/الناشر: دار العاصمة، الرياض/الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.
- الضعفاء الصغير/المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)/المحقق: محمود إبراهيم زايد/الناشر: دار الوعي - حلب/الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.
- الضعفاء الضعفاء والمتروكون/المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر البغدادي الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)/المحقق: د. عبد الرحيم محمد القشيري/الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- الضعفاء والمتروكون/المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)/المحقق: محمود إبراهيم زايد/الناشر: دار الوعي - حلب/الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.
- الضعفاء والمتروكون/المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)/المحقق: عبد الله القاضي/الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع/المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)/الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
- الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.
- العبر في خبر من غير/المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايّماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)/المحقق: محمد السعيد بسيوني/الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

- العدة في أصول الفقه/المؤلف : القاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت٤٥٨)/حقيقه: د أحمد بن علي المباركي/الناشر : بدون/الطبعة: الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- علل الترمذي الكبير/المؤلف: محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت٣٧٩)/رتبه على كتب الجامع: أبو طالب القاضي/المحقق: صبحي السامرائي وآخرون/الناشر: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
- علل الحديث لابن أبي حاتم/المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت٣٢٧)/تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد الحميد و د/ خالد الجريسي/الناشر: مطابع الحميضي/الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية/المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت٥٩٧)/المحقق: إرشاد الحق الأثري/الناشر: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان/الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- العلل ومعرفة الرجال (رواية عبد الله)/المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١)/المحقق: وصي الله بن محمد/الناشر: دار الخاني، الرياض/الطبعة: الثانية، ١٤٢٢ هـ.
- العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل (رواية: المروذي وغيره)/المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١)/المحقق: الدكتور وصي الله بن محمد/الناشر: الدار السلفية، بومباي - الهند/الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- العلل/المؤلف: علي بن عبد الله بن جعفر السعدي بالولاء المدني، البصري، أبو الحسن (ت٢٣٤)/المحقق: محمد مصطفى الأعظمي/الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت/الطبعة: الثانية، ١٩٨٠م.

- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي/المؤلف: منقور عبد الجليل/منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق ٢٠٠١م.
- علم اللغة العام/المؤلف: فردينان دي سوسور/ترجمة: د.يوئيل عزيز/مراجعة النص العربي: د. مالك المطلبي/الناشر: دار أفاق عربية - بغداد/سنة النشر: ١٩٨٥م.
- علم اللغة/المؤلف: د.علي عبد الواحد وافي/الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر.
- العين/المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)/المحقق: د: مهدي المخزومي، د: إبراهيم السامرائي/الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- غاية الوصول في شرح لب الأصول/المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت ٩٢٦)/الناشر: دار الكتب العربية الكبرى، مصر.
- غريب الحديث/المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨)/المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرياوي/خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي/الناشر: دار الفكر - دمشق/عام النشر: ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- غريب الحديث/المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سالم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت ٢٢٤)/المحقق: د. محمد عبد المعيد خان/الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن/الطبعة: الأولى، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- الغريبيين في القرآن والحديث/المؤلف: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١ هـ)/تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزدي/قدم له وراجعاه: أ. د. فتحي حجازي/الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية/الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- الغيث الهامع شرح جمع الجوامع/المؤلف: ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي (ت: ٨٢٦هـ)/المحقق: محمد تامر حجازي/الناشر: دار الكتب العلمية/الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- الفصل في الملل والأهواء والنحل/المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)/الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة.
- فقه اللغة العربية وخصائصها/المؤلف: د. إميل بديع يعقوب/الناشر: دار العلم للملايين - لبنان/الطبعة الأولى: ١٩٨٢م.
- فقه اللغة في الكتب العربية/د. عبده الراجحي/الناشر: دار النهضة العربية - بيروت.
- فن الشعر/ المؤلف: أرسطو طاليس/ترجمة: د. إبراهيم حمادة/الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية - مصر.
- الفهرست/المؤلف: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت: ٤٣٨هـ)/المحقق: إبراهيم رمضان/الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان/الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- الفوائد المعللة لأبي زرعة الدمشقي/المؤلف: عبد الرحمن بن عمرو النصري المشهور بأبي زرعة الدمشقي الملقب بشيخ الشباب (ت ٢٨١)/المحقق: رجب بن عبد المقصود/توزيع: مكتبة الإمام الذهبي - الكويت/الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- في فلسفة اللغة/المؤلف: كمال يوسف الحاج/الناشر: دار النهار - بيروت/الطبعة الثانية ١٩٧٨م.
- فيض نشر الانشراح من طي روض الاقتراح/المؤلف: ابن الطيب الفاسي السيوطي/تحقيق: د. محمود فجال/الناشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث - الإمارات/الطبعة ٢/سنة نشر: ١٤٢٣ ، ٢٠٠٢م.
- القاموس المحيط/المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧)/تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي/الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان/الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

- الكاشف عن المحصول في علم الأصول/المؤلف: محمد بن محمود الأصفهاني (ت ٦٨٨)/مخطوط.
- الكافي في فقه أهل المدينة/المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣)/المحقق: محمد محمد الموريتاني/الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض/الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- الكامل في ضعفاء الرجال/المؤلف: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥)/تحقيق: علي معوض وآخرون/الناشر: الكتب العلمية - بيروت-لبنان/الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم/المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨)/تحقيق: د. علي دحروج/نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي/الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني/الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت/الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون/المؤلف: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت ١٠٦٧)/الناشر: مكتبة المثنى - بغداد/تاريخ النشر: ١٩٤١م.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية/المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤)/المحقق: عدنان درويش - محمد المصري/الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
- الكنى والأسماء/المؤلف: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١)/المحقق: عبد الرحيم القشيري/الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة/الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- لسان العرب/المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١)/الناشر: دار صادر - بيروت/الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.

- لسان الميزان/المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)/المحقق: عبد الفتاح أبو غدة/الناشر: دار البشائر الإسلامية/الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م، وطبعة دائرة المعارف النظامية - الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م.
- لطائف الإشارات في أسرار الحروف العلويات/المؤلف: أبو العباس أحمد البوني الجزائري (ت ٦٢٢)/مخطوط.
- اللغة بين المعيارية والوصفية/المؤلف: د. تمام حسان/الناشر: عالم الكتب - القاهرة/الطبعة: الرابعة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- متن إيساغوجي في المنطق/المؤلف: أثير الدين الأبهري (ت ٦٦٣)/مخطوط.
- المثلث/المؤلف: ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١)/تحقيق: د. صلاح مهدي/الناشر: دار الرشيد - العراق/سنة الطبع: ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
- مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري/المؤلف: محمد بن الحسن بن فورك (ت ٤٠٦)/المحقق: د / أحمد عبد الرحيم السايح/ طبعة مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة/الطبعة الأولى . ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٥ م.
- المجروحين من المحدثين/المؤلف: ابن حبان البستي (ت ٣٥٤)/المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي/الناشر: دار الصميعي، الرياض/الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، وطبعة دار الوعي - حلب/الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.
- مجموع الفتاوى/المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨)/المحقق: عبد الرحمن بن قاسم/الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية/عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- محاوره كراتيلوس في فلسفة اللغة/المؤلف: أفلاطون/ترجمة: د.عزمي طه/الناشر: وزارة الثقافة - الأردن/الطبعة ١ ١٩٩٥م.
- محاولة في أصل اللغات/المؤلف: جان جاك روسو/تعريب: محمد محبوب/تقديم: د. عبد السلام المسدي/الناشر: دار الشؤون الثقافية - بغداد.

- المحصول في أصول الفقه/المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)/المحقق: حسين علي اليدري - سعيد فودة/الناشر: دار البيارق - عمان/الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- المحصول/المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)/تحقيق: الدكتور طه العلواني/الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت/الطبعة: الثالثة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- المحكم والمحيط الأعظم/المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)/المحقق: عبد الحميد هندراوي/الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- المحلى بالآثار/المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)/الناشر: دار الفكر - بيروت.
- مختار الصحاح/المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)/المحقق: يوسف الشيخ محمد/الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا/الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- مختصر السنوسي في المنطق/المؤلف: محمد بن يوسف السنوسي (ت ٨٩٥هـ)/مخطوط.
- المختصر في أخبار البشر/المؤلف: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ)/الناشر: المطبعة الحسينية المصرية/الطبعة: الأولى.
- المختلف فيهم/المؤلف: أبو حفص عمر بن أحمد البغدادي المعروف بـ ابن شاهين (ت ٣٨٥هـ)/المحقق: عبد الرحيم القشقري/الناشر: مكتبة الرشد، الرياض/الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- المخصص/المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)/المحقق: خليل إبراهيم جفال/الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/المؤلف: د.رمضان عبد التواب/الناشر: مكتبة الخانجي -القاهرة/الطبعة: الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- المراسيل/المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧)/المحقق: شكر الله نعمة الله قوجاني/الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٣٩٧ هـ.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها/المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١)/المحقق: فؤاد علي منصور/الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م.
- مسائل ابن أبي شيبة عن شيوخه/المؤلف: أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي مولاهم الكوفي (ت ٢٩٧)/المحقق: عامر حسن صبري/دار النشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م.
- مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه صالح (ت ٢٦٦)/المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١)/الناشر: الدار العلمية - الهند.
- المستدرک على الصحيحين/المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ)/تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا/الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠ م.
- المستصفي/المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥)/تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي/الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم/المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠)/المحقق: محمد حسن/الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان/الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير/المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠هـ)/الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.
- المصنف/المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ)/المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي/الناشر: المجلس العلمي - الهند/الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.
- المطلع شرح إيساغوجي الأبهري/المؤلف: شيخ الإسلام زكريا الأنصاري/الناشر: دار الطباعة العامرة، بولاق - مصر، وطبعة دار الكتب العلمية - بيروت.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن/المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)/دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان/الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- معجم البلدان/المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)/الناشر: دار صادر، بيروت/الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة/المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل/الناشر: عالم الكتب/الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- معجم ديوان الأدب/المؤلف: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت ٣٥٠هـ)/تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر/مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس/طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة/عام النشر: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- المفردات في غريب القرآن/المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)/المحقق: صفوان عدنان الداودي/الناشر: دار القلم، الدار الشامية. دمشق بيروت/الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ.

- مقاييس اللغة/المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥)/المحقق: عبد السلام محمد هارون/الناشر: دار الفكر/عام النشر: ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- المنخول من تعليقات الأصول/المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥)/حققه: الدكتور محمد حسن هيتو/الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت لبنان، دار الفكر دمشق - سورية/الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- الموضوعات/المؤلف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧)/تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان/الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة/الطبعة: الأولى، ١٣٨٦هـ، ١٣٨٨هـ.
- ميزان الأصول في نتائج العقول/المؤلف: علاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي (ت ٥٣٩)/حققه: الدكتور محمد زكي عبد البر/الناشر: مطابع الدوحة الحديثة، قطر/الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال/المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨)/تحقيق: علي محمد البجاوي/الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان/الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء/المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت ٥٧٧)/المحقق: إبراهيم السامرائي/الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن/الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- النسبية من نيوتن إلى أنيشتاين/المؤلف: د.مرسيل داغر/الناشر: دار اليقظة العربية - دمشق، سنة النشر: ١٩٦٤م.
- النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس/المؤلف: إيان كريب/ترجمة: د.محمد حسين غلوم/مراجعة: د.محمد عصفور/كتاب عالم المعرفة - ٢٤٤ /الناشر: المجلس الوطني للثقافة - الكويت.
- النظرية النسبية العامة والخاصة/المؤلف: ألبرت أنيشتاين/الناشر: مكتبة الملحدون العرب.
- نظم العقيان في أعيان الأعيان/المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)/المحقق: فيليب حتي/الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.
- نفائس الأصول في شرح المحصول/المؤلف: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت ٦٨٤هـ)/المحقق: علي محمد معوض وآخرون/الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز/الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- نفائس الدرر في حواشي المختصر/المؤلف: الحسن بن مسعود اليوسي المالكي (ت ١١٠٢)/مخطوط بمكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء.
- نهاية السؤل شرح منهاج الوصول/المؤلف: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (ت ٧٧٢)/الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان/الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع/المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١)/المحقق: عبد الحميد هنداوي/الناشر: المكتبة التوفيقية - مصر.

- الوسيط في المذهب/المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)/المحقق: أحمد إبراهيم ، محمد تامر/الناشر: دار السلام - القاهرة
- الوصول إلى الأصول/المؤلف: أحمد بن علي بن برهان البغدادي (ت٥١٨)/المحقق: د/عبد الحميد علي/ الناشر: مكتبة المعارف - الرياض/سنة النشر: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.



المراجع الأجنبية

- 1-The Aesthetic and Miscellaneous Works of -
Friedrich Von Schlegel/Friedrich von
Schlegel/Translated by E. J. Millington/
Publisher: Cambridge University Press/ Print
publication year: 2014.
- 2-Language An Introduction To The Study of speech/ -
Edward Sapir/ NEW YORK: HARCOURT, BRACE,
1921.
- 3-Lectures on the science of language/Max Müller/ -
Publisher London1885.
- 4-Outlines of the Philosophy of Universal history / -
Christian Charles Josias Bunsen/ Publisher: Forgotten
Books (June, 2017).
- 5- De l'origine du Langage/Ernest Renan/Date de l'édition
originale : 1858./ Publisher Paris : Lévy 1875.
- 6-John Dee's Conversations with Angels: Cabala, Alchemy,
and the End of Nature/ Deborah E. Harkness / Reissue
Edition.
- 7-A True & Faithful Relation of what Passed for Many Yeers
Between Dr. John Dee and Some Spirits.by: John Dee,
Edward Kelly, Meric Casaubon/ by Dee, John/Publisher
London : Printed by D. Maxwell for T. Garthwait 1659.
- 8- Lectures on Linguistics/F. M. Berezin/ -
Visalaandhra Publishing House, 1976.
- 9-Papers in linguistics. By Firth. Publisher/London : Oxford
University Press 1964.
- 10- language, its nature, development and origin/ Otto
Jespersen /London : G. Allen & Unwin, ltd 1922.

- 11- Abhandlungen über den Ursprung der Sprache/Johann Herder/ Reclam, Ditzingen 1900.
- 12- Gerard Manley Hopkins on the Origin of Language/Michael Sprinke / Journal of the History of Ideas/ Vol. 41, No. 1 (Jan. - Mar., 1980), p. 113-128.
- 13 - The life and growth of language An Outline of Linguistic Science/ William Dwight Whitney /cornell university Library1875.
- 14- Lectures on The Science of Language/Max Müller/ From the Second London Edition, Revised New York1862.
- 15- Abhandlung über den Ursprung der Sprache/JOHANN GOTTFRIED HERDER .
- 16- Le Langage: Introduction Linguistique à l'Histoire/ Joseph Vendryes / Publisher Paris : Renaissance du livre 1921.
- 17-Arbeit und Rhythmus/Karl Bücher/Publisher B. G. – Teubner 1899.
- 18 -The origins of human language are one of the most difficult problems in science
Published on Ancient origins.
- 19- the desk of Western Washington University professor Edward Vadja: “Linguistics 201: The Origin of Language”.
- 20- Gerard Manley Hopkins on the Origin of Language/ Michael Sprinker of Ideas.
- 21-How Language Works/ David Crystal/ – Publisher Overlook Press 2006.

22- the Origin of Specie/Charles Darwin/(Hardback)1859. -

23- Expressing emotions in man and animals/Charles Darwin/ John murray 1872. - Publisher: -

24- Législation primitive/ De Bonald / Publication date1857/Publisher Paris, Le Clere.

25- The Truth about Language: What It Is and Where It Came From/By Michael C. Corballis/ PUBLISHER:University of Chicago Press 2017.

26-From Hand to Mouth: The Origins of Language/Michael C. Corballis/Published by: Princeton University Press2002.



فهرس الأحتويات

٥	مقدمة
١١	تمهيد
١٧	الفصل الأول: ماهية لغات الملا الأعلى وغيرهم، وفيه تمهيد، وأحد عشر مبحثاً
٢٣	المبحث الأول: اللغة التي يوحي الله بها إلى الملائكة والأنبياء، والتي تكلم بها مع موسى
٤٣	المبحث الثاني: لغة الملائكة
٥٣	المبحث الثالث: اللغة التي يتكلم بها ملك الموت، والملائكان مع أهل القبور عند السؤال
٧١	المبحث الرابع: اللغة التي تحدث بها آدم ويكتب بها الكرام الكاتبين
٧٨	المبحث الخامس: لغة الشياطين
٨٤	المبحث السادس: لغة المسيح الدجال، وعيسى [ع] ويأجوج ومأجوج، ودابة الأرض
١٠٩	المبحث السابع: لغة أهل القبور، وأهل الموقف بين يدي الله واللغة التي تشهد بها الأيدي والأرجل
١١٥	المبحث الثامن: لغة أهل النار، وأصحاب الأعراف

١٢٤	المبحث التاسع: لغة السموات والأرض، والأنبياء والمؤمنين عند الشفاعة، وآخر مَنْ يدخل الجنة
١٣٦	المبحث العاشر: لغة أهل الجنة
١٧٤	المبحث الحادي عشر: الترجيح والاختيار
١٨١	الفصل الثاني: أصل نشأة لغات البشر، وفيه تمهيد وثلاثة عشر مبحثاً
١٨٩	المبحث الأول: نظرية الإلهام والتوقيف
٢١٠	المبحث الثاني: نظرية الاصطلاح
٢٣١	المبحث الثالث: نظرية المحاكاة الطبيعية والمناسبة أو بآو - وآو Bow.wow
٢٤٧	المبحث الرابع: ذاتية العلاقة بين الألفاظ والمعاني
٢٥٣	المبحث الخامس: مبدأ اللغات اصطلاحي ثم توقيفي
٢٥٨	المبحث السادس: مبدأ اللغات توقيفي ثم اصطلاحي
٢٦٢	المبحث السابع: نظرية (بُو - بُو) Pooh-pooh
٢٦٩	المبحث الثامن: نظرية .. ding-dong
٢٧٢	المبحث التاسع: نظرية الغناء sing-song/The theory of singing
٢٧٥	المبحث العاشر: نظرية الاستجابة الصوتية للحركات العضلية yo.he.ho
٢٨٠	المبحث الحادي عشر: نظرية Ta-Ta
٢٨٥	المبحث الثاني عشر: نظرية La-La

٢٨٩	المبحث الثالث عشر: الترجيح والاختيار
٢٩٧	الخاتمة
٣٠١	الملخص الإنجليزي
٣١٣	الملخص الفرنسي
٣٢٢	المصادر والمراجع
٣٤٩	المراجع الأجنبية
٣٥٣	فهرس المحتويات

